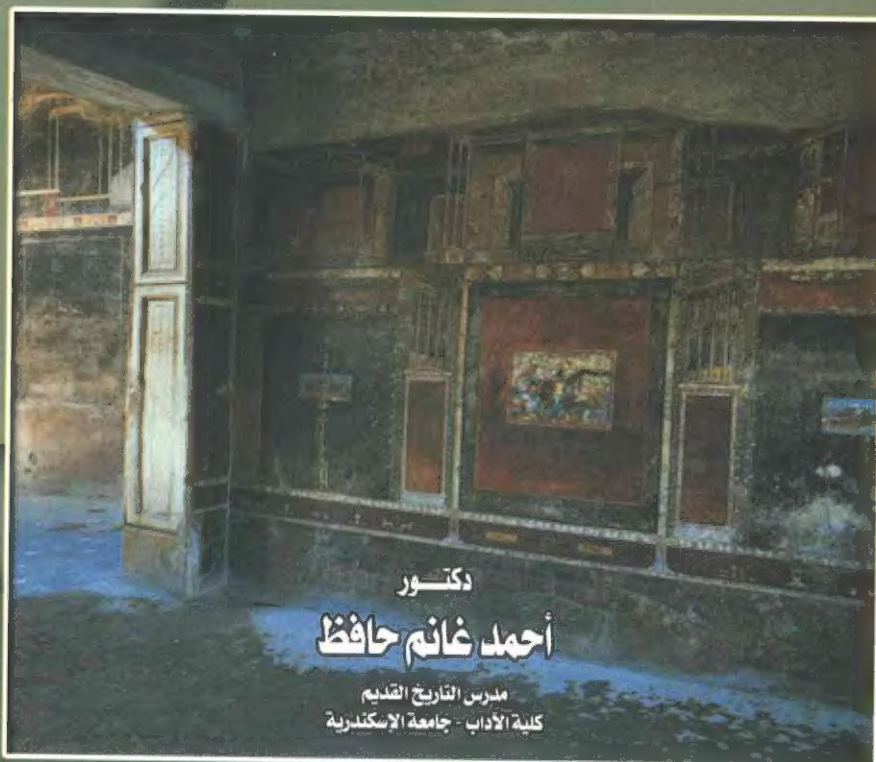


الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار



دكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور

حسين أحمد الشيخ

أستاذ التاريخ القديم

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

دار المعرفة الجامعية

الامبراطورية الرومانية
من
النشأة إلى الانهيار

الامبراطورية الرومانية من النشأة إلى الانهيار

دكتور

أحمد غانم حافظ

مدرس التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

تقديم

الأستاذ الدكتور حسين أحمد الشيخ

أستاذ التاريخ القديم
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

٢٠٠٧

دار المعرفة الجامعية

للطبع والنشر والتوزيع

٤٠ شارع سوتير - الأزاريطة - الإسكندرية ت ٤٨٧٠١٦٢
٢٨٧ شارع قتال السويس - الشاطبي - الإسكندرية ت ٥٩٢٢١٤٦

1. The first part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt$$

where $f(x)$ is a function defined on the interval $[0, 1]$.

2. The second part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt$$

where $f(x)$ is a function defined on the interval $[0, 1]$.

3. The third part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt$$

where $f(x)$ is a function defined on the interval $[0, 1]$.

4. The fourth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt$$

5.

6. The sixth part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

$$f(x) = \int_0^x f(t) dt$$

where $f(x)$ is a function defined on the interval $[0, 1]$.

7. The seventh part of the paper is devoted to the study of the properties of the function $f(x)$ defined by the equation

• بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ •

« وفوق كل ذي علم عليم »

صدق الله العظيم

الأهداء

إلي أغلي من ضمتني فأحتواني للأبد
والذي رحمة الله عليه
عهداً دائماً بالعمل علي الدرب ليوم اللقاء

شكر وتقدير

يشرفنى فى هذا المقام أن أتقدم بخالص شكرى وتقديرى إلى أستاذى الفاضل الأستاذ الدكتور حسين أحمد الشيخ على عطائه الدائم وعلى وقته الذى استهلكه فى مراجعة مادة هذا العمل المتواضع العلمية وعلى ما أبداه سيادته من ملاحظات قيمة أفادت البحث والباحث.

كما يسعدنى أن أوجه شكرى الجزيل إلى الأخ الفاضل/ صابر عبد الكريم صاحب منشأة دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية على ما أبداه من حماس وعلى ما قدمه من تشجيع كانا سبباً فى ظهور هذا العمل إلى النور.

والى صاحبة الفضل الأكبر - زوجتى - شكر دائم موصول على تحملها معى مشقة وعناء إنجاز هذا العمل.

أحمد غانم حافظ

الإسكندرية فى ٢٠٠٦/٨/١٢

على سبيل التقديم

فى هذه العجالة أحاول أن أقدم للقارئ المتخصص، والقارئ المثقف المهتم بقضايا التاريخ فى عمومها، والتاريخ القديم على وجه الخصوص، واحدا من الباحثين والدارسين الشبان الواعدين هو تلميذى وزميلي الدكتور أحمد غانم، الذى تصدى وبجراة الشباب لموضوع يحمل قدراً كبيراً من التعقيد والحساسية والخلاف الشديد فى الرأى ألا وهو عصر الامبراطورية الرومانية وعلاقتها المعقدة والمتشابكة بالديانة المسيحية وعلاقة الكنيسة نفسها بالامبراطورية والآراء العديدة حول سقوط هذه الإمبراطورية التى سيطرت فى وقت من الأوقات على كل العالم المكتشف تقريباً.

وقد بدأ الباحث دراسته بفصل تقديمي عن بدايات العصر الامبراطورى فى روما عالج فيه تدهور الجمهورية الرومانية، والذى أدى إلى نتيجة منطقية ومتوقعة هى التحول إلى النظام الإمبراطورى، وظهور شخصية جايوس أوكتافيانوس الذى عرف بإسم «أوغسطس» واصلاحاته فى المجالات السياسية والعسكرية والإدارية والاجتماعية والدينية، كما تعرض لخلفاء أوغسطس من أطرة الأسرة اليوليوكلاودية والأسرة الفلافية وعصر الأباطرة الصالحين والأسرة السفيرية.

أما الفصل الثانى فقد خصصه الباحث لاستعراض الفترة القائمة ما بين

حكم الامبراطور دقلديانوس إلى الامبراطور قنسطنطين، وأستعرض فيه اصلاحات دقلديانوس فى المجالات الإدارية والعسكرية والمالية وموقفه من المسيحية، ثم يتطرق إلى ظهور قنسطنطين وتأسيسه للعاصمة الجديدة التى حملت اسمه «القسطنطينية» .

وفى الفصل الثالث يدخل الباحث مباشرة إلى خضم العلاقة المعقدة والمتشابكة بين الإمبراطورية الرومانية والمسيحية . فيبدأ باستعراض علاقة اليهود بالمسيحية ثم الصراع العقائدى داخل الديانة المسيحية نفسها، كما يستعرض أشهر القديسين من رجال الدين المسيحيين، وظاهرة الرهبنة، والكنيسة الغربية فى روما برئاسة البابا، والكنيسة الشرقية التى تحولت إلى كنيسة الروم الأورثوذكس، ثم كنيسة الاسكندرية التى تحولت إلى الكنيسة القبطية الاورثوذكسية.

• أما الفصل الرابع فقد ركز فيه المؤلف على وضع الإمبراطورية الرومانية المتأرجح بين المسيحية من جهة وغزوات البرابرة لروما من جهة أخرى، وفيه يستعرض عودة الوثنية مرة أخرى على يد الامبراطور جوليان المرتد، ثم انتصار المسيحية وسيادتها مرة أخرى، كما يتطرق إلى ظهور قبائل الجرمان والقوط والوندال والهون والتوتون وغيرهم، وسقوط روما فى الغرب على يد البرابرة ، وإستمراراً فى نفس الاتجاه يواصل الباحث فى الفصل الخامس من دراسته استعراض قبائل البرجنديون والأليمانى والفرنجة، كما يتطرق إلى وضع الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية وواحد من أشهر اباطرتها والذى يعد من العلامات الفارقة فى تاريخها ألا وهو الإمبراطور «جستنيان» .

وفي الفصل السادس والأخير يستعرض الباحث الآراء المتعددة التي فسرت سقوط الإمبراطورية الرومانية بدءاً من زوسيموس وصولاً إلى تويبني وجونز والتي تعرضت لاحتمالات عديدة من أسباب سياسية واقتصادية وعسكرية ودينية ورأى شمولى تبناه الباحث كختام لدراسته .

وفي ختام هذه العجالة أرحب بالباحث الجديد عضواً في مدرسة تتعامل مع الأحداث التاريخية بشكل مختلف، فقد تجاوز مرحلة المؤرخ التقليدي الذي أطلق عليه أزوالد شبنجلر في كتابه الرائع «سقوط الغرب» اسم «منظف الأتربة الأكاديمي» والذي يكتفى بإزالة الغبار عن الحدث التاريخي وعرضه دون أي تدخل منه، إلى مرحلة محاولة قراءة ما وراء الحدث التاريخي وتفسير ما يحيط به من ظروف ودوافع ، مما يتيح فهماً أعمق لمثل هذا الحدث، مما يمثل في رأي الشخصي مرحلة متطورة في الدراسة التاريخية، وأتمنى للباحث كل التوفيق في دراساته القادمة،،

دكتور حسين الشيخ

أستاذ التاريخ القديم بجامعة الاسكندرية

فهرس الكتاب

٧	- الإهداء
٩	- شكر وتقدير
١١	- مقدمة الكتاب
٢١	٠ الفصل الأول: (العصر الإمبراطورى المبكر)
٢٦	اولاً: تدهور الجمهورية الرومانية
٢٧	- نيبوريوس
٢٨	- جايوس جراكوس
٣٠	- ماريوس وسولا
٤١	ثانياً: العصر الإمبراطورى المبكر
٤٢	اكتافىوس ودعائم الحكم الإمبراطورى
٤٤	السلطات التى حكم أوغسطس بموجبها
٤٦	اصلاحات أوغسطس
٥٠	العناصر التى اعتمد عليها فى الجهاز الإدارى
٥٤	خلفاء أوغسطس
٥٥	نيبوريوس
٥٦	جايوس كاليجولا
٥٧	كلاوديوس
٥٩	نيرون
٦١	الاسرة الفلافية
٦٥	عصر الأباطرة الصالحين

٦٦	تراچانوس
٦٨	هادرانوس
٧٠	أنطونينوس بيوس
٧١	ماركوس أوريليوس
٧٢	كومودوس
٧٣	بيرتيناكس
٧٤	الأسرة السيفيرية
٧٥	كاراكلا وجيتا
٧٦	الجابالوس

- الفصل الثاني: (العصر الإمبراطوري المتأخر

٧٩	من دقلديانوس إلى قنسطنطين)
٩١	- دقلديانوس
٩١	- اصلاحاته
٩١	- دقلديانوس والمسيحية
٩٤	- قنسطنطين
٩٦	- اثر دقلديانوس على قنسطنطين
١٠٠	- تأسيس العاصمة الجديدة
١٠٣	- قنسطنطين والكنيسة المصرية
١٠٤	- الإمبراطورية بعد قنسطنطين
١٠٥	- جوليان وخلفائه

- الفصل الثالث: (الإمبراطورية الرومانية والمسيحية)

١١١	- الإمبراطورية الرومانية قبل ظهور المسيحية.
-----	---

- ١١٤ - اليهود والمسيحية
- ١١٥ - تاريخ الخلاف بين اليهود والإمبراطورية الرومانية
- ١٢٠ - المسيحية والإمبراطورية الرومانية
- ١٢٢ - الصراع العقائدى داخل الكنيسة
- ١٢٣ - مجمع نيقية
- ١٢٥ - مجمع صور
- ١٢٦ - آباء الكنيسة
- ١٢٩ - الرهبانية والديرية
- ١٣٤ - القديس باخوميوس مؤسس الديرية الباخومية
- ١٣٦ - حركة الأنبا شنودة
- الفصل الرابع، (الإمبراطورية الرومانية بين المسيحية وغزوات
البرابرة)
- ١٣٩ - البرابرة
- ١٤١ - صحوة الوثنية
- ١٤٢ - جوفيان
- ١٤٣ - ثيودوسيوس الأول
- ١٤٤ - الموقف فى الإمبراطورية الرومانية بعد انتصار المسيحية-
- ١٤٦ - البرابرة وسقوط الإمبراطورية فى الغرب
- ١٤٧ - الجرمان
- ١٥١ - البناء الاجتماعى للجرمان
- الظروف التى اضطرت الجرمان إلى الهجوم على حدود
الإمبراطورية
- ١٥٤ - الهون
- ١٥٧ - الهون

- ١٥٨ - القوط الغربيون
- ١٦٠ - النتائج التي ترتبت على احتكاك القوط بالرومان
- المميزات التي تتمتع بها القوط على عهد ثيودسيوس
- ١٦٢ - العظيم
- ١٦٣ - ثورة القوط الغربيون
- ١٦٤ - دور الليرك بعد وفاة ستيليكو
- ١٦٥ - أيورك
- ١٦٦ - الوندال
- ١٦٩ - الفصل الخامس: (سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية)
- ١٧١ - البرجنديون
- ١٧٢ - الاليماني
- ١٧٤ - الفرنجة
- ١٧٧ - الإمبراطورية الرومانية الشرقية
- ١٧٨ - ثيودسيوس الثاني
- ١٨٠ - ماركيانوس
- ١٨١ - ليون الأول
- ١٨٤ - عصر أسرة چيستينيان
- ١٨٤ - چيستينيان
- ١٨٧ - الفرس يخططون لغزو القسطنطينية
- ١٨٨ - - القسطنطينية في عهد چيستينيان
- ١٩٠ - ثيودورا زوجة چيستينيان
- ١٩١ - جامعة القسطنطينية والبحث العلمي

١٩٢	-----	- مرسوعة جيستينيان القانونية
١٩٥	-----	- المجمع المسكونى الثانى
١٩٦	-----	- خلفاء جيستينيان
١٩٧	-----	- تييريوس الأول
١٩٨	-----	- فوكاس
٢٠١	-----	- الفصل السادس: (آراء فى سقوط الإمبراطورية الرومانية)
٢٠٣	-----	اولاً: ظروف المجتمع الرومانى فى القرنين الرابع والخامس
٢٠٥	-----	- الظلم الاجتماعى
٢٠٧	-----	- الفوضى الفكرية
٢٠٨	-----	- الأفلاطونية المحدثة
٢٠٩	-----	- المسيحية وطوائفها
		ثانياً: تفسيرات المؤرخين القدماء والمحدثين لسقوط
٢١١	-----	الأمبراطورية.
٢٢٧	-----	الملاحق
٢٩٣	-----	المراجع

العصر الإمبراطوري المبكر

الفصل الأول

العصر الإمبراطوري المبكر (*)

مقدمة:

اختار الباحث ان يأتي الفصل الأول من هذا المؤلف ليصبح جزءاً أساسياً من موضوع العمل كله . فإذا كان موضوع المؤلف هو الإمبراطورية الرومانية في عهدها المتأخر فحري بالقارئ أن يبدأ بمعرفة ظروف قيام النظام الإمبراطوري أساساً في روما، أو ما يطلق عليه أسم العصر الإمبراطوري المبكر، وذلك حتى تكتمل الصورة التاريخية عن هذا العصر منذ بدايته وظروف نموه وقوته حتى نهايته، وهي الفترة التي شملت أحداثاً كانت في جزء كبير منها . بياً في نهايته .

عموماً ينقسم تاريخ روما القديم إلى ثلاثة عصور تقليدية هي :

١- العصر الملكي ويشمل الفترة الأولى منذ ٧٥٣ (*) ق.م حتى عام ٥٠٩ ق.م .

٢- العصر الجمهوري Respublica : وهو يستمر من عام ٥٠٩ ق.م عام قيام الجمهورية حتى عام ٤٤ ق.م وهو تاريخ اغتيال يوليوس قيصر آخر زعماء الجمهورية الرومانية وتنقسم الفترة الجمهورية التي تزيد على أربعة قرون ونصف إلى ثلاثة مراحل رئيسية كالآتي :

(*) ٧٥٣ بعد أكثر التواريخ تداولاً ولا يزال حتى الآن هو التاريخ الذي ينظر إليه باعتباره مولد روما (AUC) Ab Urbe Condita راجع حسين الشيخ، الرومان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٢)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ١٧ . وقارن محمد السيد عبد الغنى، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهوري، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهوري المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٤٤-٤٥ حيث أورد تقسيم العصر الجمهوري إلى ثلاثة فترات .

أ - فترة العصر الجمهورى المبكر: الذى شهد نضج مؤسسات الحكم الجمهورية التشريعية والتنفيذية، والصراع بين طبقات المجتمع الرومانى من عامة واشراف، وأخيراً الكفاح الذى خاضته روما للدفاع عن كيانها واستقلالها ثم للتوسع على حساب جيرانها اللاتين Latini والايطالين وتمتد هذه الفترة من ٥٠٩ ق.م حتى ٢٦٥ م.

ب- فترة التوسع الرومانى فى ارجاء المتوسط غرباً ثم شرقاً وامتدت هذه المرحلة فيما بين ٢٦٤ إلى ١٣٣ ق.م والتى بدأت بحرب روما ضد قرطاجه فيما عرف باسم الحروب البونيه.

ج- عصر الثورة. أو عصر الزعامات الرومانية وهى مرحلة امتدت من ١٣٣ ق.م إلى ٤٤ ق.م.

٣- العصر الإمبراطورى، وقد استمرت الجمهورية الرومانية نحواً فى خمسة قرون، انتهت بسلسله من الصراعات الحزبية والحروب الأهلية حتى وضع اوكتافيانوس حداً لها فى عام ٢٧ ق.م وذلك باستحداث نظام دستورى وسياسى جديد عرف بالنظام الرئاسى ورغم ان اوكتافيانوس قد حافظ على هيكل النظام الجمهورى فى جميع مظاهره. من حيث:

١- استمرار الانتخابات لجميع مناصب الحكم.

٢- الابقاء على المجالس التشريعية

إلا أنه اتخذ لنفسه منصباً جديداً يبعد تماماً عن الهيكل الجمهورى، وهو منصب المواطن الأول أو رئيس الدولة Princeps Civitatis ولذا فقد اصطلح على تسمية نظام اوكتافيانوس بالنظام الرئاسى Principate^(١).

- وفى واقع الأمر أصبح اوكتافيانوس - الذى لقب بـ أوغسطس Augustus فيما بعد - هو الحاكم الفعلى المتصرف فى جميع شئون الدولة،

(١) مصطفى عبد الحميد العبادى، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٦ الإسكندرية ص ص ١١ - ١٢.

وجمع فى يده كل سلطة سياسية وقضائية وعسكرية، ونظراً لأن سلطة القيادة العسكرية المطلقة Imperator أصبحت أهم صفة ملازمة لشخصية رئيس الدولة، فقد غلب على المؤرخين تسمية هذا العصر الذى بدأه أغسطس بأسم «الإمبراطورية الرومانية».

- وقد أستمر النظام الإمبراطورى منذ ١٧ ق.م حتى سقوط مدينة روما فى القرن الخامس أمام غزوات القبائل المتبريرة فى الغرب. فى حين استمرت الإمبراطورية الرومانية فى الشرق فى مدينة القسطنطينية التى بدأ سلطانها يتقلص عن معظم املاكها فى الشرق مع قيام الدولة العربية الاسلامية فى القرن السابع الميلادى.

- واستمرت القسطنطينية ذاتها وممتلكاتها الأخرى فى آسيا الصغرى وشرق أوروبا بعد ذلك بعدة قرون فيما اصطلح على تسميته بالإمبراطورية البيزنطية التى سقطت نهائياً، فى يدى محمد الفاتح فى عام ١٤٥٢ ميلادية.

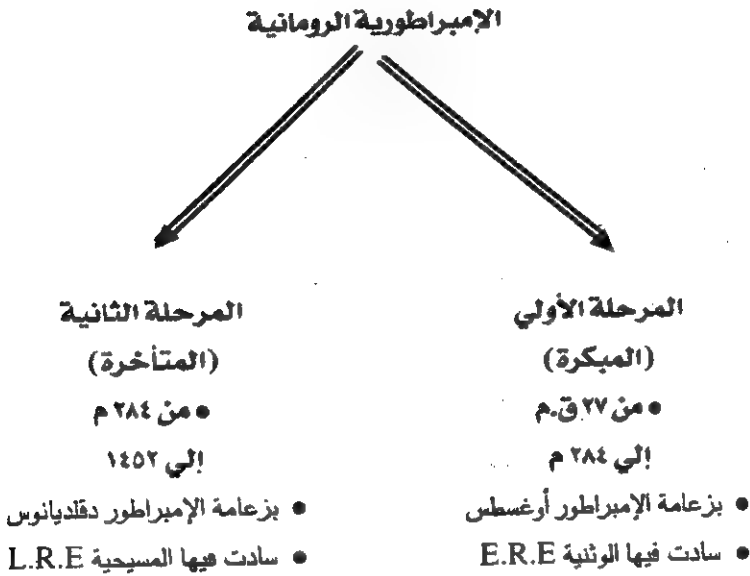
- ولم تبق الإمبراطورية الرومانية محافظة على النظام الأوغسطى على مدار تاريخها ولكن شهدت تعديلات جذرية فى النظم والدين غيرت من شخصيتها تغييراً بعيداً ، ولذلك فاتفق المؤرخون على تقسيم الإمبراطورية الرومانية إلى مرحلتين متميزتين .

١- المرحلة الأولى: تشمل القرن الثلاثة الأولى من ١٧ ق.م إلى ٢٨٤ م وهى محل الدراسة فى هذا الفصل .

٢- المرحلة الثانية: تشمل الفترة منذ ٢٨٤ م وهى بداية حكم الإمبراطور دقلديانوس الذى نعتبره مؤسس الفترة الثانية فى الأمبراطورية، على أن هناك من المؤرخين من يؤثر اعتبار عام ٣٢٤م بداية أيضاً للفترة الثانية من الإمبراطورية وهى بداية حكم الإمبراطور قسطنطين الذى اعلن المسيحية ديانة رسمية ضمن الديانات الأخرى الموجودة فى الدولة .

وأياً ما كان الأمر فأهم ما يفرق بين الفترتين المبكرة والمتأخرة هو اختلاف ديانة الامبراطورية ففي الفترة الأولى كانت الديانة الوثنية هي السائدة، وفي الفترة الثانية سادت المسيحية.

ويلخص التصور التالي مضمون ما سبق:



أولاً: تدهور الجمهورية الرومانية:

حتى عام ١٤٠ ق.م كانت الإقطاعيات الزراعية الكبرى قد إنتشرت تماماً في الجمهورية الرومانية، وكان مجلس السيناتوس محتكراً للسلطة السياسية. إلا أن هذا الاحتكار قوئل بدءاً من هذا التاريخ بتحدى عنيف خاصة بعد ظهور زعيماً الاصلاح الاخوان تيبريوس وجايوس جراكوس ولم ينته هذا التحدى إلا بزوال النظام الجمهورى نفسه.

E.R.E = Early Roman Empire.

L.R.E = Late Roman Empire.

١- تيبيريوس جراكوس *Tiberius Sempronius Gracchus*

- رأى ان الخطر الأكبر على الجمهورية الرومانية يكمن فى نظام الاقطاعات الزراعية الضخمة التى نتج عنها تشريد المزارعين الرومان الفقراء، وكان العلاج فى وجهة نظره هو إعادة توزيع الأراضى الزراعية من جديد.

- رشح نفسه لمنصب التريبون *Tribunus* العامة، وانتخب عام ١٣٣ ق.م حيث قدم إقتراح بأعادة تطبيق قانون ليكينيوس سيكستوس *Licinius Sextus* الذى صدر فى ٣٦٧ ق.م والذى حدد الحد الأقصى للملكية الفردية فى الأراضى بما لا يزيد عن ٥٠٠ فدان روماني (يوجيرا) واصاف إليه ٥٠٠ يوجيرا أخرى للأبنين البالغين ليصبح بذلك الحد الأقصى للملكية هو ١٠٠٠ يوجيرا للأسرة.

- وشكل تيبيريوس لجنة للإصلاح الزراعى تكونت منه ومن أخيه جايوس جراكوس وأبيوس كلاوديوس لممارسة تطبيق الاقتراح السابق عمليا وذلك بعد أن نجح فى استصدار قانون من مجلس السيناتوس بهذا المعنى.

- عندما حاول ترشيح نفسه للعام الثانى على التوالى لمنصب التريبون^(١) لضمان تنفيذ هذا القانون ثار بعض من أنصار مجلس السيناتوس وقبضوا عليه وبعض أعوانه واغتالوه.

- رغم ذلك ظلت لجنة الإصلاح الزراعى تمارس عملها لمدة أربعة

(١) حسين أحمد الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ٥٠، حيث يوضح أن ترشيح تيبيريوس لنفسه للعام الثانى لنفس المنصب كان مخالفاً للتقاليد الرومانية التى كان تقضى بأن يشغل التريبون منصبه لمدة عام واحد فقط. وقد أكد عبد اللطيف أحمد على على ذلك حيث قال أن إعادة الترشيح لمنصب عينه فى سنتين متتاليتين أمراً محظوراً بمقتضى قانون فيليوس الصادر فى عام ١٨٠ ق.م *Lex Villia annalis* راجع عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الرومانى عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى اكتافيانوس اغسطس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ، ص ص ١١ - ١٢.

عاماً متتالية حتى عام ١٢٠ ق.م وكان بها جايوس جراكوس الذى حرص بدوره على تنفيذ رؤية اخيه تييريوس فى الإصلاح الزراعى .

٢- جايوس جراكوس Gaius Sempronius Gracchus :

- كون جبة قوية ضد مجلس الشيوخ من أصحاب المصالح المالية والتجارية والفقراء والحلفاء الايطاليون .

- فى ظل السماح بدءاً فى عام ١٣١ ق.م باعادة ترشيح التربيون لنفسه مرة أخرى، قام بترشيح نفسه لمنصب التربيون من ١٢٤ ق.م وحتى ١٢٢ ق.م .

- نتيجة لازدياد شعبيته بين الفقراء الرومان على وجه الخصوص بسبب القوانين المتتالية التى اصدرها والتى كان هدفها الأول تحقيق قدر من الرخاء للفقراء كقانون توزيع الغلال على فقراء روما بنصف سعر السوق ثم مجاناً فيما بعد^(٣)، حاول مجلس الشيوخ التخلص منه وتمكنوا من قتله هو وثلاثه الاف من أعوانه .

أما عن مشروعات جايوس التى تمكن من إستصدار قوانين بشأنها قبل اغتياله فهى كالتالى :

- استصدر قانون بإنشاء شبكة من الطرق الريفية فى مختلف أنحاء إيطاليا وتحسين الطرق الريفية القديمة وقد أولى هذا المشروع عناية خاصة حتى تكون الطرق نافعة وجيدة ولا تقل جودة عن الطرق العسكرية المنتشرة فى ارجاء شبه الجزيرة الايطالية وكان يرمى بذلك إلى تيسير نقل الغلال

(٣) حسين الشيخ، نفس المرجع السابق، ص ٥١، قارن مصطفى العبادى، مرجع سابق حيث رأى أن هذه الأحداث تدل على بداية ظهور العنف فى الحياة السياسية مع البدء فى مخالفة الدستور مما يعطى فى وجهة نظره قصور الدستور عن متطلبات الدولة ومسئولياتها، ص ٤١، وفارن أيضاً: عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، حيث رأى أنها كانت محاولة منه لاسترضاء زعماء العامة Plebs Urbana وقد عرف هذا القانون باسم قانون الغلال Lex Sempronia Frumentaria، ص ٢٢ .

والمحاصيل الزراعية الأخرى إلى الأسواق القريبة فيسهل على صغار الزراع مهمة تسويقها محلياً.

- ومن المرجح أنه أعاد للجنة الإصلاح الزراعى سلطتها القضائية التى سلبت منها فى عام ١٢٩ بعد مصرع أخيه بسنوات قليلة .

- اقترح مشروعاً بأنشاء عدد من المستعمرات Coloniae فى إيطاليا بهدف تخفيف أزمة تضخم سكان روما وغيرها من المدن ومن بين المستعمرات التى ينسب اليه تأسيسها كانت اثنتان وهما «نبتونيا» Neptunia بالقرب من تارنتم و «مينرڤيا» Minervia بالقرب من اسكولاكيوم^(٤) .

غير أن أهم مشروع جرى له فى هذا الصدد هو محاولته تأسيس مستعمرة - لأول مرة - عبر البحر - مقتدياً بالأغريق - فى مكان قرطاجنة القديمة وقد تم بناء هذه المستعمرة بناء على صدور قانون يعرف باسم قانون روبريوس Lex rubria نسبه إلى نقيب العامة الذى تبنى المشروع بتشجيع من جايوس .

واتبع جايوس ذلك المشروع بمشروعين أحدهما يهدف إلى التخفيف من صرامة الخدمة العسكرية الإلزامية بمنع التجنيد قبل سن السابعة عشر والآخر ينص على أن تصرف الدولة للجنود الملابس مجاناً دون خصم الثمن من رواتبهم .

وقد بدأ جايوس عملة السياسى بإقتراح زيادة عدد أعضاء مجلس الشيوخ الذى كان محور الدستور وذلك بأضافة ٦٠٠ عضو اليه إلا أن هذا الاقتراح قوبل بمعارضة شديدة من جانب السيناتو فسحبه جايوس، غير أنه تمكن من استصدار قانون ينص على فرض عقوبات على محلفى محكمة الابتزاز (رجال السيناتوس) الذين تثبت ادانتهم بالرشوة باعتبارها جريمة .

(٤) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٢٤ - ٢٥ .

وأخيراً كال للسيناتوس ضريبة قاضية بأصدار قانون اكيلوس Lex Acilia وغير به تشكيل محكمة استرداد الأموال المبتقزة Quaestio de Repetundis وكانت هذه المحكمة المدنية مختصة بالنظر فى دعاوى الابتزاز المرفوعة على حكام الولايات السابقين والزامهم بدفع تعويضات عن الأضرار فى حالة ثبوت التهمة^(٥).

وبقى ان نقيم اعمال الأخوان تيبريوس وجايوس جراكوس وما ترتب عليها من آثار، فقد كان اخفاق الآخوين مأساة سياسية كبيرة وبينما احتلت ذكراهم موضع الاعزاز والأكبار فى قلوب انصارهما إلا أنها كانت فى الوقت ذاته مثار استهجان واستنكار بين صفوف خصومهما ومن الآثار التى ترتبت على أعمالهم.

١- زاد عدد صغار الملاك (ملاك الأراضى).

٢- زاد عدد المهاجرين إلى المستعمرات.

٣- هذا مشروع الغلال نائرة عامة العاصمة المعطلين.

٤- تمكن الاخوان فى حياتهما وبعد مماتهما من أضعاف نفوذ السيناتوس.

٢- ماريوس وسولا Marius et Sulla.

بينما كانت روما منهمكة فى الصراع الحزبى الذى احتدم بين السيناتوس وجايوس جراكوس، كانت الجيوش الرومانية مشتبكة على الحدود فى سلسلة من الحروب دفاعاً عن سلامة أراضى الجمهورية.

ولم تمضى عدة سنوات على موت جايوس حتى اتضح الفساد وعدم الكفاية واشتعلت من جديد نار التطاحن الحزبى اثناء ذلك القتال الذى خاضته روما فى شمال افريقيا ضد الزعيم النوميدي يوجورثا، Iugurtha ولكن هذا الصراع الذى بدأ فى عام ١١١ ق م انجب جلدى عظيم يدعى Marius

(٥) عبد اللطيف أحمد على، المرجع السابق، ص ٢٦.

ماريوس وهو رجل عصامي لبطالي المولد وجندى عظيم آخر يدعى سولا Sulla، وهو سليل أسرة شريفة^(٦).

يرفضل هذين الجنديين انتهت الحرب ضد يوجورثا في مصلحة الرومان والتي سجلها المؤرخ الرومانى ساللوستيوس C. Sallustius فى عمله الذى يعرف بعنوان الحرب اليوجورثية Bellum Iugurthinum.

ويذكر التاريخ أنه نظراً لتفوقه العسكرى وتعرض روما لمخاطر أجنبية سبقت الإشارة إليها قبل السيناتوس إعادة ترشيحه لمنصب القنصلية خمس سنوات متصلة وذلك بالرغم أنه كان من طبقة الفرسان الجديدة وكان يميل إلى مناصرة العامة، ونظراً لعدم تطرفه السياسى وتذبذبه بين الطبقتين كان السيناتوس يقبل بقاءه فى السلطة بسبب تفوقه العسكرى.

إن تجربة ماريوس تعد تجربة جديدة فى تاريخ روما إذ لم يحدث أن تولى شخص القنصلية مرتين متتاليتين مهما كانت مواهبه^(٧).

وقد استطاع ماريوس أن يوجد لأول مرة جيشاً نظامياً تقوم الدولة بتسليحه ويكون ولاء جنوده لقائدهم، إذ كان الجنود يعتمدون على قائدهم فى الحصول على مكافآت سخية من أرض ومال بعد انتهاء الحرب وهكذا ارتبطت مصالح الجنود بأفراد القواد وهذه ظاهرة جديدة سوف تظهر خطورتها حين يتخذ القادة العسكريون من أمثال بومبى وقيصر جيوشاً خاصة فالجيوش لم تصبح جيوش الوطن ولكن جيوش الأحزاب الطبقية.

أما عن إصلاحات ماريوس العسكرية فهى كالتالى:

١ - أعاد تنظيم الجيش وغير طريقة تسليحه وتدريبه.

(٦) عبد اللطيف أحمد على، نفس المرجع السابق، ص ٤٥ - ٤٦، حيث يوضح أن شمال أفريقيا كانت هى مسرح حرب يوجورثا حيث نشأت هناك مملكة نوميديا (الجزائر) حالياً بعد الحرب البونوية الثانية.

(٧) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٤١.

٢- غير نظام التجنيد حتى يستطيع ان يعبئ القوات اللازمة، إذ فتح باب التجنيد للمواطنين الفقراء Proletarii فى جميع انحاء الإمبراطورية.

٣- اعتمد على التطوع أكثر منه على التجنيد الإجبارى لعدد معين من الحملات.

٤- أفضت اصلاحاته إلى انتصار رائع احرزهُ ضد قبائل التيوتون Teutoni فى اكواى سكستياى Aquae Sextiae فى عام ١٠٢ ق.م، وانتصار آخر فى عام ١٠١ على قبائل الكمبرى فى فركلاى Vercellae فى حوض البو عند الطرف الشرقى من شمال ايطاليا الذى كان هؤلاء البرابرة قد تسللوا منه اخيراً وهكذا نجت ايطاليا من الخطر البربرى.

وهكذا نجد أن ايطاليا قد انقذت لا بفضل الجيوش الرومانية أو الحكومة الرومانية بل على يد ماريوس والجيوش الذى انشأه وهو الجيش الذى شبهه الدكتور عبد اللطيف أحمد على بجيش هانيبعل^(٨).

ومنذ ذلك الحين ظلت الجيوش الرومانية تتألف من اتباع لكل من ماريوس وسولا ويومبى وقيصر مما جعلها من مصادر القلق والخطر المستمر على الدولة، وإن كانت فى نفس الوقت أجهزة رائعة للقتال كفيلة بتأمين حدود الإمبراطورية، وأستمر الأمر كذلك إلى أن أحيا أوغسطس فى نفوس الرومان من جديد الشعور بالواجب نحو الدولة.

- عموماً فقد اساءت الحرب مع يوجورثا إلى سمعة حزب السيناتوس الذى عرف باسم الحزب الارستقراطى Optimae وقللت من هيئته وزاد من تزعزع مركزه الهزائم التى منى بها قواد هذا الحزب فى اثناء غزوات الكمبرى والتيوتون وقد شجع ذلك زعماء الحزب الشعبى أوالديمقراطى Populares على شن سلسلة من الهجمات على حزب السيناتوس مستندين إلى تأييد ماريوس والتفاف الشعب حوله والفرسان.

(٨) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٥٦.

- وثمة ظاهرة أخرى أخذت تتفاعل لتزيد الموقف تعقيداً فى تلك المرحلة وهى حلفاء روما من الإيطاليين، إذ بدأ أهالى المدن الإيطالية الذين اخضعتهم روما فى بداية عصرها الجمهورى وفرضت عليهم التحالف معها وتقديم الجنود والسفن والمساعدات المختلفة فى وقف الحرب يضيقون بوضعهم وخضوعهم لشعب روما.

- إزداد الموقف تعقيداً حينما حدث انقسام داخل حزب الشعبين فى روما فوجدنا بعض زعمائهم المتطرفين يعملون إلى إنصاف الحلفاء الإيطاليين بمنحهم المواطنة الرومانية ومثل هذا الموقف كان يحقق هدفين لروما فى وقت واحد.

الأول: هو إرضاء الإيطاليين بأن يصبحوا مواطنين رومان وبالتالي ما يترتب عليه ذلك من تمتعهم بكل الامتيازات الرومانية وأهمها عطاءات الجنود.

الثاني: ان تكتسب روما مزيداً من الجنود فى الفرق الرومانية Legiones وبذلك تزداد قوتها العسكرية التى كانت فى حاجة مستمرة إليها.

- ورغم ذلك فكان السيناتورس وكثير من الشعبين أنفسهم يعارضون مثل هذا الحل بدعوى حرصهم على نقاء الدم الرومانى، أو الاستئثار بأكبر قدر من مكاسب الحروب.

- بلغ الموقف درجة الأزمة حين تعرض أحد زعماء العامة ويدعى دروسوس Drusus للقتل وكان ينادى بمنح المواطنة الرومانية للإيطاليين من موقعه كنقيب للعامة سنة ٩٠ ق.م ونتيجة لذلك قام الإيطاليون بغررة عارمة سرعان ما تحولت إلى حرب ضد روما عرفت باسم حرب الحلفاء، Socii^(٩) واشتهرت أيضاً باسم حرب المارسيه Marsi نسبة إلى المارسيون.

(٩) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٤٢ وقارن عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٦٢ ومحمد السيد عبد الغنى، مرجع سابق، حيث يرى أنها انتهت فى ٨٨ وعرفت باسم الحرب ضد الحلفاء Bellum sociale، ص ١٢٥.

- لم تتمكن روما من القضاء على هذه الثورة التي تحولت إلى حرب إلا بقبول منح الإيطاليين المواطنه الرومانية كاملة ولكنهم رغم ذلك استمروا يشعرون بأنهم مواطنين من الطبقة الثانية وذلك لسببين:

١- أنهم لم يصبحوا أعضاء في مجلس السيناتوس.

٢- منع تسجيل اسمائهم ضمن القبائل الرومانية القديمة.

- هذا الوضع الخطير نتج عنه فيما بعد انقسام الصراع السياسى إلى قسمين (حزبين).

(أ) حزب المحافظين، الذين يرغبون فى الحفاظ على النظام الجمهورى ممثلاً فى سيادة شعب روما.

(ب) حزب المجددين، الذين يدعون لإقامة الحكم المطلق بالمحافظة على وحدة الشعوب الإيطالية دون تمييز.

- عموماً وبعد انتهاء الحرب المارسية، التى استمرت ثلاث سنوات من ٩٠-٨٨ ق.م تعرضت روما لأخطر مواجهة عسكرية لها مع قوة أجنبية منذ نهاية الحرب البونيه الثانية وتمثلت هذه القوة فى ميثراداتيس السادس، وكان أشد طموحاً فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود، والتى كانت تتمتع بقدر واسع من الثراء والقوة العسكرية^(١٠)، إذ كان ميثراداتيس الخامس على علاقة طيبة بروما وتمكن من بسط نفوذه على جيرانه من المدن الصغيرة، إلا أن ابنه ميثراداتيس السادس كان أشد طموحاً فضم أجزاء واسعة من الساحل الشمالى للبحر الأسود وبذلك أصبح يسيطر على مملكه قوية فى الشرق بعد تدهور سوريا.

- انتهز ميثراداتيس فرصة انشغال روما فى الحرب الأهلية الدائرة بينها وبين الحلفاء الايطاليين وهاجم آسيا فى عام ٨٨ ق.م واكتسح القوات الرومانية بها ودبر مذبحة قتل فيها فى يوم واحد عدد يتراوح ما بين ثمانين

(١٠) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٢.

إلى مائه وخمسين ألفاً من الرومان والإيطاليين وصودرت أملاكهم لصالح الخزانة الملكية وهكذا خسرت روما آسيا ، وبات من الضروري لها التخلص من ميثراداتيس السادس^(١١) .

- واستمراراً لظاهرة العطف الشديد نجد Sulla الذى اختاره مجلس السيناتوس للتخلص من ميثراداتيس السادس، وبعد أن يتحقق له النصر على ميثراداتيس . يتحول إلى قائد عسكري يسيطر على أكبر جيش روماني موجود خارج إيطاليا، وحين نازعه في القيادة، الشعبيون، لم يتردد في أن يقود جيشه ويقتحم روما عسكرياً وان يشن حرباً شعواء على خصومه وأعمل فيهم القتل والتفكيك وهو ما لم يحدث في تاريخ روما من قبل .

- أقام سولا من نفسه دكتاتوراً وبقي في المنصب سنتين فيما بين ٨٢-٨٠ ق.م في حين أن منصب الدكتاتور كان مقررأ فترة ست أشهر فقط لشغله وفي حالات إستثنائية، وأصدر بموجب السلطة المخولة له كدكتاتور سلسلة من القوانين الغى بها كثير من امتيازات العامة وعمل على تأكيد سلطة السيناتوس .

- لم يستطع ان يوحد بين مصالحه ومصالح الدولة العليا، لأنه كان بالفطره مجرداً من روح العطف وهذا ما سلبه القدرة على معرفة حقيقة تلك المصالح، وفي هذا الصدد فقد قورن سولا بنباليون والمقارنة صحيحة من وجه نظر أو اثنين ولكنهما يختلفان كل الاختلاف في نقطه جوهريه، وهى القدرة على الإدراك المشمول بروح العطف .

- فنابليون على قسوته والتوائه في معظم الأحيان قد أظهر بوضوح عند تنظيمة شلون فرنسا أو سويسرا أو مصر أنه يدرك حاجات تلك الأمم وابتكر لها ما يعينها على الخروج من حالة الركود إلى حياة سياسة واجتماعية أفضل، وقد ادرك سلا أن الظروف تتطلب اقرار النظام بأى ثمن وحفظ السلام

(١١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٣ .

والقيام بالأصلاح ولكنه أقبل على عمله بروح تنم عن عدم اكتراثه بالشعب الذى يشرع له، ورغم أنه أمد كثير من مرافق الدولة بجهاز ادارى رائع. إلا أنه لم يمدّها بالقوة الدافعة لتسييرها.

- إن تشريعات سولا لم تكن كلها سياسية بحتة، ولا سيما ما يتصل منها بأعادة تنظيم سلك الوظائف الشرفية، والقانون الجنائى، وإجراءات الدعوى الجنائية إذ كانت جميعاً أعمالاً قيّمة، ولذلك لم يحاول أحد الغاءها فظل بعضها قائماً طوال فترة التاريخ الرومانى^(١٢).

- لقد قصد سولا بتشريعاته أن يعيد السيناتوس إلى مركزه القديم الذى تمتع به قبل ظهور تيبريوس جراكوس وأن يوطد سلطة ذلك المجلس *Patrum auctoritas* ويضمن استمراره فى ذلك المركز بوصفه الهيئة الوحيدة القادرة على حفظ الأمن واستقرار النظام.

- بعد وفاة سولا فى ٧٨ ق.م وحتى عام ٣١ ق.م شهدت هذه السنوات :

١- عودة ميثراديس ملك بونطوس إلى ساحة القتال ضد روما.

٢- ظهور ثورة العبيد تحت زعامة سبارتاكوس فى ايطاليا نفسها^(١٣).

٣- انتشار القرصنة فى البحر المتوسط.

٤- ظهور عدد من أهم القادة العسكريين الذين خلفوا سولا مثل بومبى وكراسوس ويوليوس قيصر وماركوس انطونيوس واكتافيانوس الذى لقب فيما بعد بأوغسطس.

وأخيراً فقد كان سولا كغيره من رجال ذلك العصر والعصور التالية يؤمن بالخط أو التوفيق *Felicitas, Fortuna* إيماناً شديداً حتى أنه لقب نفسه بسولا سعيد الخط أو الموفق *Felix* وكان قد أطلق على ابنه وابنته التوأمين فى عام

(١٢) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٣.

(١٣) عبد اللطيف أحمد على، مرجع سابق، ص ٨٤ - ٨٥.

٨٦ لقباً يحمل معنى مشابهاً Faustus et Fausta^(١٤)، غير أن هناك من يستبعد أن يكون سولا قد فهم الكلمة بمعنى قوة عليا مسيطرة على العالم من شأنها أن تسد خطاه السياسي فتبعده عن السعى وراء المصلحة الشخصية وترشده إلى الاهداف القومية السامية^(١٥).

- في عام ٧٤ ق م اشتعلت الحرب مرة أخرى بين روما وميثراداتيس ملك بونتوس Pontus فقاد لوكلولس الجيوش الرومانية واستطاع طرد ميثراداتيس من مملكة بونتوس نفسها في ٦٧ ق م.

- أما ثورة العبيد التي قامت بقيادة سبارتاكوس فقد بدأت بحركة تمرد قام بها فريق من العبيد في عام ٧٣ في إحدى مدارس المصارعين Gladiatores بمدينة كابوا Capua بأقليم كامبانيا Campania حيث كان العبيد يدرّبون على المبارزة لتسلية الجماهير في حلبات المصارعة Arenae وكان زعيمها هو سبارتاكوس Spartacus وكان طراقي وسائده زعيم آخر كلتي يدعى كريكسوس Crixus. وقد استمرت هذه الثورة من ٧٣ إلى ٧٠ ق م وقد تمكن ماركوس ليكينيوس كراسوس M. Licinius Crassus أحد ضباط سولا القدماء من قمع ثورة العبيد تلك تقريباً وذلك بعد أن عينه الـ Senatus قائداً على ست فرق ومنحه بصفه إستثنائية سلطه بروفنصليه لاتمام هذا الهدف، وقد أكمل بومبي على بقيتها، وعموماً فقد اكتسب كلاً من بومبي وكراسوس شعبية كبيرة مكنتهما من التقدم سوياً لمنصب القنصل Consul على الرغم من معارضة مجلس السيناتوس.

في نفس الوقت كان قراصنة البحر المتوسط قد ازدادوا قوة لدرجة مهاجمتهم لشواطئ إيطاليا نفسها وتهديدهم لتجارة الحبوب التي تعتمد عليها

(14) Balsdon. J.P.V.D., "Sulla Felix", J.R.S. 41, 1951, pp. 1-10.

(١٥) عبد اللطيف أحمد علي، مرجع سابق، ص ٩٩.

وهو L. Licinius Lucullus أحد ضباط سولا في حربه الأولى ضد Mithradates وقنصل عام ٧٤.

روما فى غذائها ، فعهد إلى بومبى بالقضاء عليهم ومنح بمقتضى قانون جابينوس، سلطات غير عادية واستطاع فعلاً ان يقضى على خطر القراصنة فى مدة لم تتجاوز الثلاثة أشهر.

- استطاع بومبى ان يستثمر انتصارات لوكلوس فى آسيا لصالحه فبقى فى آسيا فى الفترة من ٦٦ ق.م حيث نظم ثلاث ولايات رومانية هى:

- ١- بونتوس. ٢- سوريا. ٣- كيليكيا.

وأكد سيادة روما على هذا الجزء من العالم القديم.

- وخلال فترة غياب بومبى فى آسيا زادت شعبيه يوليوس قيصر فى روما ولذلك فحين عاد بومبى إلى روما حدث تحالف ثلاثى ضم كل من:

- ١- كراسوس. ٢- بومبى. ٣- يوليوس قيصر.

وذلك بدءاً من عام ٦٠ ق.م^(١٧) وبعد إنتهاء فئصلية قيصر استطاع الحصول على بلاد الغال القريبة لمدة خمس سنوات، ووضعت ثلاث فرق عسكرية رومانية تحت امرته، فقام قيصر بغزواته الشهيرة لبلاد الغال ابتداء من ٥٨ ق.م وحتى ٥٢ ق.م والتي سجل أحداثها فى عمله De Bello Gallico وحين عاد إلى ايطاليا بعد القضاء على الثورة القومية الغالية وانتهت مهمته بنجاح فى ٥١ ق.م كان قد تمكن من تكوين جيش قوى يدين له وحده بالولاء اعتماداً على شخصية ومشاركته لجنوده فى معاركهم وحملاتهم، ووجد كذلك تحالفه مع زملائه كراسوس وبومبى وأصبح بومبى وكراسوس بمقتضى هذا التحالف الذى تجدد فئصلين لعام ٥٥ ق.م.

- فى نفس الوقت ظهر خطر جديد يهدد روما وهو مملكة بارثيا التى قامت نتيجة للفراغ الذى خلفته الأسرة السلوقية بعد انهيار حكمها فى سوريا وعندما حاولت هذه القوة الجديدة السيطرة على تجارة الجزء الشرقى من

(١٦) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٥٠.

العالم القديم والذي كانت روما تعتبره منطقة نفوذ تجارية فأصبح ذلك مبرراً قوياً لحملة يقودها كراسوس لاختضاع بارثيا، لكن للأسف انتهت هذه الحملة بكارثة حلّت بالجيش الروماني وقتل فيها كراسوس نفسه.

- بوفاة كراسوس تفجر الصراع بين كل من بومبي وقيصصر، ووجد مجلس السيناتوس في بومبي قوة لا يستهان بها ليقف بها في وجه قيصر الذي رأى المجلس أنه يشكل خطراً مباشراً عليه، فعين بومبي قنصلاً منفرداً (وحيداً) واحتل مركز «بطل مجلس الشيوخ» (١٧).

- كان رد قيصر على إجراءات السيناتوس السابقة هو أن دخل إيطاليا بجيوشه بما يعد تحدياً سافراً لمجلس السيناتوس الذي دخل إيطاليا كقائد عسكري، فاندلعت الحرب الأهلية بين كل من قيصر (عدو السيناتوس) وبومبي (بطل السيناتوس) خاصة بعد أن استطاع قيصر أن يسيطر سريعاً على إيطاليا - واستمر الصراع بينهم خارج إيطاليا حتى انتهى بانتصار قيصر على منافسه في موقعة فارسالوس وهرب بومبي إلى مصر Aegyptus ، إلا أنه قتل عند نزوله للشاطئ، وانتهاز قيصر فرصة وجودة في مصر كمثل لروما في إنهاء الحرب الأهلية بها وإعلان كليوباترة السابعة ملكة على مصر بعد معركة ضد الإسكندرانيين احترقت فيها أجزاء كبيرة من الإسكندرية وربما كانت المكتبة بين الأماكن المحترقة (١٨).

- هكذا كانت إنتصارات قيصر المتتالية مبرراً كافياً ليركز كل سلطات الدولة في يديه وإضاف إلى اسمه لقب (إمبراطور) ومنحته الجمعية الشعبية Comitia Plebis Tributa لقب الدكتاتور Dictator وفي عام ٤٩ ق.م عدل التعيين ليصبح دكتاتوراً لمدى الحياة.

(١٧) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٥.

(١٨) حسين الشيخ، العصر الهلليستي (مصر)، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩، ص ٥١.

- لقد اغدقت على قيصر الكثير من الألقاب الشرفية والوظائف والامتيازات والسلطات مما لم يكن له مثيل من قبل في تاريخ الرومان فأثار هذا الاتجاه تأثرة الجمهوريين وبعض اتباع قيصر نفسه، واغتيل بيد أقرب أصدقائه ومنهم بروتوس Brutus في ١٥ مارس ٤٤ ق.م.

- بعد موت قيصر ظهر ماركوس انطونيوس M. Antonius كخليفه له كما ظهر ليبيدوس الذى شغل منصب قائد فرسان القصر وظهر أيضاً اوكتافىوس ابن أخ يوليوس قيصر الذى تبناه وجعله وريثاً له ليحمل اسم اغسطس فيما بعد.

- وفى عام ٤٣ ق.م قام ائتلاف ثلاثى آخر بين كل من ماركوس انطونيوس وليبيدوس وجايوس يوليوس قيصر اوكتافىوس لمدة خمس سنوات، وعموماً فقد أدى طموح كليوباترة السابعة ملكة مصر البطلمية فى الفترة من ٣٦ - ٣١ ق.م إلى خلق فجوة فى العلاقة بين كل من انطونيوس واوكتافىوس إذ انصلت كليوباترة بانطونيوس وأستمالته إلى جانبها بعد أن كانت قد فعلت نفس الشئ مع سلفة يوليوس قيصر آمله فى الزواج منه إلا أن مصرعه قضى على آمالها.

- تجددت آمال كليوباترة فى شخص انطونيوس الذى رأت ان بإمكانها السيطرة عليه وبالتالي على روما، فقاد اوكتافىوس حرباً دعائية ضد انطونيوس وكليوباترة ومشروعاتهما حول مستقبل الجزء الشرقى من الامبراطورية الرومانية ولذلك فعندما تولى اوكتافىوس منصب القنصل عام ٣١ ق.م أعلن الحرب على انطونيوس باعتباره خائناً لروما وانتصر عليه فى سوفة اكتيوم فى نفس العام وشهد العام التالى انتحار انطونيوس وكليوباترة لتتحول مصر إلى ولاية رومانية ذات طابع خاص.

عرضنا خلال ما سبق الظروف التى صاحبت تدهور الجمهورية الرومانية، واتضح من خلالها ضياع هيبة الدستور الرومانى ومجلس

السيناتوس (مجلس الشيوخ الروماني) بعد أن أصبح العنف لا الحوار هو لغة العمل السياسي، ذلك العنف الذي ظهر في أكثر من حادثه سبق التعرض لها تفصيلاً.

وهكذا كانت تلك الظروف بدورها ممهدة لظهور نظام سياسي جديد وهو النظام الامبراطوري الذي يبدأ بظهور جايوس يوليوس قيصر اوكتافيوس .
Gaius Julius Caesar Octavius

والآن نعرض لتاريخ الإمبراطورية الرومانية منذ النشأة ٣١ ق.م وحتى ٢٨٤ م.

ثانياً: العصر الإمبراطوري المبكر The Early Roman Empire

وصف السيرجون هامرتون في موسوعته تاريخ العالم معركة أكتيوم - قرب الشاطئ الغربي لبلاد اليونان - بأنها إحدى المعارك الفاصلة في تاريخ العالم^(١٩)، وبالرغم من ان تفاصيل المعركة لازالت غامضة حيث لا نعرف شيئاً عن اطوارها ولا طبيعتها ولا حتى عن الوقت الذي استغرقته - إلا أنها بالقطع لم تكن بالحجم القتالي المروع - كما زعم الشعراء الرومان^(٢٠) فقد قال الشعراء الرومان أن الملكة المصرية ولت هاريه مذعوره^(٢١) من هول بأس اكتافيوس وقال آخرون ان الملكة تخلت عن غريمها فجأة عندما ثبت عدم جدواه^(٢٢).

- دخلت قوات اكتافيوس في غرة اغسطس عام ٣٠ ق.م الإسكندرية حيث استولى عليها دون مقاومة، واحتراماً للمدينة وتاريخها أمر جنوده بعدم

(١٩) السيرجون هامرتون، موسوعة تاريخ العالم، الجزء الثالث ٥١٥.

(٢٠) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البهرية، دار النهضة العربية، ١٩٧٢، ص ٣٠-٤٠.

(21) Vergilius, Aen., VIII, 707 - 710.

(22) Propertius, III, II, 52 - 54.

التعرض للناس ولا لأموالهم^(٢٣)، والقى خطاباً باللغة الأغريقية أبدى فيه احتراماً وتقديراً، وزار قبر الإسكندر المؤسس وخلع عليه تاجه ووفاه ما يستحقه من التجليل ولما عرض عليه زيارة ملوك البطالمة رفض^(٢٤).

ورأى الدكتور سيد الناصري ان اكتوبر لم تكن لها أهمية عسكرية بقدر ماكان لها أهمية سياسية خطيرة للغاية إذ قلبت النظام الجمهورى رأساً على عقب فقد أصبح اكتوبر وحيداً لا ينافس، وانتهى قرن من الحروب الأهلية وبدأ عصر من السلام. ويضم مصر إلى حوزة الولايات الرومانية نجحت روما في ضم جميع اقطار البحر الأبيض المتوسط الذى اضحى بحيرة رومانية Mare Romanum فى بناء سياسى وحضارى واحد دام فترة تزيد عن خمسة قرون من الزمان هى التى نسميها الإمبراطورية الرومانية^(٢٥).

- اكتوبر والحكم الإمبراطوري،

- وهكذا شاء القدر أن يصبح هذا الشاب النحيل البنية، الفولاذى الإرادة حاكم روما وسيدها لمدة أربع وأربعين عاماً، وعن طريق التبنى أصبح يتمتع بلقب «قيصر» ويحقه فى المطالبة بأنه وريث ذلك الراحل العظيم «يوليوس قيصر».

(23) Dio - Cassius, LI, 16, 3 - 5.

(24) Suetonius, Divus Augustus, XVII, 1,

(٢٥) سيد أجمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسية والحضارية، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، ص ٢٠.

وبموت كليوباترة آلت الإسكندرية ومصر إلى حوزة روما وأعلن أغسطس للشعب الرومانى فى سجل أعماله Res Gestae والمسمى بنقش أنقرة أنه قد اضاف مصر إلى سلطات الشعب الرومانى وابتهاجاً بهذه المناسبة ظهرت عملة تذكارية خاصة تحمل جملة «مصر سقطت، Aegypto Capta».

- Bagnall Roger S. and Rathbone Dominic W., Egypt From Alexander to the copts An Archaeological and Historical Guide, The British Museum Company Ltd, 2004, p. 16.

- دعم اوكتافيوس نفسه عن طريق المصاهرة فأصبح بعد زواجه من ليفيا، ممثلاً لأسرتين من أعرق الأسر الرومانية هما آل ليفيوس Livii وآل كلاوديوس Claudii .

- خلال صراعه مع انطونيوس خرج من الأتلاف الثلاثي الثاني الذي كان يضمه هو وانطونيوس ولبيدوس وذلك بحجة إنقاذ الجمهورية وفي العام التالي انتخب قنصلاً وكال له السيناتوس كثير من المناصب والسلطات الدستورية والشرفية وتذكرنا جميعها بما كاله السيناتوس من قبل من مناصب وسلطات ليوليوس قيصر ، وادت إلى تحوله إلى دكتاتور مطلق ولهذا رفض اوكتافيوس ان يصبح دكتاتوراً بذكاء شديد.

- وفي ١٣ يناير عام ٢٧ ق.م تنازل اوكتافيوس عن كافة سلطاته الاستثنائية وغير الاستثنائية التي وضعها السيناتوس بين يديه إبان حربه ضد كليوباترة، وأعلن أنه يدخل السيناتوس والشعب الروماني في كافة سلطاته (٢٧) . وذلك في خطبة وصف ديون كاسيوس إحساس مستمعيهما بأن كان بينهم المصدق وغير المصدق (٢٨) .

- لقد قسمت ولايات الإمبراطورية تبعاً لهذا الحادث إلى قسمين :

الولايات السيناتورية Senatorial States

الولايات الإمبراطورية Imperial States

(27) Ronald Syme, The Roman Revolution, Oxford clarendon Press, 1939, p. 324. CF

- March F.B., The Founding of the Roman empire, London, 1931.

- Hammond M., The Augustan Principate, London, 1933.

ومصطفى عبد الحميد العبادي، مرجع سابق، ص ٨٤ حيث يقرر ان جاء رد فعل السيناتوس أمام تلك الخطوة التي اتخذها اوكتافيوس برد سلطاته إليه مرة أخرى على معظم ارجاء الإمبراطورية خاصة السلطة العسكرية إذ كان ارتباط الجيش بأوكتافيوس من القوة بحيث لا يمكن الفصل بينهما بأي قرار من قرارات السيناتوس.

(28) Dio Cassius, LIII, 11 - 12, 16 - 22, 30 - 32.

إذ منح السيناتوس حق الإشراف على الولايات المستكينة التي يستطيع السيناتوس جنى ثمارها دون خوف من ثورة أو تمرد ومنها:

- ١- ولاية أفريقيا. ٢- ولاية نوميديا (الجزائر). ٣- ولاية آسيا. ٤- ولاية اليونان وبيروس. ٥- ولاية دالمتيا. ٦- ولاية مقدونيا. ٧- ولاية صقلية. ٨- ولاية كريت. ٩- ولاية بركة (قورينه) والأراضي الليبية حولها. ١٠- ولاية بونتوس. ١١- أراضي بيلثنيا Bithynia الواقعة حولها وسردينيا. ١٢- ولاية بايقيكا Baetica في جنوب أسبانيا وجميعها عرفت بالولايات السيناتورية.

- واحتفظ أوكتافوس لنفسه بما تبقى من:

- ١- أسبانيا. ٢- بلاد الغال وما حولها. ٣- بلجيكا. ٤- المانيا حتى حدود الراين وذلك في الغرب.

- أما في الشرق فاحتفظ بـ:

- ١- سوريا (سوريا + لبنان فلسطين حالياً). ٢- فينيقيا. ٣- كيليكا بآسيا الصغرى. ٤- قبرص. ٥- مصر.

- السلطات التي حكم بموجبها الإمبراطورية،

Imperium	١- الإمبريوم العسكري
Augustus	٢- اللقب الأوغسطي
Imperator	٣- اللقب الإمبراطوري
Tribunicia Poestas	٤- السلطة التريبونية
Imperium Maius	٥- سلطة الإمبريوم الأعلى

أولاً: الإمبريوم العسكري،

وهي السلطة التي تخول لأوكتافوس قيادة الجيوش، وكان ذلك بهدف إدارة الولايات التي كان لا يزال يصعب تحقيق السلام فيها مثل أسبانيا وبلاد الغال وسوريا ومصر التي تحولت لتصبح ولاية رومانية Provincia Romana وقد منحت له لمدة عشر سنوات قابلة للتجديد.

ولم يكن لديه حق استخدام هذه السلطة-في الولايات السيناتورية ولكنه كان يتدخل في شئون إدارتها عن طريق السلطة المدنية Auctoritas والتي أفرد لها الأستاذ شيلفر مقالاً خاصاً^(٢٩) وبهذه السلطة استطاع أوكتافيوس تركيز السلطة العسكرية في يده .

ثانياً: اللقب الأوغسطي Augustus (*).

وهو لقب انعم به السيناتوس على أوكتافيوس وقد أضفى عليه هبة خاصة، لأنه كان يطلق في الأساس على الآلهة، وقد اناب عنه ممثلين شخصيين Legati لحكم الولايات الرومانية التي أخذت في الاتساع وحتى في الولايات السيناتورية الحديثه العهد بالنظام الروماني وضع اغسطس بها قوات رومانية لحفظ الأمن كانت تابعة للجيش الروماني الذي كان معظمه قابعاً في الولايات الإمبراطورية، وهكذا تحكم في الفرق الرومانية Legiones التي كان يرأسها ضباط كان يختارهم اغسطس بنفسه .

ثالثاً: اللقب الامبراطوري:

- كانت أول مرة بلقب فيها أوغسطس بالإمبراطور بعد إنتصاره في موقعة موتينا Mutina في غالة القريبة سنة ٤٣ ق.م، وقد حول هذا اللقب إلى صفة دائمة، بل اتخذ كاسمه الأول Praenomen في عام ٣٨ ق.م^(٣٠) .

(29) Chilver G.E.F., Historia, 1950, p. 420.

(*) اسم مشتق من الفعل اللاتيني Augeo ويعني المهيبة وترجمته باليونانية Sebastos وربما كان تعني أيضاً المختار بحسن الطالع .

(٣٠) سيد أحمد على الناصري، مرجع سابق، ص ٢٩، حيث يذكر أن اغسطس قد كتب مفاخره "لقد نودي بي قائداً أعلى Imperator ولعداً وعشرين مرة .

Appellatus Sum Viciens Imperator

في حين يذكر مصطفى العبادي أنه تلقب به أوغسطس سبعاً وعشرين مرة، راجع مصطفى العبادي، مرجع سابق، ص ٨١، وفي وجهة نظره أيضاً ان اوغسطس اعتمد عموماً في قوته على الجمع بين سلطتي الجيش والشعب واعتمد في ذلك على السلطان البروقنصلي Imperium Proconsulare والتي منحته حق قيادة الجيوش والسلطة التريبونية والتي منحته حق تمثيل الشعب مع التمتع بحق الاعتراض Veto على اعمال السيناتوس، ص ٨٢.

- وقد تلقب بهذا اللقب من قبله ماريوس وسولا ويومبيوس ويوليوس قيصر.

رابعاً، السلطة التريبونية؛

منح السيناتوس اغسطس حقوق تريبون العامة والتي بموجبها يحصل على:

١- حق القداسة والمناعة ضد أى عقوبة Ius Sacrosancititas

٢- حق تقديم المساعدة العسكرية لمن يطلبها Auxilium

٣- حق الاعتراض Intercessio

٤- حق دعوى الجمعية القبلية للانعقاد Ius Agendi Cum Plebe

٥- حق سن القرارات Rogatio

٦- حق دعوة السيناتوس للانعقاد Ius Senatus Consulendi

خامساً، سلطة الامبريوم الأعلى؛

بفضل سلطة الامبريوم الأعلى تمكن اوغسطس من وضع حكام الولايات الرومانية الأخرى تحت تصرفه وقد حرص أغسطس على ألا يسلم هذه السلطة على الإطلاق حتى مات.

وكان آخر منصب توج به اغسطس منصب أبو الوطن Pater Patriae وذلك فى العام الثانى ق.م وهو أعلى منصب سياسى.

إصلاحات اغسطس؛

١- فى المجال السياسى؛

١- أدرك اغسطس أهمية السيناتوس بالنسبة لروما فاكتفى بتطهيره من العناصر المندسة فيه والتي تسلت إليه أثناء الحروب الاهليه فأصدر فى ٢٨ ق.م قائمة جديدة لاعضاء مجلس السيناتوس حذف منها حوالى مائتين عضو وجاء اسم اغسطس فى أعلى القائمة كرئيس للسيناتوس . Princeps Senatus

٢- أمسك اغسطس بالوظائف المؤدية لعضوية مجلس السيناتوس وحرص على ان يرشح لها المخلصين من رجاله دون غيرهم، وهكذا دخل الفرسان لأول مرة مجلس الشيوخ ليصبحوا اعضاء فيه وبذلك لم يعد السيناتوس منغلِق على نفسه كما كان فى السابق.

٣- بدأ السيناتو يتحول إلى محكمة دستورية عليا يرأس اجتماعاتها القنصلان لمحاكمة مرتكبى المخالفات وخصوصا الخيانة العظمى Proditio Patriae، وكان الإمبراطور يرجع إلى استشاره السيناتوس ومشاركة وليس إلى اتباع أوامره فيما يخص القضايا الهامة.

٤- انشأ اغسطس ٢٧-١٨ ق.م لجنة سيناتورية إستشارية Consilium مكونه من كبار المسؤولين ومن القنصلين مصافاً إليهم خمس عشرة سيناتوراً يختارون بالقرعة وقد حرص اغسطس ان يضع الحروف EX.S.C (*) فى نهاية أى قرار ينفذه وعلى المبائى العامة وحتى على النفود وقد فعل اغسطس ذلك حتى يكسب السيناتوس إلى جانبه

٥- اعتمد على طبقه الفرسان Ordo Equester إذ كان فى حاجه ماسة إلى مفوضين عسكريين بسلطات خاصة لقيادة الفرق المقيمة فى الولايات الرومانية المختلفة، وكان أيضاً عليهم بحبراتهم فى مجال الاقتصاد والمال فعهد إليهم بأعمال الوكلاء الماليين.

٢- فى المجال العسكرى:

١- أدرك الامبراطور أن العالم قد سادته السلام وأنه ليس بحاجة إلى الحشد العسكرى ولذا بدأ عدد الفرق الرومانية يأخذ فى التناقص إلى أن أصبح ثمان وعشرين فرقة بعد أن كان ستين فرقه وبعد أن قام الامبراطور بتسريحهم كان يوطنهم فى مستعمرات اشترهاها من ماله الخاص وليست مصادره بقوة السلاح.

(*) بناء على مشورة السيناتوس = EX.S.C. = EX Senatus consulto

٢- تخلص من الجند واعدادهم الكبيره عن طريق اقامة محميات فى المناطق الاستراتيجية على طول الامبراطورية وانشأ قاعدتين للأسطول الرومانى فى كل من Misenum ورافنا Revenna .

٣- أنشأ خدمة بريدية Cursus Publicus على طول الطرق والكبارى وعلى الممرات المائية الهامة لنقل الرسائل ولتحريك القوات العسكرية بسهولة ولضمان توصيل المؤمن والعتاد إليها .

٤- بدأ سياسة التسكين العسكرى وابقى على نظام التطوع فى التجنيد بالرغم أنه اضطر إلى إلزام الناس على الانخراط فى الجيش فى بعض الاحيان وبدأ فى اختيار الضابط المدربين المحترفين فرفع بذلك مستوى الضباط كما أبقى على تكوين الجيش من جزئيه التقليديين وهما الفرق الرومانيه

Legiones والقوات المساعدة Auxilii .

Auxilii

Legiones

تجنّد من الشعوب والقبائل غير الرومانيه
التابعه للإمبراطورية وقسمت إلى Alae وهى
المشاة وإلى وحدات خيالة
- عدد تسريح الجنود فيها كانوا يمنحون
الجنسيه الرومانيه لهم ولأسرهم مكافأة
لخدمتهم.

تشمل الجنود الرومان من داخل ايطاليا أو
المقيمين فى ولايات الامبراطورية أو من
حملة المواطنة الرومانيه Civitas Romana .
- كل فرقه مكونه من سته آلاف جندى
- أصبح عدد الفرق ثمانى وعشرين فرقة

٥- اضاف إلى الجيش قوة جديدة وهى قوة الحرس البرايتورى Praetoriani
وقسمها أغسطس إلى تسع وحدات من الخياله Cohortes يتكون كل منها
من ألف راكب، وكان جنود الحرس البرايتورى يختارون من الايطاليين
ويتقاضون رواتب عاليه .

٦- حرص أوغسطس دائماً على إرضاء الجنود إتقاعاً لشهرهم فأدخل عام ١٣ ق.م نظام المكافأة المالية بدلاً من منح الجندي المسرح قطعة أرض معينة وكان جندي الحرس البرايقتورى يتسلم ثلاثة آلاف دينار روماني.

٧- أدرك أهمية تأمين وجراسة الشواطئ الايطالية وتأمين البجار من خطر القراصنة فأنشأ قوة بحرية دائمة وجعل قيادتها في مدينة رافنا ومسينوم Misenum ولكن كان سر قوة الجيش الروماني يكمن في قواته المسلحة البرية وليست البحرية^(٣١).

٢- في المجال الإداري،

- من انتجازات اغسطس الكبرى تكوين جهاز إداري دائم، ولم تكن فكرة الجهاز الإداري جديدة تماماً، فمنذ الحرب البونية الثانية كان قد إعتاد حكام الولايات استخدام المحررين من العبيد والعبيد الذين يمتلكونهم كسكرتاريين ومحاسبين ومديرى اعمال لهم^(٣٢).

- كانت هناك حاجة ماسة إلى الجهاز الإداري في روما أو ايطاليا وذلك من أجل الإشراف على الخدمات الحيوية مثل:

١- إمداد روما بالقمح Cura Annonae

٢- توزيع القمح على المواطنين الرومان Frumentario

٣- امداد روما بالماء Cura Aquae

٤- الشرطة والإطفاء.

٥- منع الفيضانات.

٦- رصف وصيانه الشوارع والأسواق العامة.

(31) Starr C. G, The Roman Imperial Navy, London 2nd ed., 1960, p. 60.

(٣٢) مصطفى عبد الحميد العبادي، مرجع سابق، ص ٨٨.

أما أهمية الجهاز الإدارى فى الولايات فكانت ترجع إلى:

١- إدارة الممتلكات الخاصة بالأمبراطور.

٢- جباية الضرائب.

٣- تزويد الجيوش بالإمدادات والتموين.

٤- المنشآت العامة وبريد الإمبراطور

العناصر التي اعتمد عليها أوغسطس في جهازه الإداري:

١- أعضاء السيناتوس. ٢- طبقه الفرسان. ٣- المحررين من

العبيد.

١- وظائف أعضاء السيناتوس في الجهاز الإداري:

١- رئيس الشرطة

وكان تحت امرته قوة من رجال الأمن من ثلاث فصائل قوة الفصيلة ألف جندي وكان يختار ذاتها من فئة القناصل.

٢- مدير هيئة المياه: وكان يعاونه عضوان من السيناتوس بالاضافه إلى ٢٤٠ عبد مدربين لخدمة قناطر المياه ومحطات مياه المدينة،

٣- هيئة منع الفيضانات: وهي هيئة أخرى مكونه من خمسة أعضاء من السيناتوس من طبقه القناصل.

٤- هيئة إمداد القمح: برئاسة عضوين من السيناتوس من طبقه القناصل وكان لهذه الهيئة مكاتب فرعية فى ميناء بيوتولى وكذلك فى ولايات الامبراطورية المنتجة للقمح.

ب- وظائف الفرسان في الجهاز الإداري:

١- سلك النيابة القضائية التي كانت جزء من الإدارة المدنية.

٢- ضباط فى الحرس البرابيتورى أو فى شرطه المدينه أو فرق الاطفاء.

٣- مشرفين ماليين Procuratores أو مندوبى الامبراطور فى الولايات. وكان يحق للمشرف المالى أن يحكم ولاية رومانية خاصة إذا كانت

ج- وظائف المحررين من العبيد:

١- فى البداية تولوا الأعمال الأكثر تواضعاً ثم تولوا بعد ذلك مناصب ذات ثراء وسلطان ومنها الأعمال الكتابية للمراسلات الإمبراطورية.

٢- أصبحوا هم المسؤولون عن إدارة الإيرادات والمصروفات فى الإمبراطورية، الذهب من أسبانيا ودالماتيا، القمح من أفريقيا ومصر، الضرائب والجزية من الولايات والملوك التابعون لروما، اللؤلؤ من المحيط الهندى.

٣- أصبحوا يقرّون ما تنفقه الدولة فى المجالات المختلفة مثل السلاح - قناطر الماء - المعابد - القصور - المباريات الاحتفالات - الطرق والكبارى - الموانئ - وزن العملات الذهبية والفضية - الضرائب والجزية القادمة من الولايات - رواتب الولاة ورؤساء الإدارات العسكرية Praefecti والمشرّفين الماليين.

٤- تلقى الالتماسات والرجوات سواء كانت فى صورته شكوى ضد الابتزاز من مجالس الولايات أو طلبات لتولى مناصب مدينة أو كهنوتيه أو رجوات لعق العبيد^(٣٤).

فى المجال الاجتماعي والاخلاقي والديني:

١- الإصلاح الديني:

- لقد كان المجتمع الرومانى قبل اغسطس مجتمعاً محطماً خالقياً واجتماعياً، لم يعد يهتم بممارسة الشعائر الدينية التى خلفها له الأولون حقيقة أن آلهة الرومان القديمة لم تكن قد ماتت تماماً ولكن الظروف الجديدة ساعدت على مولد آلهة جديدة.

- شهدت هذه الفترة مولد عبادة الدولة، فى شخص الربة Roma وجوبيتر الكابيتولى Juppiter Capitolinus ولم يكن هذا الاتجاه السياسى

(٣٤) مصطفى عبد الحميد العبادى، نفس المرجع السابق، ص ٩٣.

الدينى جديداً على الرومان الذين كانت ديانتهم دائماً وأبداً تعبيراً عن القومية والوطنية ورمزاً للقوة والسيطرة .

لقد تعرضت الآلهة الرومانية القديمة لتيارات منافسة قادمة من الشرق الغنى بالتراث الدينى والروحى إذ تسالت آلهة جديدة سرعان ما فرضت نفسها على المجتمع الرومانى الريفى كما ان الناس بدأوا فى تقبلها وذلك لأنها كانت تشبع متطلباتهم من الغذاء الروحى الصوفى .

لم تجد المذاهب والطوائف الدينية وقتاً أنسب للإزدهار من مثل هذا العصر، فظهرت الفيثاغوريه الجديدة والأورفية وأصحاب نظرية قدوم المخلص المنتظر وقد بلغت هذه التيارات الدينية الفلسفيه أقصى رواجها فى أعقاب الحروب الأهلية .

ومن أهم المؤثرات التى تثبت امتزاج الدين بالدنيا ظهور نوع جديد من الشعائر والعبادات التى تهدف إلى غرض مادى دنيوى، إذ ازدهرت فى هذا الوقت ربه جديدة هى ربة الحظ السعيد Fortuna كذلك ازدهرت عبادة مركوريوس (هرميس الاغريقى) رب الرخاء والخير المفاجئ، واللاريس Lares ربات وراعات الأسرة والبيئاتىس حاميات الديار والحياة المنزلية وكلها كانت تبرز تقدماً كلما عصفت الثورة وظهرت آثار الحرب الاقتصادية القاسية على المجتمع .

- كان اغسطس صبياً عندما كانت تفتح المجتمع الرومانى مثل هذه التيارات لذا اتجه إلى ميدان البعث والاحياء من التراث القديم . وكانت الخطوة الأولى هى ترميم المعابد والأماكن المقدسة واصلاح ما عبثت به الحروب ونعرف من سجل اعماله أنه رمم اثنتين وثمانين معبد بالإضافة إلى المعابد الكبرى مثل معبد جوبيتر الكابيتولى وهو مركز عبادة الدولة الرسمية ومعبد الأم الكبرى Magna Mater .

- كذلك لم يأل جهداً فى كسب عشاق التيارات الدينية الجديدة وعبادة الآلهة الوافدة من الشرق فأقام المعابد والمحاريب لربات الخير والبركة مثل فورتونا ربة الحظ وباكس ربة السلام Pax ومركوريوس رب الخير الوفير .

- عموماً يمكن القول بأن اغسطس لم يترك تياراً دينياً إلا وجنده لتدعيم مركزه إذ مهد اغسطس لعبادته بأن جمع كل الاتجاهات الدينية والعقلانية فى عبادة الاله يوليوس (قيصر) Divus Iulius (٣٥).

ب- الاصلاح الخلقي والاجتماعي:

كان طبيعياً يتجه اغسطس إلى حقل الاصلاح الخلقي والاجتماعي لاستكمال حلقة الاصلاح التى كان المجتمع الرومانى فى أشد الحاجة اليها، وذلك بعد ان ضاعت القيم اثناء الحروب الأهلية واستهتر الناس بالاخلاق والمثل، وكذلك فقد تفككت الأسرة الرومانية خاصة تلك التى فقدت عائلتها، وقل عدد الرجال بينما تزايد عدد النساء مما أدى لانتشار الفساد الخلقي وقد أصدر اغسطس فى هذا الصدد مجموعة من القوانين يمكن أن نوجزها على النحو التالى:

١- مجموعة قوانين يوليوس الخاصة بالزواج

Leges Iuliae De Maritandis Ordinibus

- وقد شجعت هذه القوانين الشباب على الزواج بأعطاء امتيازات للمتزوجين على حساب العزاب.

- كما شجعت المتزوجين على الإنجاب فجعلت الذين انجبوا ثلاث أبناء فأكثر لهم أولوية الترقى فى الوظائف العامة وهو ما عرف «بحق الأبناء الثلاث» Ius Trium Liberum.

- أشتملت على قوانين تحارب الزنا وخيانة النساء لأزواجهن وأيدت حق الأب فى أن يقتل ابنته الزانية والرجل الذى ارتكبت معه جريمة الزنا إذ ضبطهما لحظه ارتكاب هذا الأثم.

- شملت قوانين خاصة بالحد من الاسراف ومظاهر البذخ خاصة وان

(٣٥) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٩٢ - ١٠٢.

البساطة Simplicitas كانت صفة جوهرية من صفات الرومانى القديم التى حاول اغسطس أحياءها .

٢ - مجموعة قوانين عتق العبيد،

ادرك اغسطس الخطر الذى يحدثه تزايد عدد العتقاء من العبيد ولهذا الغرض اسس قانونين هما :

١ - ايليوس سنتيوس Lex Aelia Sentia

٢ - فوفيوس كانينيوس Fufius Caninius

بهـدف تقييد عتق العبيد والحد منها حرصاً على رفع خامة الجمهور الرومانى كما أصدر قانون يوليوس نوريانوس Lex Iulia Norbana الذى الغى العتق ما لم يستوفى الإجراءات الخاصة بذلك والتى كان الرومان يتجاهلونـها تـهريأ من دفع الرسوم المقررة^(٣٦).

وانتهت حياة أغسطس ذلك الرجل الذى بفضل كفاحه وذكائه استطاع وهو فى الرابعة والثلاثين من عمره أن يرسى دعائم امبراطورية قوية عالية قدر لها أن تبقى خمسة قرون من الزمان قبل أن تسقط، وظلت اصلاحاته وأفكاره الواجهة العظيمة للإمبراطورية التى لا يقدر أحد على التبديل أو التغير فيها لما يقرب من ثلاثة قرون من بعده حتى اعاد دقلديانوس النظر فيها بعد أن تغيرت الظروف وساءت الأحوال .

- خلفاء أغسطس،

أباطرة الأسرة اليوليوكلاودية ١٤م - ٢٨م؛

بعد وفاة أوغسطس تولى الحكم أربعة أباطره من أسرته فى الفترة من ١٤- ٦٨م وتلقبوا بأسم الأباطره اليوليوكلاوديين نسبة إلى يوليوس (عشيرة أغسطس) وكلاوديوس (عشيرة ليثيا زوجته) وهم:

(٣٦) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٠٦ .

تيبيريوس وكاليجولا وكلاوديوس ونيرون، ولم يشهد عهدهم أى نزاع أو خلاف حزبي إذ أرسى أغسطس بالفعل نظام تولى العرش. ولكن هذه الأسرة ومع مرور الوقت بدأت فى الضعف وانهارت فى عام ٦٩ بظهور فسباسيانوس الذى نصب نفسه امبراطوراً بقوة السلاح بعد اغتيال نيرون ليؤسس بذلك أسرة جديدة وهى الأسرة الفلأقية.

- تيبيريوس ١٤م - ٣٧م.

- اسمه تيبيريوس أغسطس قيصر تولى الحكم وهو فى سن الخامسة والخمسين.
- لم يفتصب الكثير من سلطات السيناتوس كما فعل أغسطس من قبل.
- لم يشهد عهده احداثاً مؤثره لإن الأمور كانت قد استتبت بالفعل فى عصر اغسطس ما عدا تمرد لبعض القوات الرومانية على ضفاف الراين.
- قبل وفاته أوصى ان يؤول العرش إلى جايوس كاليجولا.
- كان يعانى من التردد وعدم الثبات على رأى ولكنه كان مع ذلك حارماً فى تطبيق القانون.

- فيما يخص السياسة الخارجية حاول أن يسير على نهج سلفه اغسطس.
- حرص على استمرار المجلس الاستشارى القديم الذى انشأه اغسطس من بين اعضاء مجلس السيناتوس بغرض دراسة شئون الامبراطورية^(٣٧).
- فيما يخص سياسة المالية والاقتصادية فقد كان تيبيريوس شحيحاً إذ خفض النفقات العامة مثل التى كانت تخصص للانفاق على التسلية والمهرجانات الرياضة التى اعتاد الشعب الرومانى عليها وكانت نتيجة الحرص المالى ان تراكمت المدخرات فى الخزانة العامة.

- لم يكن على وفاق مع السيناتوس بعكس اغسطس الذى كان ذكياً، وقد هاجم تيبيريوس السيناتوس علناً ورفض فى بعض الأحيان أن يجتمع به بل مناق ذرعا بتصرفات بعض زعمائه من أمثال ارونينيوس وغيره اسينيوس جالوس^(٣٨).

(٣٧) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٤٢.

(٣٨) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٤٣.

- جايوس كاليجولا Gaius Caligula، ٣٧ - ٤١ م

- تولى عرش الإمبراطورية ولم يتعد عمره الخامسة والعشرين ربيعاً
وساد الفرح والرضا الناس بعد اختياره .

- بدأ عهداً جديداً فأطلق سراح المسجونيين السياسيين والغي نظام
المخبرين، وخفض الضرائب عن كاهل الناس، وزاد اعتمادات النفقات العامة .

- اعاد نظام الانتخابات عن طريق المجالس الشعبية .

- أبدى روحاً عصرية وتقدمية فى حبه للمسرح والرياضة والمهرجانات
بعكس تيبريوس تماماً ومن ثم أصبح معبود السيناتوس والجماهير الرومانيه فى
أوائل حكمه (٣٩) .

- لم يكد يمضى ستة أشهر على توليه العرش حتى داهمه مرض شديد
أثر على قواه العقلية والنفسية ونهض منه وقد ظهرت عليه علامات الجنون،
وبنى جسراً عالياً ربط ما بين القصر الإمبراطورى فوق تل البلاتين ومعبد
جوبيتر الذى أعلن أنه شقيقه .

- أهم أعماله قيامه بأصلاح الطرق الهامة فى اسبانيا وبنى فناً فى
بولونيا لارشاد السفن القادمة من بريطانيا، وعاقب مقاولى انشاء الطرق
الايطاليين ممن فشلوا فى تنفيذ عقودهم على الوجه الأكمل ثم شرع فى بناء
جسر لنقل المياه Aquaduct فى روما .

- انشأ العديد من الولايات والممالك فى تراكيا وأرمينيا ليعين عليها
اصدقائه وعين صديقه اليهودى هيروديس اجريبيا ملكاً على ربع يهوذا
(جوادايا) Judaea .

- أدى اصراره على الزام الشعوب فى الإمبراطورية على اعتباره رياً فى

(٣٩) حسين أحمد الشيخ، الرومان، ص ٦٠ .

صورة البشر إلى نشوب خلاف بينه وبين اليهود الذين كانوا قد أعفوا من هذا الألتزام.

- - زادت كراهية الرومان للامبراطور جايوس كاليجولا لتصرفاته البعسفية ومحاولته ملء الخزانه عن طريق مصادرة الأموال وفرض الضرائب على الناس وتزوير الوصايا حتى قتل على يد الحرس البرايتورى.

- كلاوديوس Claudius، ٤١ - ٥٤ م

- تلقى تعليمه على يد المؤرخ الرومانى تاكيٲوس، وكانت له دراسات فى سير العظماء وفى الآثار والتاريخ ومن أشهر أبحاثه بحثه عن اغسطس، وعن تاريخ قرطاجة ودولة الاتروسكيين.

- كان محباً للشرب ومتيماً بالمراهنات ولعب النرد حتى أنه ألف فيها كتاباً وكان سادياً محباً لمشاهدة المهارزات الدامية ويطيل التأمل فى وجه القتلى من المتبارزين.

- تمتع بموهبه كبيره فى كسب عطف الناس، وكان متيماً بحب اغسطس لدرجة أنه جعل اسمه القسم الأعظم، وقد ثبت أنه أعظم الأباطره الذين حكموا روما فبسياسته الليبراليه ومثاليته وحسه المتواصل على العمل وأداء الواجب أصبح يتفوق على سابقيه حتى اغسطس نفسه.

أما عن سياسته واصلاحاته:

- أظهر الامبراطور احترامه وتبجيله للسيناتوس وفعل كل ما بوسعه ليجعله يشارك فعلياً فى الحكم ولكن ما اغضب السيناتوس هو اتجاه هذا الإمبراطور الى الاعتماد على العبيد والعقاء فى تسيير شئون الإمبراطورية.

- أوقف المهازل التى كانت ترتكب ضد المواطنين الأبرياء بأسم الخيانة العظمى وحد من نفوذ المخبرين المحترفين.

أهم تجديداته هو تطويره لوظائف الأمناء التى كان اغسطس قد أوجدها

وحولها إلى دواوين لها اختصاصاتها وجعل لها رؤساء، هم نخبة رجال الامبراطور من العتقاء والطموحين وكان مديروا الدواوين رجالاً ذوى نفوذ قوى على الامبراطور وبالتالي أصبح لهم تأثير كبير فى رسم السياسة العامة للامبراطورية.

- بدأ عهده بحركة واسعة للإنشاء والتعمير فأكمل جسور مجارى المياه التى كان ابن أخيه كاليجولا قد شرع فيها ورمم القديم منها.

- أعطى اهتماماً خاصاً للتجارة الدولية إذ لم تعرف الامبراطورية حركة انتعاش واهتمام بالتجارة والمواصلات مثل تلك الحركة التى قام بها كلاوديوس.

- فيما يخص سياسته الخارجية - فقد كانت خروجاً على الانغلاق والجمود فقام بضم بريطانيا للامبراطورية الرومانية بهدف استغلال خبرات أهالى هذه الجزيرة وأنشأ هناك معبداً لروما ولأغسطس وبهذا دخلت عبادة الامبراطور فى الولاية الجديدة بل والعبادات السكندرية خاصة ايزيس التى عبدت بشدة فى بريطانيا وتركت أثراً قوياً فيها حتى بعد انتشار المسيحية.

كذلك أقام علاقات وثيقة مع ممالك البحر الأسود خاصة مملكة كيريميا عند مخرج هذا البحر تجاه روسيا وكان يهدف إلى جعل البحر الأسود بحيره رومانية وقام بتطهيره من عصابات القراصنة.

- على المستوى الشخصى كان حظه سيئ فى الزواج إذ تزوج أربع مرات ولم يكن من بين هذه الزوجات زوجة واحدة صالحة، بل كلهن كانوا سيئات، فاسدات، وطموحات وشريرات وقد انجب من زوجته الثالثة وتدعى ميسالينا ولداً وبناتا هما Britannicus وأوكتافيا Octavia وقد بلغ درجه الاستهتار بهذه الزوجه أنها أقامت علاقات مع رجال البلاط وشاعت علاقاتها الغرامية مع شاب ارستقراطى يدعى جايوس سيليوس Gaius Silius وانتهزت ذات مرة غياب الإمبراطور فى رحلة تفتيشية إلى ميناء Ostia وأقامت حفلاً لزفافها على هذا

الفتى فى القصر الأمر الذى آثار حنق رجال الامبراطور فقرروا التخلص منها^(٤٠).

- نيرون Nero، ٥٤ - ٦٨ م

- تولى الحكم بعد موت كلادىوس مسموماً وأصبح يسمى نيرون كلاودىوس قيصر Nero Claudius Caesar ووعده الحرس البرائيتورى بمكافأة ضخمة^(٤١).

- كان محباً للفنون وتلميذاً للفيلسوف والأديب الرومانى سينكا Seneca، وقد مارس نيرون حياة اللهو والبذخ الخرافى الذى نتج عنه افلاس الخزينة العامة وبالتالي اضطر إلى تخفيض قيمة العملة الرومانية ثم لجأ إلى عمليات المصادرة من أجل تعويض هذا الافلاس^(٤٢).

- كان منبع جنون نيرون ولعه الشديد بالثقافة والفن الأغريقى حتى فقد اتزانته، إذ تمنى أن ينقل بلاد اليونان وحضارتها والاسكندرية وفنونها ومؤسساتها إلى روما.

- حدث فى عهده حريق ضخم دمر حوالى عشرة أحياء وكانت خسائره مروعة واشغل مستشارو الامبراطور ذلك بأتهام المسيحيين بأشعال هذا الحريق عمداً نكاية منهم فى كراهية الشعب الرومانى لهم. ورأى البعض أن اليهود كانوا وراء الصاق هذه التهمة بالمسيحيين فقدم المئات من المسيحيين الرومان إلى المحاكمة بتهمة «الانتيان بأفعال فوضويه، وانزل بهم عقوبات بربرية، وكان هذا بداية اضطهاد الرومان للمسيحيين ويقال إن القديس مرقس ورفيقه القديس بولس هلكا خلال عمليات الاضطهاد الأولى تلك^(٤٣).

(40) Tacitus, Annales, XI, 26 - 27, Suetonius, Claudius, 29 :2
36, Dio Cassius, IX, 31.5.

(٤١) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ٦٢.

(42) Levick Barbara, The Governement of the Rornan Empire,
Croom Helm, London, 1985, pp. 15-17.

(٤٣) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٦٥.

- وفيما يخص حكم الولايات الامبراطورية فى عهد نيرون فقد تدهورت الادارة الرومانية للولايات ولم يهتم نيرون بالشعوب التابعه له اللهم إلا الاغريق، وإزاء هذه السياسه اندلعت حركات التمرد والثورات ضد الرومان خاصة وان هذا الامبراطور اعفى بلاد اليونان من ضريبة الرأس^(٤٤).

ومن الثورات التى قامت ضد الرومان فى عهد نيرون.

١- ثورة بريطانيا عام ٦١ م بزعامه ملكة الايكينين Icenى المسماة Boudicca بوديكا .

٢- فى الشرق اندلعت الصراعات فى مملكه أرمينيا بين روما والبارثيين .

٣- ثورة فلسطين كلها عام ٦٦ م بسبب سياسة الامبراطور الفاشله وجهل موظفيه وقسوة قواته وجشع جامعى الضرائب .

٤- ثورة بلاد الغال بزعامه فندكس Vindex التى شهدت مقتل نيرون لتنتهى بذلك الأسره اليوليوكلاوديه التى انشأها اغسطس .

كان العام الذى اعقب مقتل نيرون ٦٨ - ٦٠ م عام فتن وفوضى فى روما، تعاقب فيه على العرش اربعة اباطره هم:

جالبا أوتو فيليتيوس فسباسيانوس

وقد عرف هذا العام بأسم عام الأباطره الأربعة، فلم يكن الامبراطور يستقر على عرشه سوى اسابيع أو اشهر قليلة وذلك بسبب تدخل الجيوش الرومانيه فى الغرب فى شئون السياسه والحكم فكان الجنود يتحكمون فى تعيين وعزل الأباطره حسب اهوائهم^(٤٥).

(44) Momigliano A.J.R.S., 1944, p. 115.

(٤٥) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ١٣٤، جالبا فى أبريل ٦٨ م حتى يناير ٦٩، أوتو من ١ يناير حتى أبريل ٦٩ م فيليتيوس من ابريل حتى ديسمبر ٦٩ من ديسمبر ٦٩ فسباسيانوس راجع: سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ١٨١ - ١٨٥ .

الأسرة الفلاشية،

وشملت ثلاثة أباطرة هم فسباسيانوس وتيتوس ودوميتيانوس . وقد حكموا من ٧٠ إلى ٩٦ م .

- فسباسيانوس ٧٠ - ٧٩ م Vespasianus ،

تولى العرش وهو فى الستين من عمره عام ٧٠ م وواجه صراع القادة العسكريين . كما وجد الخزانه العامة مقلّسة وخاوية ووجد الروح المعنوية العامة لدى الرومان منهارة، وما أن تولى العرش حتى حذى حذو جالبا وأوتو وفتيلليوس بل واباطرة الاسرة اليوليوكلاودية فلقب نفسه باسم قيصر حيث أصبح هذا الأسم لقباً ورمزاً للسلطة أكثر منه نسبةً.

- وقد حرص فسباسيانوس على أن يرى السيناتوس يصدر قراراً باختياره وان تصدق الجمعية العامة على هذا القرار.

- وحاول ان يتشبه باغسطس فراح ينشر الاشاعات على أنه رجل المعجزات تباركه عناية السماء وراح يذكر الناس ان بمقدمه:

١- اختفت حركات التمرد والحروب فى المانيا وبلاد الغال البلجيكية والشمالية.

٢- كادت ثورة اليهود ان تسحق فى فلسطين.

فاعلن ان عهده هو عهد السلام ومن أجل ذلك بنى معبداً للسلام وساحة كبيرة سماها ساحة السلام Forum Pacis .

- اصلاحاته العسكرية تمثلت فى الآتى:

١- تفادى تجنيد البروليتاريا الرومانيه والرعاع الايطالية لأنها مصدر الفوضى ومحبة للشغب مما يشكل خطراً على سلامة الامبراطورية وفضل الاعتماد على الطبقة الوسطى المثقفة المهذبة وانشأ الاكاديميات العسكرية Collegia Inventum لتخريج كوادر الضباط المدركين لرسالة الجيش .

٢- تناولت اصلاحاته تطهير الحرس البرابنورى واعطاء لواء قيادة فرقه لابنه نيتوس .

- أما عن اصلاحاته المالية فقد تمثلت فى الآتى:

١- الغاء الاعفاء الذى منحه نيرون لبلاد اليونان من دفع الضرائب .

٢- أكد بسلوكه البسيط للشعب الرومانى أن أموالهم لن تنفق إلا فيما هو يستحق وواجب ،ولذا فهجر القصور الفخمة التى بناها نيرون ولجأ إلى بيت بسيط .

٣- اعاد تعمير المنشآت والطرق العامة واعاد بناء الكابيتول ومن اشهر المنشآت التى خلفها للانسانية ذلك الأثر الخالد المعروف بأسم الكولوسيوم Coliseum والذى كان الغرض من بناءه هو اعداد مكان مناسب لعرض مباريات المبارزين Gladiatores وهو يسع لخمسين ألفاً من المشاهدين^(٤٦) .

٠ وفيما يخص نظريته للتعليم فقد كان أول امبراطور يحرص على جعل التعليم خدمة من الخدمات التى يجب أن تقدمها الدولة للمواطنين لأنه أدرك مدى أهمية التعليم فى نشر الحضارة الرومانية والثقافة اللاتينية فى كافة ولايات الامبراطورية، كما أنه وضع نواة التعليم العالى بتأسيس وظيفة أستاذ البلاغة والخطابة والتى كان أول من شغلها الخطيب الأسبانى الأصل فابىوس كوينتيليانوس ٣٥-٩٥م مؤلف كتاب «معاهد الخطابة» Institutio Oratoria^(٤٧) .

- واجبة مشكله رفض الكلبيون فكرة توريث العرش لابنه وقاد الحملة فيلسوف بارز فى مجلس السيناتوس اسمه هلفيديوس بريسكوس Helvidius Priscus والذى دعى الى عودة المبادئ الجمهورية القديمة ووصلت درجة التهور به أنه لام الامبراطور علناً ووجه له الشتائم مما اضطر الامبراطور إلى

(٤٦) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٠١ .

(٤٧) سيد أحمد الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٠٧ .

الانتقام منه بنفيه من روما إلى إيطاليا ثم أمرَ باعدامه، ولكنه حزن عليه حزناً شديداً بعد ذلك لما عرف عنه من رحمة وعفو^(٤٨).

. - وفيما يخص علاقته بالسيناتورس فقد كانت نظرته إلى السيناتورس يسودها الاحترام وكان يعتبر السيناتورس مستودعاً للخبرة والقدرات وليس شريكاً في حكم البلاد.

- عموماً كان رجلاً صارماً محباً للعمل منكباً عليه ويرى بلينى أنه كان يبدأ يومه قبيل الفجر^(٤٩) وهو صاحب عبارة «ان الامبراطور يجب أن يموت وهو واقفاً على قدميه»^(٥٠).

وبعد موته اعلن الرومان تأليهه وكان جديراً بذلك لأنه لم يكن أقل شأنًا من غيره من الأباطره بل أكفأهم منذ اغسطس وكان جديراً أن يسميه الناس بمؤسس الامبراطورية الثاني^(٥١).

تيتوس Titus ٧٩ - ٨٠ م،

- كان وسيماً، ساحر لشخصه، وكان قائد الحرس البرابنورى الذى حمى اباه فى المؤامرات بحماس شدايد وتناقلت اخبار حبه العنيف لبرنيكى اليهوديه شقيقه جولويس اجريبيا الثانى ملك مملكه يهوذا فأحتج الناس على اساس أنهم اعتبروها كليبواتره الجديدة وبرزت فى الشرق من جديد.

- ما ان تولى العرش إلا وهجر فراش برنيكى وسار على منهاج ابيه فى انفاق الأموال العامة وحرصه عليها فاهتم بالمشروعات العمرانية وشبكات الطرق عبر الامبراطورية كلها، وأكمل بناء الكولوسيوم وافتتحه فى احتفال استمر مائه يوم وانشأ بروما حمامات عرفت بأسم حمامات تينوس.

(٤٨) نفس المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(49) Pliny, Epistulae, III, 5,9.

(50) Suetonius, Vespasianus, 1, 23 - 24.

(٥١) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢١٣.

- قضى على نظام المرشدين والمخبرين السريين الذين تفشى خطرهم ضد أمن المواطنين وامتدت سماحته إلى احترام الديانات المختلفة لشعوب الامبراطورية.

- تعرضت الامبراطورية فى عهده لكارثتين عنيقتين .

الأولى، فى أغسطس سنة ٧٩م عندما ثار بركان فيزوف وألقى بحممه فدفن ثلاث مدن تماماً هى مدينة بومبى وهركولانيوم وستابى Stabii^(٥٢) .

الثانية، فى عام ٨٠م عندما اندلع حريق روما الثانى والذى استمر ثلاثة أيام وأتت النيران على معبد جوبيتر الذى بناه أبوه وسرعان ما مد يد العون لأسر الضحايا.

توفى عن عمر يناهز الثانية والأربعين على أثر حمى أصابته وبكاه السيناتوس والشعب الرومانى ورفع لمصاف الألهة .

دوميتيانوس Domitianvs ٨١ - ٩٦م:

هو أخو تيتوس وكان محباً للسلطة والنفوذ فغير لقب منصب الرقيب إلى الرقيب الأبدى Censor Perpetuus، وبالرغم من أنه نظر إلى السيناتوس نظره الوقار والاحترام إلا أنه لم يترك له الفرصة فى التلاعب أو الخروج عن الحجم الذى إرادته له ولذا أصدر السيناتوس لعنته عليه بعد موته Damnatio Memoriae .

- وإلى جانب حرصه على تأييد الجماهير حرص على إرضاء الجيش وقادته فاهتم بتنظيم وسائل الامداد العسكرى حيث أنشأ قيادة لشئون الجنود المغتربين Castra Peregrinorum لحتولى الإشراف على تجهيز القوات المسافرة .

- ورث عن أبيه واخيه المهارة الإدارية والمالية وأصر على جمع

(52) Pliny, Epistulae, VI, 16.

الضرائب أولاً بأول، وحاول اصلاح الاقتصاد الرومانى بالعناية بالزراعة وفيما يخص تشريعاته وقوانينه فقد كانت ممتزمتة صارمة، وقد طبق نظام المجندين السريين ولكنه كان ينزل العقاب الصارم بكثير منهم خاصة أولئك الذين يلصقون التهم بالأبرياء من الناس وقال «ان الامبراطور الذى لا يعاقب المخبرين هو الذى يثيرهم»^(٥٣).

وإزاء حرص الامبراطور على فرض سلطاته المطلقة ورفض اليناتوس لهذا الاتجاه بدأ دوميتيانوس يتجه نحو الارهاب والمحاكمات الصوريه والإعدام بالجملة بتهمة الخيانة العظمى، مما شكل رأياً عاماً مضاداً له، حتى ان بعض المحيطين به لم يروا بداً من اغتياله فعلاً تم اغتياله فى عام ٩٦ م على يد زوجته واثنين من قادة الحرس البرائتورى لينتهى به عصر الأسرة الفلافية ويبدأ عصر جديد وهو عصر الاباطرة الصالحين وأولهم نيرفا Nirva واشهرهم تراچانوس Traianus وهادريانوس Hadrianus^(٥٤).

عصر الأباطرة الصالحين ٩٦ م - ١٨٠ م:

ويطلق عليها فترة العصر الذهبى للامبراطورية الرومانية^(٥٥) وتبدأ مع تولى الامبراطور نيرفا Nirva عرش الامبراطورية وتنتهى بموت الامبراطور ماركوس اوريليوس Marcus Arilius عام ١٨٠ .

- نيرفا ٩٦ - ٩٨:

- هو ماركوس كوكيوس نيرفا ينحدر من أسرة عريقة عملت بالقانون آبا عن جد، ويمت عن طريق المصاهرة إلى الأسرة اليوليوكلاودية وجعلته كفاءته على علاقة طيبة بالفلافيين.

(53) Suetonius, 9, "Princeps qui delatores non.Castigat, Irritat.

(٥٤) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٤ .

(55) Voget Joseph, The Decline of Rome, p. 25 ff English edition, London, Weidenfed and Nicolson, 1967.

- كانت أول محاولاته هي التشاور مع شيوخ السيناتوس والتعاون معهم ولهذا بدأ في شراء الأرض وتوزيعها على المعدمين من الرومان كما بدأ مشروع بمقتضاه أصبحت الدولة تفرض رعايتها على أبناء فقراء الاقاليم وتمدهم بالمعونة والتعليم^(٥٦).

- كان محبوبا من السيناتوس ومن الشعب الرومانى وذلك لأنه أوقف محاكمات الخيانه العظمى تلك التهم الملقه التى كان الأباطرة السابقون يستخدمونها لتصفية أعدائهم واعاد كذلك كل المنفيين السياسيين والفلاسفة المطرودين.

- ويعتبر مشروع نيرفا بإنشاء لجنة لمساعدة الفلاحين الايطاليين الفقراء ورعاية أبناء المحتاجين وتعليمهم من أعظم انجازاته وقد عرفت هذه بالمعونة Alimenta^(٥٧).

- بدأ مرحلة جديدة فى نظام تولى العرش عن طريق التبني من خارج الأسرة فاختر خليفه له من أحد قادة الحرس البرايتورى الحازمين وهو تراچانوس حاكم المانيا^(٥٨).

- تراچانوس ٩٨ - ١١٧ م؛

- هو أول امبراطور يجلس على عرش الامبراطورية ينحدر من أصول غير رومانية وبالتحديد من اسبانيا. تقلب فى العديد من المناصب قبل أن يختاره نيرفا ويتبناه ويشركه معه فى الحكم كولى للعهد. ويعنى وصول تراچانوس للعرض بداية لانتهاى سيادة اثرياء الايطاليين والزومان واحتكارهم للوظائف العليا فى الامبراطورية وبداية تولى طبقه من النبلاء والاعيان القادمين من الولايات الغربية.

(56) Hands A. r., Charities and Social Aid in Greece and Rome, Thames and Hudson, London, 1968, p. 20.

(57) Henderson B. w., Five Emperores, London, 1927, pp. 212.

- سلك تراجانوس مع السيناتوس سياسة الاحترام والتقدير وتعاون معه وحظى أيضا بحب الجماهير الرومانيه، ومنحه السيناتو لقب «أفضل الاباطره»، Optimus Princeps وذلك سنه ١٠٠ م إذ ألغى كل احتفالات التآليه السابقه مما جعل السيناتوس والشعب الرومانى يثق فيه ويؤمن ببعده عن التجبر.

- وسع من نظام المعونه الغذائيه والرعايه التعليميه لأبناء الفقراء فى الإقليم، وقدم للفلاحين المساعدات والسلفيات الماليه نظير نسبة محدده من الفائده بهدف انعاش الزراعه فى ايطاليا كى تنافس نظيرتها فى الولايات الرومانيه الغربيه.

- حرص على تحسين الطرق والكبارى والجسور والموانئ فى الولايات الرومانيه وساعد أصحاب المطاحن والمخابز على تحسين وسائلهم وبدت روما فى عهده ذات مركز اقتصادى هام. إذ اهتم بتجميل العاصمه وأقام فيها ساحة جديده Forum، وأقام جسراً لمد الأحياء الفقيره على الناحيه الأخرى من نهر التيبر بالمياه عرف بأسم جسر مياه تراجانوس Aqua Traiana.

- احسن معامله سكان العاصمه فأقام لهم المهرجانات ابتهاجاً بالمناسبات وانفق عليها ببذخ شديد، هذا وقد كان هو أول من حطم الجمود الأوغسطى وعاد بالبلاد إلى سياسة التوسع، فأضاف مملكه داكيا إلى الولايات الرومانيه ووسع من حدود ولايه نوميديا وتوسع فى الشرق فضم مملكه الانباط فى شرق الأردن.

وشهد عهده ثوره اليهود الكبرى فى ١١٥ م والتي بدأت فى قورينه فى برقه وامتدت إلى قبرص ومصر وفلسطين إلا أنه قمعها بكل عنف .

وعموماً فقد كان تراجانوس طموحاً مثل الاسكندر الأكبر يجمع بين الخيال والواقع إذ اندفع فى حملاته التوسعيه العملاقه، لكن هذا التوسع كلفه حياته وكلف الامبراطوريه شللاً عسكرياً بعد ان اتسعت أكثر من اللازم وأصبحت بحاجة إلى طاقه عسكريه لتدافع بها عن ممتلكاتها تلك.

- تمتع باحترام كبير بين قوات الجيش وبين جموع الشعب الرومانى وشعوب الولايات، فقد كان تاريخه العسكرى مشرفاً للغاية ولاقى قرار تعيينه ترحيباً واسعاً.

ورث هادريانوس تركه مثقلة عن سلفه تراچانوس صاحب سياسة الاندفاع العسكرى التوسعى فقد كلفت هذه الحروب التوسعية الاقتصاد كثيراً، كما اهلكت جزءاً كبيراً من القوة البشرية فى الامبراطورية.

- أدت الظروف السابقه إلى أن اتخذ هادريانوس قراراً بأحداث تغيير شامل فى السياسة الخارجية لوقف النزف الاقتصادى والبشرى لكن احياء سياسة «السلام الرومانى» من جديد وهجر سياسة التوسع لم تعجب بعض كبار قادة الجيش خاصة المراكشى لوسىوس كويتوس Lusius Quietus الذى اعتبر سياسة هادريانوس المسالمة سياسة انهزامية وتفريطاً فى ممتلكات الشعب الرومانى^(٥٩).

- اثناء رحلته لزيارة آسيا الصغرى والشرق الأوسط ومصر زار اورشليم وامر ببناء معبد للإله جوبيتر فوق اطلال معبد سليمان الذى دمره تيتوس مما أطلق ثورة يهودية أخرى عام ١٣٢ م إلا أنه سحق هذه الثورة فى ١٣٥ ودمر اورشليم تماماً وهجر سكانها من اليهود وتفرقوا فى شتى بقاع العالم^(٦٠).

ومن أهم التغييرات التى أجراها هادريانوس فى المجال العسكرى إزالته للفروق بين القوات الرومانية النظامية المعروفة باسم الفرق Legiones وبين القوات المساعدة Auxilia فى مجالات التدريب والتسليح والتشكيل.

والى جانب القوات المساعدة التى عسكرت فى القلاع والابراج على طول حدود الامبراطورية خاصة فى جبهتى الراين والدانوب أسس هادريانوس

(٥٨) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٥٠.

(٥٩) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

قوات جديدة أطلق عليها اسم «الفئات» Numeri أما فيما يخص التجديد فى فن التكتيك الحربى الذى أدخله هادريانوس وسارت على نهجه الجيوش الرومانية حتى مجئ دقلديانوس فعمل على احياء نظام الفيالق المقدونية القديمة Phalanx عند الهجوم والدفاع.

- ويقدر ما نشر العمران والحضارة بقدر ما نشر حقوق المواطنة الرومانية كمكافأة للشعوب التى تشربت تماماً بالروح والثقافة الرومانية، وكان أعلى مرحلة هى منح المقاطعة أو الولاية درجة المستوطنه الرومانية Colonia حتى يتمتع سكانها بالجنسية الرومانية الكاملة بدلاً من الحقوق اللاتينية.

- ابتدع تقليداً جديداً وهو منح الحقوق اللاتينية لأعضاء مجالس الشيوخ فى ولايات الامبراطورية Decuriones وكبار الموظفين المحليين فيها، وسماه الحقوق اللاتينية الكبرى Latium Maius أو المجال اللاتينى الأكبر. وكان هدفه هو تشجيع الوفاء للامبراطورية فى الولايات بخلق جماعات رومانية الثقافة والحقوق^(٦١).

- أصبحت اصلاحاته فى مجال التشريع تراثاً عاماً للبشرية وقدوة لرجال القضاء فى كل مكان وزمان فمثلاً جعل لفتاوى المشرعين والفقهاء قوة القانون Responsa، وقد جمع الإمبراطور جيسطيان الأول ٥٢٧-٥٦٥ م هذه الفتاوى فى موسوعة قانونية Digesta نسبها إلى نفسه.

وقد زادت أهمية الامبراطور فى مجال التشريع وأصبحت قراراته Con-stitutiones مصدراً للقوانين وكانت هذه القرارات ذات درجات مختلفة فهى:

- ١- إما مراسيم امبراطورية Edicta يصدرها بموجب حق الامبريوم.
- ٢- أو قرارات Decreta يتخذها بعد نظر المشكلات.
- ٣- أو ردود Responsa على التساؤلات التى يبعث بها موظفوه.
- ٤- أو توجيهات Mandata الموظفين التابعين له.

(٦٠) حسين أحمد الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٦.

ولقد حرم هادريانوس على السيد أن يقتل عبده أو يعذبه أو حتى يبيعه كجلاد يقتل أو يقتل وكان هذا أول تشريع يعامل العبيد كبشر لهم حق الحياة، كما ألغى حق رب الأسرة القديم فى التحكم فى منح أو رفض الحياة بالنسبة لأبنائه وهو الحق القديم المعروف باسم «حق الحياة أو عدمها، Ius Vitae necisque».

- وفى مجال العمارة أقام هادريانوس أروع نموذج للعمارة الرومانية على طول التاريخ وهو ضريحه الشهير Mausoleum وكانه الآن قلعه سان انجلو St. Angelo من الرخام الخالص وزينت أرضيته بالفسيفساء وأقيمت فيه التماثيل المختلفة .

أما آخر الأبنية التى أقامها هو معبد البانثيون Pantheon الذى نفذه المهندس الاغريقى أبولودوروس Apollodorus وفى العصور المسيحية حول إلى كنيسة فى عام ٦٠٩ م واعتبر اثراً قومياً منذ القرن التاسع عشر (١٢).

- أنطونينوس بيوس Antoninus Pius ١٣٨ - ١٦١ م،

كسب الامبراطور الجديد كنيته بيوس Pius أى التقى تعبيراً عن تقواه وورعه تجاه هادريانوس وبسبب التزامه بالواجب والفضائل الرومانية.

حكم ثلاث وعشرين عاماً هادنه سار منها على منوال هادريانوس ولم يحدث فى عهده حروب أو ثورات فى أى جزء من الامبراطورية إلا نادراً.

- حرص على أن تأخذ العدالة مجراها وان يسود القانون فى كل ربوع الامبراطورية وعمل على دعم جدودها باقامه الحصون والموانع عند اطرافها.

- أدى تنظيم الجهاز المالى فى عصر هادريانوس إلى الاستقرار الاقتصادى فى الامبراطورية وامتلات الخزانه العامة بالأموال التى راح انطونينوس ينفق منها على التعمير وال عمران وأعمال الخير.

(٦١) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٦١ - ٢٦٢ .

- دفعه حرصه على ارضاء المحتاجين فى ايطاليا إلى دعم صندوق الإعانة الاجتماعيه والغذائيه والصحية والتعليمية القديم.

- من مساهماته فى القانون الرومانى تخفيف العقوبات المفروضة على الهاريين من الجنديّة والجيش، والذى الحظر الذى فرضه هادريانوس على اليهود بخصوص ممارسة عادة الختان، وحظر أى اضطهاد ضد المسيحيين وهو صاحب اشهر قواعد القضاء مثل «المتهم برئ حتى تثبت إدانته» (٦٣).

- فى ١٣٩م انعم على خليفته ماركوس اوريليوس بلقب القيصر فكان ذلك بمثابة اعلانه خليفة له رسمياً.

- ماركوس اوريليوس ١٦١ - ١٨٠م.

كان ماركوس اوريليوس فيلسوفاً بطبيعته ومريداً مخلصاً للرواقية التى كان قد تلقى دروسها فى شبابه ومارس أفكارها ولكن بغير تشدد أو تعصب (٦٤).

- كان دائم الرجوع إلى ذاته والتأمل فيها لدرجة أنه ألف كتابه المشهور باللغة اليونانية والذى اعطى له عنوان (مع الذات) والذى ترجمه الرومان إلى «التأملات Meditations»، وبالرغم من زهده وتجرده عن الطموح فقد فرضت عليه الاخطار التى حاقت بالامبراطورية القتال وهو كاره له من أجل حماية الامبراطورية من خطر الاعداء وهو جوهر الأحساس بالواجب كما يقول بيريلى فى مؤلفه عن ماركوس اوريليوس (٦٥).

- فى البداية اشرك معه اخوه بالتبنى فى الحكم وهو لوكيوس فيروس، تمكن من محاربة البارثيين وذلك عندما غزا ملكهم فولوجاسيس الثالث Vologases III أرمينيا. كما حارب فى الدانوب وفى هذه الحرب مات

(٦٢) سيد أحمد على الناصرى، المرجع السابق، ص ٢٦٨.

(٦٣) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ٢٧٠ - ٢٧٤.

(٦٤) عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١ ص ٢٥٦ -

٢٦٩.

(65) Birley, Marcus Aurelius, Eyre and Spottiswood, London,

شريكة فى الحكم لوكيوس فيروس فانفرد ماركوس اوريليوس بالحكم وقد واجه أيضاً تمرد قام به اوفيدىوس كاسيوس - الذى كان حاكماً على ولاية سوريا والذى بفضل شكيمة حمى الشرق كله من خطر البارثيين - وقد تمكن من اخضاع هذا التمرد بسرعة لصالحه^(٦٦).

- اعتبر ماركوس اوريليوس نفسه عضواً عادياً فى مجلس السيناتوس عند حضور جلساته وكان يعتمد عليهم حيث يتوجب الاعتماد، وكانت سياسته العامة هى حماية الفقراء المعدمين من الأغنياء وكان حريصاً على رعاية الفقراء وتوفير حاجاتهم من الغذاء وفى وقت الأزمات الاقتصادية كان يخفف عن كواهل الناس بإلغاء الضرائب المتأخرة^(٦٧).

كان ماركوس اوريليوس نزيهاً وعفيفاً لا يميل إلى البذخ متأثراً بالفلسفة الرواقية كما سبق وإن اشرنا وفى أواخر أيامه أعلن ماركوس اوريليوس ابنه كومودوس خليفه له على العرش، وبذلك خرج على التقليد الذى سنه من سبقوه من الأباطرة^(٦٨).

- كومودوس ١٨٠ - ١٩٢م

- ضرب بنصائح ابيه ماركوس اوريليوس عرض الحائط وسارع الى عقد الصلح مع قبائل الماركوماني، والكادى، وعاد مسرعاً إلى روما لينعم بمزايا الامبراطور ويتمتع بملاهى العاصمة تاركاً الحكم برمته فى أيدي جماعه من الانتهازين الذين أستغلوا الحكم لمصالحهم الشخصية

- انهزمك فى عالمه الخاص وترك الحكم واحتقر السيناتوس واكتشف مؤامرة يحيكها ضده زعماء السيناتوس فانتقم بوحشية من أعضاء المجلس.

1966.

(٦٦) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٧.

(٦٧) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٢٨٥.

(68) Rostovetzeff M., Economic and Social History of the Roman Empire, I, p. 358.

- ورغم ان حدود الامبراطورية بقيت سالمة بفضل يقظه جنرالات الجيش الرومانى الذين قاموا بواجبهم على أكمل وجه، إلا أن الفوضى الداخلية بدأت تهدد أمن الإمبراطورية.

- تدهور الاقتصاد فى عهد كومودوس وفى نفس الوقت اغرق نفسه فى الترف والملاذات حتى افرغ الخزانة وتركها خاوية على عروشها ولجأ إلى مصادرة أملاك الأغنياء بعد أن كال لهم التهم، ونتيجة تصرفاته الخاطئة تأمر عليه قائد الحرس البرائتورى كوينتوس ايميليوس لايتوس وعشيقتة ماركيا وكبير امناء البلاد وقتل لتبدأ فترة صراع القادة العسكريين على العرش (٧٠).

- بيرتيناكس ١٩٣م،

- تولى العرش بعد اغتيال كومودوس ونظراً لأنه كان أقدم أعضاء مجلس السيناتوس فقد وافق السيناتوس على تعيينه امبراطوراً ونظراً لكبر سنه أصبح العويه فى أيدى قادة الحرس البرائتورى وقاموا باغتياله بعد أقل من ثلاثة أشهر من توليه العرش.

- تم ترشيح جوليانوس وجايوس نيجر وكلاوديوس البينوس وسبتميوس سيفيروس وحسم الأخير الأمر عندما دخل بجيشه روما وأعلن نفسه امبراطوراً وعرف هذا العام أيضاً بأسم عام الأباطرة الأربعة (٧١).

(69) Grant M., The Antonines, Routledge, London, 1996, p. 9 ff.

(70) Parker H.M.D., A History of the Roman World, London, 1971, p. 26.

(٧١) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٨ وراجع أيضاً:

Wellesley Kenneth, The Year of The Four Emperors, Routledge, London, 2000, p. 15.

الأسرة السيثيرية:

- سبتميوس سيفيروس ١٩٣ - ٢١١:

- بالرغم من أصله الفينيقي إلا أنه تلقى تعليماً رومانياً وثقافة لاتينية حيث درس الفلسفة في اثينا والقانون في روما، وكان طموحاً متعطشاً للجاء والسلطان وكان كذلك شديد الإعجاب بماركوس اوريليوس.

- كانت عقلية مزيجاً من البيروقراطية والعسكرية وقد أظهرت سياسته الداخلية اهتمام واسع بمصالح الرعايا الذين يعيشون في الولايات خاصة فيما يتعلق بمشاكل الإدارة والحكم.

عزم على تغيير هيكل نظام حكم المواطن الأول فأصبح الامبراطور يعرف رسمياً باسم «المولى» ويوما مقر قصره وتعرف بالمدينة المقدسة Urbs Sacra (٧٢).

٠ - اعتبر ان الجيش هو جوهر السلطه والحكم ومن ثم اعطى الجنود وضعاً متميزاً، ومن المزايا التي حصل عليها الجنود في عهده زيادة كبيرة في الرواتب بحجة تعويضهم عن زيادة الأسعار التي ارتفعت كثيراً في عصر كومودوس، وسهل لهم الترفيات وسمح لهم بفلاحة الأراضي الزراعية الواقعه حول المناطق التي كانوا يعسكرون فيها، وشجع كذلك التخصص المهني والفنى في أنواع الاسلحة، وفتح الباب أمام العسكريين لتولى الوظائف المدنية، كما أنعم على الجنود بحق القيام بمعقد زواجهم اثناء تأديتهم الخدمة العسكرية والاعتراف بشرعية الابناء الذين يولدون من هذا الزواج Ex Castris بل وسمح للجنود المتزوجين بحق الإقامة مع عائلاتهم بالقرب من المناطق التي تعسكر فيها القوات التابعون لها.

(٧٢) سيد أحمد على الناصرى، مرجع سابق، ص ٣١٤ - ٣١٥.

- ويتسم عصره بازدياد رقابة الدولة على الجمهور وذلك عن طريق أجهزة ذات طابع عسكري بحت، وفي الأقاليم كلف أعضاء المجالس البلدية من الواجهاء بالاشراف على جمع الضرائب.

- ظهرت في عهده بوادر للانهيـار السياسى والاقتصادى فى الامبراطورية مثل انعدام الامن وظهور قطاع الطرق الذين ازدادات سطوتهم فى الولايات، وفى نفس الوقت هدد مستأجرو الأراضى التابعه للإمبراطورية بترك الأراضى التى يدفعون عنها ايجارات للدولة إذا ما استمر ألتزامهم بأعمال فى المدن التى تقع حقولهم فى زمامها مما يعطلهم عن الفلاحة فى الأراضى التى يدفعون عنها الرسوم والضرائب.

- وعن سياسته الخارجيه فقد هاجم دولة البارثيين وانشأ ولاية ما بين النهرين Mesopotamia.

- ومات سيفيروس بعد أن أعلن انابناهابه كاراكلا وجتيا ورِيثين له على العرش.

- الامبراطور كاراكلا وأخيه جيتا ٢١١ - ٢١٨ م.

بعد وفاة الأب بدأ الصراع بين الأخوين وانتهى بعد عام واحد بمقتل جيتا فى مؤامرة دبرها له كاراكلا، وجعل من نصيحة ابيه بالعناية بالجيش والاعتماد عليه جوهر فلسفه حكمه الاستبدادى العسكرى.

وكان يقول: لا أحد سواى يجب ان يملك المال، وذلك حتى اعطيه لجنودى (٧٣).

- لم يضيف كاراكلا جديداً فى مجال السياسه والحرب (٧٤)، ماعدا

(73) Dio Cassius, LXXVIII, 32

(٧٤) حسين الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٩.

الدستور الانطونيني أو ما يعرف باسم قانون كاراكلا الذى يقضى بمنح كل الاحرار من ساكنى الامبراطورية الجنسية الرومانية فى ٢١٢م ولازال حتى الآن يختلف الباحثون فى شأن هذا القانون الذى يعرف اصطلاحاً - Constitutio Antoniniana .

- عموماً وفيما يخص مغامراته العسكرية فقد حاول السير فى خطى الاسكندر الأكبر وبدأ مغامراته العسكرية فى الغرب عندما سحق قبائل الألمانين Alamanni ثم اتجه نحو الشرق حتى وصل إلى سوريا دون مقاومة وحاول التحرش بالبارثيين فسار إلى الإسكندرية حيث راعته الحرية التى يتمتع بها سكان هذا البلد فجمع زهرة شباب المدينة وعمل فيهم القتل ولقد كانت مغامراته تلك على حساب إضعاف الامبراطورية إقتصادياً لانه أهرق الخزانه بما قرره من زيادات فى رواتب الجند واضطر إلى تخفيض قيمة العملة، واستمر التدهور حتى وصل إلى مرحلة الافلاس فى أواخر عام ٢١٧ م ثم اغتياله على يد ماكزيموس وهو موريثانى الأصل وتولى الحكم لمدة عام واحد واغتاله الجيش وعين بدلاً منه الامبراطور الجابالوس Algalabus .

- الامبراطور الجابالوس ٢١٨ - ٢٢٢م،

- تفرغ لنشر عبادة إله الشمس الذى كان يعمل كاهناً له فى حمص فنار عليه الجيش واغتاله ليتولى بعده الكسندر سيفيروس Alexander Severus الذى حكم من ٢٢٢ إلى ٢٣٥ ولأنه كان ضعيفاً فقتل فى مواجهة الفرس والالمان فاغتاله الجند أيضاً لتقاعسه عن محاربه الألمان وعينوا بدلاً منه قائدهم ماكسيمينوس Maximenus .

ويتولى ماكسيمينوس من تراكيا عرش الامبراطورية فى ٢٣٥ م تبدأ
الفوضى والتفكك والحروب الاهلية والانهيال الاقتصادى .

وقد استمر هذا الحال لمدة خمسون عاماً حتى عام ٢٨٤ م حين يظهر
الامبراطور دقلديانوس ليتولى العرش ويعيد إلى الذهن عهد الأباطرة
الصالحين .

وسوف يترك الباحث الحديث عن الأباطرة منذ الاسكندر سيفيروس حتى
كاروس ووالداه كارينوس ونومريانوس الآن حيث سيتحدث عنهم تفصيلاً فى
الفصل الذى سيتعرض لغزوات البرابره على الامبراطورية الرومانية .

العصر الإمبراطوري المتأخر

من دقلديانوس إلى قسطنطين

الفصل الثاني

١- الإمبراطور دقلديانوس

١- ظروف توليه العرش وسياسته الإمبراطورية:

- جاء دقلديانوس إلى عرش الإمبراطورية في ٢٨٤م وكان في الأصل ينتمي إلى صفوف طبقه إجتماعية فقيرة في إقليم دالماتيا Dalmatia وتمكن من ان يصبح قائداً للحرس الإمبراطوري (البرايتوزي) Domestici حيث كان وقتها أحد جنود الأباطرة الذين ينتمون إلى إقليم الليريا والذين وصلوا إلى دفة السلطة الإمبراطورية بعد وفاة الإمبراطور Gallineus في ٢٦٨م.

- وقد استطاع الإمبراطور أورليانوس ٢٧٠-٢٧٥م ان يقضى على ثورة قام بها الألمان Alamanni بهدف غزو إيطاليا وانتصر على الملكة زينوبيا Zenobia في تدمر Palmyra وبذلك قضى على «الإمبراطورية الغالية، بزعامة تيتريكوس Tetricus، وقد قتل أورليانوس مثله في ذلك مثل جالينوس وكثيراً آخرون من أباطرة الإمبراطورية الرومانية.

- بعد مقتل أورليانوس جاء إلى الحكم برويوس Probus والذي لقي حتفه أيضاً على يد قواته العسكرية ليتولى بعده كاروس Caras ٢٨٢-٢٨٣م الذي توفي أيضاً فجأة وتولى بعده ابنه نوميريانوس Numerian ولكنه قتل أيضاً في ظروف غامضة وتم بعدها استدعاء Diocles على اثر اتهام رئيس الحرس البرايتورى أبر Aper بالتخطيط لقتل نوميريانوس وأعدم على مسمع ومرأى من جميع القوات حينما لقب Diocles باسم دقلديانوس Diocletian^(١).

(1) Cameron Averil, The Later Roman Empire 284-430 A.D., Fontana Press, London, 1993, pp. 30 - 31.

(*) Tetrachy هي كلمة مركبة من عدد هو TetrapTēs ويساوى أربعة واسم مشتق من فعل يوناني هو فعل αρXW بمعنى يحكم.

- ويعود الفضل إلى دقلديانوس في إنه هو الذى وضع نظام جديد للإشتراك فى السلطة وذلك بهدف القضاء على ظاهرة «تغيير الإباطرة السريع» وذلك فى ٢٩٣م وبمقتضى ذلك النظام أصبح هناك زوج من أولئك الذين يحملون لقب Augustus وزوج آخر من أولئك الذين يحملون لقب Caesar، ذلك النظام الذى وضع نهايته الإمبراطور قنسطنطين الذى أعلن نفسه إمبراطوراً بعد وفاه والده قنسطنطيوس.

- ومهما يكن فهناك حقيقة لامراء فيها وهى أن دقلديانوس قد تولى الإمبراطورية وكانت على وشك الانهيار وينسب إليه القيام بأهم عملية ترميم تمت فى بناء الإمبراطورية المتداعى فافت فى أهميتها أهمية محاولة سابقة الإمبراطور أورليانوس والملقب فى الوثائق المعاصرة باسم «مجدد الإمبراطورية». حيث أنه كان من أشد المتمسكين بالعودة بالإمبراطورية إلى سابق مجدها وعظمتها فى أيامها الأولى (٢).

- ونظراً لأن المشكلة الإمبراطورية كانت معقدة فاكتفى الإباطرة السابقون على دقلديانوس ببعض الإصلاحات الجزئية التى تناولت على وجه التحديد كلاً من العملة الزراعية والضرائب كما أن بعضهم ارتكب - عن دون قصد - خطأ أثربعد ذلك فى تاريخ الإمبراطورية فى هذه الفترة المتأخرة ألا وهو السماح لبضع آلاف من الجرمان المرابطين على حدود الإمبراطورية بالدخول إلى الإمبراطورية والإقامة بداخلها بهدف توفير الأيدى العاملة اللازمة للزراعة من جهة واتفاء لشر هذه العناصر من جهة أخرى.

- وفى وجهة نظر الكاتب فإن تفرد إصلاحات دقلديانوس التى تحدثت عنها العديد من المراجع المهتمة بتلك الفترة إنما يعود لإنه وجه جهوده نحو تحقيق ثلاث أهداف كبرى هى كالتالى:

(٢) محمد محمود الحويرى، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرمانية، دار المعارف، الطبعة الثالثة ١٩٩٥، ص ٣٤.

١- تقوية نفوذ الامبراطور Imperator .

٢- إعادة تنظيم الجهاز الإدارى الحكومى .

٣- تجديد نظام الجيش - حيث أكدت معظم المصادر الأدبية إن التغييرات التى اضافها دقلديانوس على الجيش الرومانى (نظام العسكرية الرومانية) كانت هى الأولى من نوعها منذ عهد الامبراطور Augustus (٣) .

كما أنه استلهم روح أغسطس وشرع فى حكم الامبراطورية حكماً مطلقاً فكان له الحق فى التصرف المطلق فى الشؤون المالية، وحق التشريع وكان هو القائد الأعلى للجيش وبذلك جرد مجلس السيناتو Senatus من سلطاته التشريعية وامتيازاته الشكليه (٤) .

كما أضفى على نفسه هالة دينية مقدسة مدعياً بأنه من نسل جوبيتر Jupiter ملك الآلهه (٥) ورغم ذلك إلا أنه كانت هناك فحه فى المجتمع لا تستطيع ان تقدر الاباطره ومنهم المسيحيون .

٢- إصلاحاته:

ونعرض الآن لأهم المجالات التى طالتها إصلاحات دقلديانوس .

أولاً: المجال الإدارى:

١- أعاد تنظيم الجهاز الإدارى بشكل حرم ايطاليا من مكانتها الإدارية الممتازة التى كانت تتمتع بها وبالتحديد روما بوصفها مركزاً للحكم الامبراطورى .

حيث ظهرت العديد من العواصم فى أجزاء مختلفة فى أنحاء

(3) Cameron Averil, The Later Roman Empire, op. cit., p. 33.

(4) Painter S., A History of the Middle Ages 284-1500, London, 1964, p. 6.

(5) Runciman Steven, Byzantine Civilization, Methuen and Co. LTD, London, 1975, p. 23.

الإمبراطورية ومنها نيقوميديا Nicomedia المقر الرئيسي لإقامة دقلديانوس ومنها سيرديكا (صوفيا) Serdica ومنها سيسالونيكا Thessalonica المقر الرئيسي لعرش جاليريوس Galerius ومنها Sirmium (سيرميوم) فى بانونيا Pannomia مقر عرش لكينيوس Licinius ومنها تريير Trier فى ألمانيا والتي كانت مقر إقامة قنسطنطيوس كلوروس Chlorus والد قنسطنطين وهناك مراكز أخرى أصبحت تحل محل العواصم منها Naissus (Nis) نايسوس وكارننتم Carnuntum على الدانوب وميلانو واكويليلا Aquileia^(٦).

٢- قضى على التفرقة بين الولايات الإمبراطورية وولايات السيناتو.

٣- اتجه ناحية الشرق وذلك لإمتياز الولايات الشرقية بوفرة خيراتها وكثرة سكانها ومهارة الأيدى العاملة فى الزراعة والصناعة والتجارة ويعتبر بذلك ممهداً لسياسة قنسطنطين من بعده.

٤- اتخذ من نيقوميديا فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى على بحر مرمرة عاصمة جديدة للإمبراطورية^(٧).

٥- قام بنقل عاصمة إيطاليا من روما إلى ميلانو وذلك لأسباب عسكرية منها أنها تتحكم فى معظم ممرات جبال الألب مما يسهل إنتقال جيوش الإمبراطورية منها إلى كل من غاليا Gallia أو جرمانيا Germania وذلك لصد أى هجوم أو اخماد أى فتنة.

٦- أدرك الخطر الناجم عن تضاعف عدد الولايات الرومانية Provinciae لما ترتب عليه من ظهور قيادات انفصاليه. ففكر فى ربط الولايات الرومانية

(6) Cameron Averil. The Later Roman empire, op, cit., pp. 212 - 213.

(٧) كريستوفر دوس، تكوين أوروبا، القاهرة، ١٩٦٧، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة ود. سعيد عاشور، ص ٢١ حيث رأى ان دقلديانوس اختارها لنفسه حتى يستطيع مراقبة مناطق الدانوب فى الشمال والاطراف الفارسية فى الشرق .

ببعضها فقسم الامبراطورية إلى أربعة أقاليم يمكن أن نطلق عليها لفظه
اقسام إدارية كبرى ووضع على رأس كل قسم منها حاكم إدارى عام
يتمتع إما بلقب اوغسطس Augustus أو بلقب قيصر Caesar وكان من
الناحية العملية شريكاً للإمبراطور فى حكم الإمبراطورية وفيما يلى
الأقسام الإدارية الأربعة وما شملته من أقاليم.

(أ) غاليا وتشمل: ١- بريطانيا

٢- غاليا

٣- اسبانيا

٤- مراكش

(ب) إيطاليا وتشمل: الأراضى الواقعة بين الدانوب والبحر الأدرياتي.

١- إيطاليا

٢- الجزائر

٣- تونس

٤- طرابلس

(ج) إيليريا وتشمل: ١- داكيا (داشيا)

٢- مقدونيا

٣- اليونان

(د) اقليم الشرق ويشمل: ١- تراقيا (طراقية)

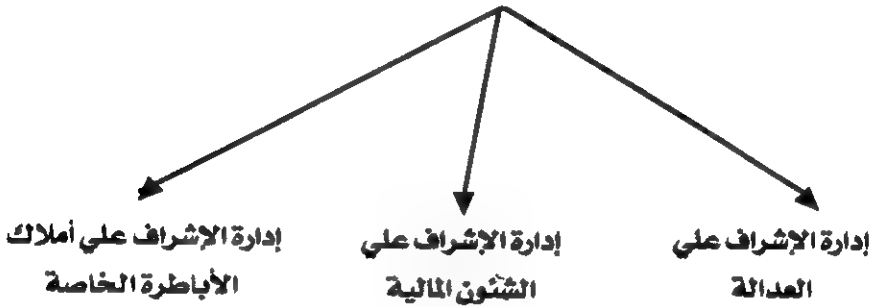
٢- آسيا الصغرى

٣- الشام

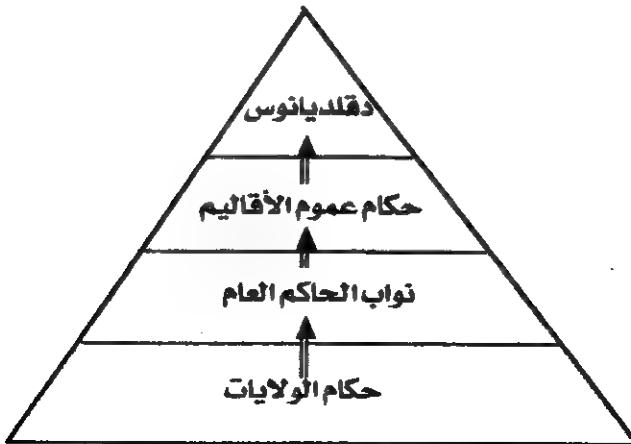
٤- مصر

وهو الاقليم الذى احتفظ به لنفسه وكان مركزه نيوميديا كما احتفظ لنفسه بلقب «إمبراطور» Imperator ووظيفته.

وقد قسم دقلديانوس هذه الأقسام الإدارية الأربع الكبرى إلى سبع عشر وحدة أصغر سميت بأسم Dioceses وكان لكل وحدة منها رئيس يعرف باسم Vicarus وهو بمثابة نائب عن الحاكم العام. وقد شملت كل وحدة عدد من الولايات بلغ عددها المائة ولاية وكان لكل ولاية ثلاث إدارات هامة هي:



وأصبح حكام الولايات مسئولون أمام نواب الحاكم العام والنواب بدورهم مسئولون أمام الحكام العموم للأقاليم، وحكام عموم الأقاليم بدورهم مسئولون أمام دقلديانوس صاحب السلطة التامة فى تعيينهم أو عزلهم، ويمكن تصور ذلك فى الهرم الإدارى التالى:



وبهذا التدرج الإدارى تمكن دقلديانوس من أن يتخلص من مظاهر الحكم الجمهورى *Respublica* بحيث بدت الإمبراطورية فى عهده ملكية استبدادية مطلقة.

ثانياً، المجال العسكري (الجيش):

- لم يختلف الإمبراطور دقلديانوس عن سابقيه من الأباطرة الرومان فى اعتمادهم على الجيش ذلك الاهتمام الذى بدأ مع بداية العصر الإمبراطورى نفسه حين تولى الإمبراطور أوغسطس عرش الإمبراطورية إذ خبروا جميعاً أهمية الجيش فى الدفاع عن الإمبراطورية وحدودها.

- اعتمد الإمبراطور دقلديانوس فى تكوين جيش الإمبراطورية على الجند الذين ينتمون إلى أكثر شعوب الإمبراطورية تخلفاً فى المجال الحضارى مثل الجرمان فى أوروبا، والبربر فى إفريقيا، والعرب فى سوريا وهذا لا ينفى بطبيعة الحال أن الغالبية العظمى من المواطنين الرومان المتمتعين بحقوق المواطنه الرومانية هى التى شكلت قوام الجيش الأساسى.

- والسؤال الذى يطرح نفسه هو لماذا اعتمد الإمبراطور دقلديانوس على جند ينتمون إلى شعوب أقل تحضراً من الرومان ومعروف عنهم العداء لروما وللإمبراطورية؟

والإجابة هى إن حرص دقلديانوس على درء الاخطار الخارجية أستلزم زيادة اعداد الجيش فاتجه للاستعانة بالفرق المؤلفه من البرابرة المرتزقة وجعل مراكزهم قرب عواصم كبار الحكام الأربعة وذلك للتأهب للسير للحدود فى أى وقت، ويؤكد كامبيرون فى مؤلفه «الحضارة البيزنطية، إن دقلديانوس قد زاد من اعداد الجنود بأضافة وحدات جديدة للجيش وان عمود الجيش الفقرى كان يتألف من الكتائب الرومانية *Legiones* والمسلحة على أعلى مستوى بالإضافة إلى عدد من الكتائب التى شملت حوالى خمسة آلاف من المشاة ويذكر دليلاً جاء فى *Notitia dignitatum* وكيف ان دقلديانوس قد

أعطى لكل فرقة منهم اسماً خاصاً فكان بعضها يعرف بـ Iovia أو Herculia أو Diocletiana أو Maximiana⁽⁸⁾.

- جعل دقلديانوس الخدمة في الجيش إلزامية وبخبرنا تشارلز ورث في مؤلفه «الإمبراطورية الرومانية» أنه سمح لأبناء الجنود والمحاربين القدماء والمتطوعين بالانخراط في الجيش⁽⁹⁾ وفتح الطريق أمام الجندي للترقي ليصبح ضابط مائه، وصولاً إلى مرتبة القائد الأعلى للجيش.

- ويجمع معظم الباحثين على أن دقلديانوس بفضل مجهوداته في الجيش تمكن من تدعيم الحدود وبناء القلاع ويشق الطرق العسكرية من بريطانيا في الغرب إلى ما يسمى بـ Strata Diocletiana في الشرق وهو طريق يمتد من البحر الأحمر إلى Dura على الـ Euphrates⁽¹⁰⁾.

- ومن أهم تعديلات الإمبراطور أوغسطس في الجيش هو تقسيمه للجيش إلى فرعين هم:

Limitanei

قوات الحدود

جنود مزارعين يعيشون على الحدود والتي سميت بعد ذلك بحرس الحدود تطبيقاً لنظرية الدفاع في العمق والتي تنسب إلى دقلديانوس والتي نشرها بعد ذلك أحد الكتاب العسكريين المحدثين وهو إدوارد ليتواك Edward Luttwak وآخرون.

Comitatus

الجيش المقاتل

(الجيش الميداني)

ونعرف من الأدلة الوثائقية أنه كان موجود في عهد دقلديانوس وتم توسيع اعداد المقبولين به في عهد قنسططين.

(8) Cameron Averil, The Later Roman Empire, op. cit, p. 33.

(9) Charles Worth M.P., The Roman Empire, Great Britain, 1961, p. 44.

(10) Cameron Averil, the Later Roman Empire, Op. cit, p. 35

وعن مجهودات الجيش الحربية فى عهد دقلديانوس فنعرف ان دقلديانوس استعمل الجيش فى إقرار الأمن والنظام فى مختلف أرجاء الإمبراطورية والولايات التابعة لها، وفى إخضاع الثورات العارمة فى كل من Gallia غاليا، و Aegyptus مصر، وولاية Africa إفريقيا وبريطانيا Britania .

وقد تمكن دقلديانوس بحسن قيادته للجيش من صد البرابرة على إمتداد جبهتى الراين والدانوب، وفى ٢٩٧م تمكن من مهاجمة الفرس واسترد منهم بلاد ما بين النهرين وبذلك امتدت حدود الإمبراطورية شرقاً حتى نهر دجلة، وعادت رقعة الإمبراطورية من جديد لما كانت عليه عام ١١٧م باستثناء اقليم أو اثنتين .

ولا يمكن فى هذا الصدد ان تغفل إنشاء دقلديانوس لتلك القوة الحربية العسكرية المتنقلة وهى قوة غير مرتبطه بجهة بعينها وكان الهدف من ذلك هو أن تتحرك هذه القوة فى أى وقت لأية جهة حسب الظروف ووفق مشيئة الأمبراطور.

ثالثاً: النظم المالية والضرائب:

قام دقلديانوس بحصر واسع للأراضى الزراعية فى الإمبراطورية وتحديد بها بهدف تقرير الضرائب فى صورة عادية، ورغم أنه لم ينجح فى إصلاح الأزمة الاقتصادية إلا أنه نجح فى حماية الفقراء من جشع المستغلين والمتاجرين بأقوات الأهالى إذا اصدر قرارات خاصة بتحديد اسعار السلع والمواد الغذائية ووضع العقوبات لكل من يخالف ذلك^(١١) .

وفى إطار مجهودات دقلديانوس للحد من ارتفاع الاسعار قام بسك عملة نقدية سليمة فى ٢٩٦م، ورغم ما احرزته تلك العملة من نجاح، إلا أن الاسعار ظلت مرتفعة وهنا اصدر مرسوم فى عام ٣٠١م تضمن الحد الأقصى لأثمان

(١١) محمود سعيد عمران، مقالات فى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية

٢٠٠٤، الاسكندرية: ص ٥٠ .

السلع والحاجات الأساسية للرعايا الرومان وفي المقابل عمل على تثبيت الحد الأقصى لمعدلات أجور العاملين في المهن المختلفة^(١٢).

والواقع أن الطبقات الدنيا قد تدهورت ظروفها في عهد دقلديانوس بعد أن اضطر أفرادهم ترك مزارعهم وهجر تجارتهم فأصدر مرسوماً يجبر فيه الفلاحين وأصحاب المهن المختلفة على مبدأ الوراثة وذلك خوفاً منه على إقتصاديات الإمبراطورية^(١٣).

وفيما يخص نظام الضرائب فقد لجأ الإمبراطور دقلديانوس لفرض الضرائب العينية بدلاً من النقدية، وقد لقي مسئولية جمع الضرائب المقررة على عاتق ملاك الأراضي الزراعية وموظفي مجالس المدن. وكان يفرض عليهم دفع الضرائب التي يخفون في جمعها من أموالهم الخاصة فكانوا يتخلون عن وظائفهم ويهربون إلى الصحراء وبالمثل فقد تخلى دافعي الضرائب أنفسهم عن أراضيهم وكان أمامهم إما الانخراط في سلك الجندية أو الانسحاب إلى الأديرة^(١٤). وادى ذلك إلى اسناد مهمة دفع الضرائب على الأراضي الزراعية التي تركها أصحابها إلى ملاك الأراضي المجاورة مما ساعد على زيادة طغيان وظلم جامعي الضرائب لدرجة أن الإمبراطور فالينثيان الأول في عام ٣٦٤م أنشأ وظيفة *Defensor Civitatis* (حامى المدينة) والذي كان من أهم واجباته حماية دافعي الضرائب من ظلم الموظفين ومندوبي المالية.

كانت هذه هي أهم ملامح إصلاحات دقلديانوس في النظم المالية والضرائب وفي عام ٣٠٥م اعتزل دقلديانوس الحكم وعمره تسعة وخمسين

(١٢) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٣٦.

(13) Robinson Cyril E, A History of Europe: Ancient and Medieval, U.S.A, 1920, p. 466.

(١٤) سهربر ابراهيم نعيلى، تاريخ مصر في العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٤، ص ٧١ وما بعدها.

عاماً بعد أن أصيب بطل الشيوخوخة المبكرة، وقضى أعوامه الأخيرة التسعة معتكفاً عن الحياة العامة واعتزل في الوقت نفسه شريكه في الحكم مكسيميان في ميلانو وفقاً لإتفاق سابق مع دقلديانوس^(١٥).

هكذا حاول دقلديانوس معالجة تدهور أحوال الإمبراطورية، وترميم التصدع الذي أصابها بإدخال تغييرات أساسية في نظم الدولة وسياساتها، ليتفادى ما يمكن أن يحدث من انهيار تام لها، ويمنع حدوث الاضطرابات والانقلابات العسكرية التي كانت تقع عادة عند انتهاء عهد إمبراطور وتولى إمبراطور آخر، وما كان يحدث من بروز طموح القادة العسكريين^(١٦).

٣- الإمبراطور دقلديانوس والمسيحية:

عن موقف الإمبراطورية ممثلة في حاكمها الإمبراطور دقلديانوس من المسيحية يحدثنا كاميرون قائلاً: أنه في ٢٣ فبراير عام ٣٠٣م تم تدمير الكنيسة الموجودة في نيقوميديا وفي اليوم التالي يقول لنا يوسيبوس أنه قد صدر قرار (مرسوم) من دقلديانوس يقضى بتدمير كل الكنائس وحرق جميع الكتابات المسيحية، كما تم بموجب هذا المرسوم خلع كل المسيحيين الذين كانوا يتولون وظائف حكومية في الإمبراطورية من مناصبهم وقد تلت هذا المرسوم قرارات أخرى سريعة وتم العمل بها في الشرق وكانت تقضى هذه القرارات بحبس القساوسة وإجبارهم على تقديم الأضاحى إلى الآلهة الوثنية ويحفظ لنا اوبتاتوس Optatus وهو قس كاثوليكي أفريقي ينتمى إلى أواخر القرن الرابع ما حدث في كيرتا Cirta في نوميديا Numidia حيث تم مصادرة أملاك القس رئيس الكنيسة هناك وكذا أملاك المجلس الكليركى فيها بما في ذلك ملابس واحذية الرجال والنساء وهذا دليل قاطع على حدوث الاضطهاد في حين أظهر كل من مكسيميان Maximian وقنطنطين كلوروس Constantius Chlorus في الغرب حماساً أقل تجاه هذه السياسه حتى لو

(١٥) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٥٠.

(١٦) محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٤.

اغفلنا رواية يوسيبوس في هذا الشأن في كتابه «الدفاع» Apologia، وعموماً فقد ترك هذا الاضطهاد أثراً عميقاً على المسيحيين المعاصرين لهذا الحدث فكتب لاكتانتىوس Lactantius «عن وفاة المضطهدين» De Mortibus Persecutorum وذلك بعد انتهاء الاضطهاد ذاكراً أن قنسطنطين قد هزم ماكسينتيوس Maxentius ونجد ان العمل كله يهدف إلى ابراز فكرة ان الله (الرب) كان بالفعل إلى جوار المسيحيين وأنه سيعاقب اولئك الذين اضطهدهم بعقوبات مرعبة (١٧).

والمسيحيون في الشرق لم يكن لديهم ما يدعوهم ابداً للشك في نوايا الإمبراطور دقلديانوس منذ بدء حكمه (عصره) الذي أطلق عليه عصر الشهداء سنة ١ قبطى = ٢٨٤م ويتضح ذلك من رسالة ارسلها بطريرك الإسكندرية إلى مدير القصر الامبراطورى وكان يدعى لوسيان يعتقد الديانة المسيحية وجاء تعيينه فى هذه الوظيفة بعد ارتقاء دقلديانوس العرش الامبراطورى بقليل (١٨).

ونعرف من خلال ما ورد بهذه الرسالة ان البطريرك كان عارفاً بواجبات الموظفين داخل القصر الامبراطورى حيث وجه نصائحه إلى أمين الكنيسة ولأمين الخزانة الإمبراطورية والمسئول عن الثياب ولأمين المكتبة، كما نعرف ان المسيحيين كانوا يتولون وظائف خطيرة لدى الإمبراطور الوثنى.

ولعل محاولات بعض الولايات نحو الاستقلال عن الإمبراطورية التي تزعمها قادة مسيحيون^(٩) كانت سبباً فى اضطهاد دقلديانوس للمسيحيين وتغيير سياسته معهم.

(17) Cameron Averil, op. cit, pp. 43 - 44.

(١٨) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٥١ وما بعدها حيث أورد نص الرسالة كاملاً.

(*) مثل الثورة التي تزعمها أخيلوس فى مصر والتي كانت تهدف إلى الاستقلال.

وترى وجهة نظر أخرى أن هذا الاضطهاد الذى حدث فى عهد دقلديانوس إنما يعود إلى علو شأن ونفوذ المسيحية وانصراف اتباع تلك الديانة عن عبادة الإمبراطور وهى أمور رأى فيها دقلديانوس تهديداً لسلامة الإمبراطورية وأمنها ولذلك أعزّم محاربة العقيدة والحق الأذى بأتباعها، ولم يكن دافعه إلى ذلك مقته للمسيحية ولكن خشية أن يؤدى إهمال شأنها إلى هدم صرح الإمبراطورية الرومانية وقد زادت مخاوفه عندما أصبح بين قواته النظامية - ضباطاً وجنوداً - فى القصر الإمبراطورى نفسه انصاراً لتلك الديانة^(١٩).

وعلى الرغم مما قام به دقلديانوس تجاه المسيحيين من إجراءات عنيفة إلا أن ذلك لم يضعفهم فقد جادوا بكل نفيس فى سبيل العقيدة وظهروا ألواناً من الشجاعة والصبر والبطولة جعلتهم موضع إعجاب المعاصرين بشكل أدى إلى اعتناق الكثير منهم المسيحية^(٢٠).

وعندما تنازل الإمبراطور دقلديانوس عن العرش انتهز البطريرك المصرى بطرس ٣٠٠-٣١٢م هذه الفرصة وأصدر قانوناً عرف بأسم «قانون التوبة، بغرض العفو عن المسيحيين الذى ارتدوا عن المسيحية فى فترات الاضطهاد»^(٢١).

(19) Downey Glanville, The Late Roman Empire, U.S.A., 1969, pp. 15-16.

(٢٠) محمد محمود الحويى، مرجع سابق، ص ص ٦٤ - ٦٥.

(٢١) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ص ٦٠-٦١، حيث أورد بنود القانون ومجملها سبع بنود.

٢- الإمبراطور قنسطنطين

٣٠٦م - ٣٣٧م

١- ظروف تولية عرش الإمبراطورية:

- أدى تنازل دقلديانوس عن عرش الإمبراطورية في عام ٣٠٥م بعد بلوغه سن الستين إلى نشوب حروب أهلية طاحنة أدت بدورها إلى انهيار نظام وراثة العرش الذي وضعه بهدف تجنب الإمبراطورية أخطار الثورات والحروب الأهلية^(٢٢).

- استطاع قنسطنطين الوصول إلى العرش بعد أن تغلب على منافسيه وكان هو الابن الأكبر لقنسطنطيوس وينتمي إلى نيسوس Naissus نيش حالياً في يوغوسلافيا حيث ولد هناك لأم كانت ناذلة في حانه وتدعى هيلينا.

- أرسله والده إلى بلاط دقلديانوس لينال قسطاً من التعليم وذلك بعد أن صار قيصرًا مسؤولاً عن كل من Gallia و Britania، وبعد أن ترقى قنسطنطيوس نادى الجند بأبيه قنسطنطين إمبراطوراً في ٣٠٦م^(٢٣).

- وعلى أثر تولي قنسطنطين عرش الإمبراطورية اندلعت نيران الحرب الأهلية واستمرت حتى ٣١٠م، حيث تنازع السلطة ثلاثة من الزعماء هم :

١- لكينيوس Licinius في الشرق.

٢- ماكسينتيوس Maxentius في إيطاليا.

٣- قنسطنطين Constantius في بريطانيا والغالة.

وتمكن الأخير من القضاء على ماكسينتيوس في موقعة جسر ملثيان Milvian Bridge وأصبح بذلك النصر سيداً على الغرب، ثم تقاسم قنسطنطين

(٢٢) محمد محمود الجريدي، مرجع سابق، ص ٢٨.

(23) Jones A.H.M, The Decline of the Ancient World, London, 1975, p. 39.

بعد ذلك السلطة مع لكينيوس (حاكم الشرق) فيما بين عامي ٣١٢ و ٣٢٤م ولكنه لم يأتى عام ٣٢٤م إلى نهايته إلا وكان قنسطنطين قد خلع خصمة الشرقى وهزما وبذلك تتوحد الامبراطورية على يد قنسطنطين مرة أخرى^(٢٤) فى ٣٢٣م.

ويُجمع جمهور الباحثين على ان لقنسطنطين أهمية خاصة فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية المتأخر وذلك نظراً لأعماله الهامة التى كان لها أثر واضح على تغيير وجه التاريخ وتحقيق الانتقال من العالم القديم إلى عالم العصور الوسطى حيث قام ضمن أعماله بعملين على قدر كبير من خطوره وهم:

١- الاعتراف بالمسيحية.

٢- نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى روما الجديدة Roma Nouva التى شيدها على ضفاف البسفور فى الشرق والتى سميت بأسمه حيث عرفت باسم القسطنطينية Constantinople.

وفى الواقع فإن نقل قنسطنطين للعاصمة من الغرب إلى الشرق يدل على بصيرته السياسية الحكيمة ونضوج فكره السياسى، حيث ادرك ان اعترافه بالديانة المسيحية وسياسته الدينية لا يمكن أن تستقيم فى روما حيث تعبد الآلهة الرومانية الوثنية فجاءت فكرة نقل العاصمة إلى الشرق حيث يزداد عدد المسيحيين وهى الفكرة التى نفذها فعلاً فى ٣٣٠م^(٢٥).

(٢٤) كاذنور: تاريخ العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٧، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، مراجعة د. على الغمراوى، ج١، ص ٧٦.

(٢٥) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٥، ج١، ص ٢٦ وما بعدها، قارن: Chadwick H., The Early Church, London, 1967, p. 122.

- محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ١٥،

- إدراود جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، ج١، ترجمة محمد أبو درة - مراجعة نجيب هاشم، ص ٥٠٥، حيث قال أنها سرعان ما برزت روما وتفوقت عليها.

٢- أثر الإمبراطور دقلديانوس على الإمبراطور قنسطنطين؛

اقتفى قنسطنطين أثر السياسة الإدارية التي وضع أساسها الإمبراطور دقلديانوس فآتم أعماله التي كان قد بدأها بشكل أبعد أثراً.

وجاءت إصلاحات كلاهما الإدارية على أساس التفرقة بين السلطين الحربية والمدنية وقد ظهرت هذه التفرقة (الفصل) في حكم الولايات إذ أصبح حاكم الولاية مسؤولاً عن شئونها المدنية فحسب، في حين أختص القائد DUX بالإشراف على النواحي الحربية.

- ألغى قنسطنطين النظام الرباعي في الحكم والذي وضعه الإمبراطور دقلديانوس، وينسب إليه أهم تغيير إداري طرأ على الإمبراطورية وهو إدخاله مبدأ الحكم الوراثي، ليصبح المنصب الإمبراطوري في عهده وراثياً في أسرته وذلك بعد أن انفرد بالسيادة على الإمبراطورية بعد معركتي أدرنه Adrianople وكريسبوليس Chrysopolis^(٢٦).

٠ - اعتمدت أسرته على دعائتين في حكم الإمبراطورية.

١- تأييد الجيش.

٢- الدعاية الدينية الجديدة.

١ - سياسته العسكرية؛

انجبت نحو انقاص عدد أفراد الفرق العسكرية وذلك على خلاف سياسة الإمبراطور دقلديانوس في هذا المجال كما اسلفنا الحديث عنها، كما أستمّر على سياسة دقلديانوس من جهة أخرى من حيث أنه أستمّر في فتح الباب أمام الهرمان للعمل كجند نظاميين في صفوف الجيش الإمبراطوري لنفس الأسباب التي دفعت سابقه دقلديانوس لانتهاج هذه السياسة.

(26) Camoron Averil, op. cit., p. 42.

لم تختلف عن سياسة دقلديانوس كثيراً وسوف نعرض الآن لبعض العناصر التي تخص سياسة كلاهما المالية.

أ- نظام الأراضي وملكيته:

انقسمت الأراضي الزراعية في مصر - مثلاً - إلى ضياع امبراطورية، أرض التاج، أملاك خاصة بالإمبراطورية، وأرض الكنائس، وقد أصبحت أرض المعابد قديماً ضمن أرض التاج وقد اطلق على أملاك الامبراطور الخاصة اسم «البيت المقدس» وذلك في القرن الخامس، أما بالنسبة لأرض الكنائس والأديرة فقد آلت إليها عن طريق الهبات التي وهبها الأباطرة من أملاكهم الشخصية وكانت الكنائس والأديرة تقوم بزراعتها أو تأجيرها للمزارعين.

- انتقلت كثير من أرض التاج إلى الأفراد وأصبحت ملكاً خاصاً لهم لذلك أخذت أملاك الدولة في التناقص، ولم يعد الإمبراطور في هذا العصر عموماً هو المالك الوحيد أو حتى أهم الملاك في مصر.

- وتوجد سجلات عن بيع الأراضي بعد دقلديانوس ويبدو أن حق الملكية قد أنتشر بعد أن قضى دقلديانوس على ثورة اخيلوس في مصر وأعاد تنظيم البلاد، وتقرر بيع الأراضي الزراعية بشرط أن يقبل المشتري تحمل تسديد ما على الأرض من التزامات عامة في المستقبل.

- ويدل سجل هرموبوليس (الاشمونين) على نمو الضياع الكبيره وعلى أن الغالبية العظمى من أصحاب هذه الضياع كانوا من المصريين أو اليونانيين في القرن الرابع.

- ومن أنواع ملكية الأراضي ما عرف بأرض الكنائس والتي آلت إليها عن طريق الهبات أو الأراضي المصادرة وتدل الوثائق الرسمية ان كلاً من كنيسة الإسكندرية والقسطنطينية كان لهما أملاكاً خاصة بمصر.

- وحازت الكنيسة أيضاً أراضى عجز أصحابها عن دفع الضرائب المستحقة فعرضوا أراضيتهم تحت حماية الكنيسة كي تخلصهم من استبداد جامعى الضرائب خاصة فى الاسكندرية والقسطنطينية وكانت الكنيسة تأخذ ما معهم من أراضى فى مقابل تعهدها بدفع ما عليهم من ضرائب متراكمة^(٢٧).

(ب) ثانياً، الضرائب وأنواعها،

اعتمدت الإمبراطورية الرومانية منذ عهدها المبكر وحتى عهدها المتأخر على الجيش وكان من بين وسائل الأباطرة الرومان لكسب تأييد الجيش منح الجنود إقطاعات من الأراضى وخصوصاً فى ولاية مصر. وفرض ضرائب جديدة لسد حاجة الجند ولذلك فنجد أن الضرائب فى الإمبراطورية الرومانية سواء فى عهدها المبكر أم المتأخر قد ازدادت زيادة ضخمة لسد مطالب الحرب ومن الضرائب التى كانت تمثل مصدراً مالياً للإمبراطورية الرومانية فى عهدها المتأخر.

١- ضريبة الأراضى الزراعية *Adiectis Steriliam*، وكانت قيمتها تتغير من عام لآخر حسب انتقال الملكية ومستوى الفيضان.

٢- ضريبة الرأس *Kephaletion* وكانت تفرض على الذكور من سن ١٤ وحتى سن الستين واعفى منها الرومان والاغريق واليهود وكان يتم تقديرها حسب المنطقة التى كان يعيش فيها الفرد.

٣- ضريبة الخدمات العامة *Leitorgiae* وعرفت فى العصر الرومانى باسم *Munera* وكانت تقتصر على الأغنياء لقدرتهم على الانفاق مثل شيوخ القرية والقائمين بأعمال الشرطة وجامعى الضرائب، عينية كانت أم نقدية وأعضاء مجالس المدن المركزية.

٤- ضريبة المهن الحرفية وفرضت على أصحاب الحرف ذكوراً وإناثاً وكانت تدفع على دفعات

(٢٧) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ٩١-٩٦.

وكان يتم تكليف العاطلين بالعمل فى مصانع ومخابز الدولة حتى يتمكن من دفع هذه الضريبة.

٥- ضريبة الحيوانات وكانت تدفع عن كل رأس من الحيوانات وقد فرضت على الإبل والحمير والخيول والأغنام والماعز والحمائم والدجاج.

وكانت هناك العديد من الضرائب الأخرى مثل ضريبة السدود وضريبة المرافق العامة وضريبة السماء Aerikon والتي كانت تفرض على المباني العالية فى المدن وضريبة المساحة، وضريبة النخيل، والرسم البلدية، وضريبة المعاملات التجارية وأخيراً الميرة العسكرية وهى الضريبة التى كانت تحصل من أجل تموين الجيوش وكان الجنود يتقاضون جزءاً من رواتبهم عنياً من القمح والكرت (٢٨).

- عموماً فقد انزل قنسطنطين طبقة الصناع لمرتبة العبودية وذلك عندما جعل الحرف والأعمال وراثية جرياً على سياسة سابقه دقلديانوس فى هذا الصدد حتى لا يفر أصحابها من قسوة الضرائب (٢٩).

وقد شدد العقوبات على جامعى الضرائب فى المدن فى حالة عجزهم عن استيفاء الضرائب المقررة من قبل الحكومة.

وفيما يخص المزارعين فقد وضع تشريع يقضى بمنع أولئك الذين يعانون من الديون من ترك أراضيهم والانتقال إلى ولايات أخرى مما عجل بالقضاء على طبقة المزارعين الأحرار وتحويلها إلى عبيد مبروطين بالأرض.

واستمرت العملة الرومانية على عهد قنسطنطين فى تحسن مضطرد

(٢٨) سهير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ١٠٠ - ١٠٤.

(٢٩) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، حيث أورد نص المرسوم الذى أصدره قنسطنطين عام ٣٢٧م فى هذا الصدد حيث اعتبر هذا المرسوم محاولة لحل مشكلة خلو الإمبراطورية من أصحاب المهن الحرفية.

بشكل أدى إلى استقرار الوضع الاقتصادى فى الإمبراطورية^(٣٠) ولدرجة أنه سك عملة ذهبية جديدة عرفت باسم Solidus، وقد حقق السلام الذى ساد ربوع الإمبراطورية انتعاشاً غير مسبوق فى أسواق الذهب والفضة فيها بفضل احياء العمل فى مناجم الذهب والفضة القديمة^(٣١).

٢- تأسيس العاصمة الجديدة:

- ان تأسيس القسطنطينية واتخاذها عاصمة للإمبراطورية الرومانية يدل على شجاعة بالغة، لأن روما كانت رمزاً لعظمة تلك الإمبراطورية على مدار تاريخها إذ أدركنا كما اسفلنا الذكر ان روما لم تعد تصلح مقراً للإمبراطورية لأنها من جهة أصبحت بعيدة عن حدود الإمبراطورية التى إتسعت ومن جهة أخرى فقد كانت تموج بأنصار الجمهورية، كما أن روما بدأت تضعف منذ وفاة الإمبراطور أوغسطس Augustus سنة ١٤ م وأكبر دليل على ذلك الضعف ان دقلديانوس نفسه نقل عاصمته إلى نيقوميديا الواقعة على تركيا الآسيوية بعد أن أدرك أن روما لم تعد المقر المناسب لإدارة حكم الإمبراطورية^(٣٢).

- اختار قسطنطين عاصمته الجديدة مكان بيزنطة القديمة الواقعة على البوسفور Bosphorus، ووفقاً لرنسيمان فقد أسس بيزنطة جماعة من الملاحين من ميغارا Megara عام ٦٥٧ ق.م

ومن الواضح أن موضع مدينة القسطنطينية يتميز بأهمية جغرافية واستراتيجية فمن الناحية الجغرافية تقع هذه المدينة عند التقاء قارتى آسيا

(30) Cary M. and Wilson John, A Shorter History of Rome, London, 1963, p. 322.

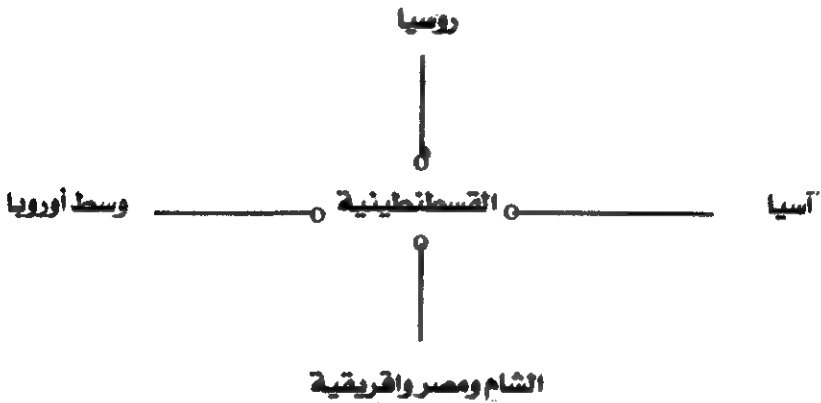
(31) Kent J.P.C. and Painter K.S., Wealth of the Roman World. Gold and Silver A.D 300-700, British Museum 1077, pp. 15 - 18.

(32) Rice Tamara Talbot, Byzantium, London, 1969, p. 10.

وأوروبا إذ يحدها البسفور من الشرق والقرن الذهبي من الشمال وبحر مرمرة من الجنوب ولا يمكن الوصول إليها براً إلا من جهة واحدة.

أما من الناحية الاستراتيجية فأرضها تشكل مثلثاً تحمي المياه ضلعيه والضلع الثالث فقد حماه الحكام بفضل الاسوار التي أقاموها حوله.

- صارت أهم مراكز التجارة العالمية بفضل سيطرتها على تجارة البحر الأسود فمنها نتجة طرق التجارة شمالاً إلى روسيا وشرقاً إلى آسيا وغرباً إلى وسط أوروبا وجنوباً إلى الشام ومصر وإفريقية كما هو موضح في الرسم التالي:



وهكذا وبفضل مزايا القسطنطينية السابقة فقد ظلت صامدة في وجه أعدائها واستطاعت ان تحافظ على الإمبراطورية الشرقية لما يزيد على الألف عام (٣٣).

- لقد جمع قسطنطين كل ما يلزم لعملية البناء من العمال والمواد الأولية، وأحضر تحفاً وآثاراً وثنية رائعة جمعها من روما وإثينة والاسكندرية وأفسوس وزين بها شوارعها وميادينها ومنحت المدينة امتيازات مالية اجتذبت

بها عدداً كبيراً من السكان، واشتهرت المدينة كذلك بكثرة ما شيده قنسطنطين بها من كنائس وبذلك أخذت الطابع المسيحي منذ البداية.

- أقام قنسطنطين بها قصراً ومسوقاً ومحاكم وداراً للسيناتوس Senatus وحمامات وملعب ضخمة، وسرعان ما اثبتت أنها تستحق بالفعل ان تسمى «روما الجديدة»، وأنها مصدر قوة وثروة لكل حكومة قامت بها منذ افتتاحها الرسمي في ١١ مايو ٣٣٠م^(٣٤).

وقد ترتب على نقل العاصمة إلى القسطنطينية عدة نتائج هي كالتالي:

١- انحسار المد الاقتصادي عن الغرب الأوربي فتحولت الثروات إلى الشرق لتصبح مركزه في أيدي تجار الاسكندرية وانطاكية.

٢- ضعف مكانه روما وهيبتها السياسية فتحول القمح المصري ليجد طريقه إلى القسطنطينية بدلاً من روما^(٣٥).

٣- تسال المؤثرات الشرقية في نواحي الحكم والإدارة والآداب وبالتالي سيطر الطابع الهلنستي على ذلك القسم.

والواقع فإن مدينة القسطنطينية ذات فضل تاريخي على الحضارة الأوروبية في العصور القديمة، فلولا قيام القسطنطينية لما استطاعت البابوية الوصول إلى ما وصلت إليه من قوة ومجد في العصور الوسطى ولحرم شرق أوروبا من تلك القلعة المنيعة التي صمدت في وجه المسلمين وحالت دون غزوهم شرق أوروبا.

وصارت القسطنطينية حصن الحضارة اليونانية والدراسات الهلنسية ولولاها لأدت غزوات السلاف لشبه جزيرة البلقان فيما بعد إلى اقتلاع جذور هذه الحضارة.

(34) Idem, p. 49.

(35) Baynes Norman H., Decay of The Western Power and its Causes, in Universal History of the World, ed. by J.A. Ham-merton, vol 4, pp. 2230 - 2231.

بعد الانشقاق الدينى الذى وقع داخل الكنيسة المصرية أهم الاحداث التى وقعت فى عهد الامبراطور قنسطنطين وذلك لما كان له من أثر على العالم أجمع فى هذه المرحلة وما بعدها لعدة قرون^(٣٦).

- وتسجل معظم المراجع والمصادر التى تعود إلى هذه الفترة أن قنسطنطين فى سنة ٣١٣م قد أصدر مرسوم ميلانو الذى يقضى بالتسامح مع المسيحيين وقد أصدر الإمبراطور قنسطنطين هذا المرسوم مع شريكه الإمبراطور لكينيوس، وقد جاء فى هذا المرسوم:

١- منح الحرية الدينية لجميع سكان الإمبراطورية.

٢- التسامح مع المسيحيين ووقف اضطهادهم.

٣- إلغاء كل القرارات الصادرة ضدهم.

٤- رد كل الأملاك والأماكن التى صودرت من المسيحية وبأقصى سرعة.

٥- اتخاذ إشارة الصليب علامة مميزة للمسيحيين والجنود.

٦- اعتبار يوم الأحد من كل أسبوع عيداً للمسيحيين.

٧- إجازة حق الإرث بالوصية لصالح الكنيسة.

٨- تصبح المسيحية ديانة شرعية ضمن ديانات الدولة ومساوية لكل الديانات الأخرى بها^(٣٧).

عموماً زاد الأمن بعد صدور مرسوم ميلانو فأخذت الكنائس فى الإنتشار ويرى البعض أن دهيلانه، والد الإمبراطور قنسطنطين قد أمرت ببناء عدة كنائس فى مصر أوقفت عليها بعض الأوقاف، لعل أهمها :

(٣٦) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٣٧) نير ابراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ٣٥.

١ - كنائس الدير الأحمر.

٢ - الدير الأبيض بالقرب من سوهاج.

وفي هذه المرحلة أيضاً تأسست كنيسة الحبشة التي اعتبرها بعض الباحثين ربيبة الكنيسة المصرية (٣٨).

والواقع فإن الإنشقاق الديني السابق الإشارة إليه الذي وقع داخل الكنيسة المصرية بعد الاعتراف الرسمي بالمسيحية في عهد قسطنطين بموجب مرسوم ميلانولم يكن الأول في تاريخ المسيحية فهناك الخلاف الذي حدث بين اورجينيس (*) واسقف الاسكندرية ديمتريوس إذ حاول اورجينيس ان يوفق بين المسيحية والفلسفة اليونانية القديمة فقام بتفسير سفر التكوين على اساس فلسفة افلاطون القائمة على ثنائية العقل والمادة فاعتبروه متطرفاً ورفضت المجامع الدينية قبول الكثير من آرائه.

وسوف نعرض لأسباب حدوث الانشقاق الديني والخلافات المذهبية تفصيلاً وذلك بعد ان نهي حديثنا عن خلفاء قسطنطين في هذ الفصل.

٣ - الإمبراطورية بعد قسطنطين

توفي قسطنطين عام ٣٣٧م وبعد وفاته قسمت الإمبراطورية بين أبنائه الثلاثة:

١ - قسطنطين II .

٢ - قسطنطينوس .

٣ - قسطنز .

(٣٨) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٧٠.

(*) هو أعظم مفكرى المسيحية في عصره ولد في ١٨٥م بالإسكندرية واستشهد زمن اضطهاد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، ولم يبق من كتاباته إلا شذرات وكتابه المعروف باسم "ضد كلوس، Contra Celsum وقد ناقشت د. أميرة قاسم فكره الديني في أطروحتها التي ايجزت للدكتوراه في ٢٠٠٦م بجامعة الاسكندرية - كلية الآداب .

وكانت مصر في الجانب الذي وقع تحت حكم الأبن الأول الذي يعرف بأسم قسطنطين الثاني.

وظلت الإمبراطورية مقسمة حتى استطاع الأبن الثاني قسطنطينوس توحيدها مرة أخرى عام ٣٥٠م تحت حكمه الذي استمر حتى عام ٣٦١م، وبالرغم من ذلك فقد أخذت الإمبراطورية في الانحدار والضعف في النصف الأخير من القرن الرابع بسبب هجمات الأعداء على حدودها.

كان قسطنطين الثاني يعتقد المسيحية على المذهب الأثناسيوسى في حين كان أخيه قسطنطينوس أريوسى المذهب ولذا فعندما توفى قسطنطين الثاني فى عام ٣٤٠م قام الإمبراطور قسطنطينوس بأرسال أحد رجال الدين إلى مصر ليتولى منصب البطريرك ويدعى جريجورس فبدأت الاضطرابات مرة أخرى فى مدينة الاسكندرية وفى ظل هذه الاضطرابات استغل الوثنيون الفرصة وهاجموا الكنائس واحرقوا كتبها ونهبوا خزانها^(٣٩).

فى تلك الاثناء ذهب أثناسيوس^(*) ليشرح قضيته فى روما وهناك تحدث عن الرهبنة حيث لاقى حديثه قبولا لدى جمهور الغرب وإثناء وجوده هناك دعا إلى عقد مجامع دينية، ولم تجتمع، وعقدت مجامع أخرى وبرأته وعاد إلى منصبه فى الإسكندرية حيث شكلت علاقته مع الإمبراطور جوليان ملامح الفترة التالية:

٤- جوليان وخلفائه،

زاد ضعف الإمبراطورية الرومانية بسبب هجمات الأعداء على حدودها ولم تفلح جهود الأباطرة الذين تولوا الحكم فى هذه الفترة فى صد ذلك الخطر أو وقف تيار الانحلال ومنهم:

(٣٩) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٧٢ - ٧٣.

(*) وثلى المذهب عاشر المسيحيين ومال إلى آدابهم وديانهم فعمده البطريرك اسكندر ٣١٣-٣٢٦م وجعله شماساً وتلميذاً خاصاً له وقد خلفه بعد وفاته ٣٢٦-٣٧٣م.

١- جوليان ٣٦١ - ٣٦٣ م.

٢- جوفيان ٣٦٣ - ٣٦٤ م.

٣- فالنز ٣٦٤ - ٣٧٨ م.

فجوليان قتل اثناء حربه مع الفرس في ٣٦٣، في حين لجأ خليفته جوفيان إلى شراء السلم من الفرس عن طريق التنازل لهم عن أراضي ما بين النهرين، أما فالنز فعاد مسرعاً من الجبهة الفارسية لمواجهة خطر القوط والتقى بهم في موقعه أدرنه في أغسطس ٣٧٨ حيث تمكن القوط الغربيون بمساعدة اخوانهم الشرقيون من محو الجيش الروماني وقتل الإمبراطور ذاته في المعركة^(٤٠).

وبعد مقتل هذا الإمبراطور نقطة تحول خطيرة في تاريخ الإمبراطورية وذلك للأسباب التالية:

١- أخذت قبائل القوط الغربيون بعدها تتوغل داخل أراضي الإمبراطورية تحت ضغط الهون الآسيويين.

٢- أخذت الكنيسة في نفس الوقت تظهر على درجة من القوة والثروة حتى أصبحت المسيحية ديانة الإمبراطورية الرسمية على عهد الإمبراطور ثيودسيوس ٣٧٨-٣٩٥ م.

٣- أصبح بعده مصير الإمبراطورية معلقاً بين ايدي الجرمان من جهة ورجال الكنيسة من جهة أخرى.

وبوفاه ثيودسيوس في ٣٩٥م انتهى الأمر بتقسيم الإمبراطورية الرومانية الكبرى بين ولديه إلى قسمين شرقي وغربي:

(40) Cameron Averil, op. cit., p. 31 , 100.

الإمبراطورية الرومانية



ويعتبر هذا التقسيم من مظاهر التفكك والانحلال الذي أصاب الإمبراطورية الرومانية والتي اشتد خطرهما في النصف الأخير من القرن الرابع لأسباب أربعة وهم كالتالي:

١- إزدیاد الفساد الإداری.

٢- تضاعف عبء الضرائب.

٣- تفاقم الخلل الاجتماعی بعد تكاثر عدد العبيد Servi المشتغلين بالزراعة والصناعة وتناقص عدد الأحرار.

٤- الصراع المذهبی الذي القى بظلاله على أحوال الإمبراطورية.

- لقد كان الاهتمام بتوفير الأمن والرفاهية للرعية هو شغل جوليان Julian الشاغل وكان يخصص أوقات فراغه الشتوية لقضاء أعمال الإدارة المدنية، وقد أعاد جوليان معظم مدن الغالة Gallia إلى سابق عهدها وانتعشت في عهده روح الاقبال على العمل^(٤١).

على أن كل ما سبق لم يكن سبباً في شهرته التاريخية بل اكتسب شهرته بارتداده إلى الوثنية لدرجة أنه عرف باسم Julian The Apostate أي جوليان المرتد وقد اثبتت مجهوداته العسكرية فشلها.

(٤١) محمود سعيد عمران، مرجع سابق، ص ٧٤ - ٧٥.

ولما مات جوليان اختار الجيش جندي مسيحي ذائع الصيت يدعى
جوفيان Jovian وكان مسيحياً على المذهب الاثناسيوسى وفى عهده عاد عدد
كبير من رجال الجيش إلى المسيحية مرة أخرى بعد أن ارتدوا عنها حتى
يظلوا فى مناصبهم فى عهد جوليان.

وتولى بعد جوفيان فالنز الذى كان اريوسى المذهب ولذلك نفى فى عام
٣٦٥م جميع الاساقفة الذين يتبعون مذهب اثناسيوس وهم الذين اعادهم
جوفيان إلى مناصبهم^(٤٢).

(42) Cameron Pveril, Op. cit., p. 31.

الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

الفصل الثالث

الإمبراطورية الرومانية والمسيحية

١- الإمبراطورية الرومانية قبل ظهور المسيحية:

كانت الديانات الوثنية المحلية منتشرة في كافة أرجاء الإمبراطورية الرومانية ومن أهم تلك الديانات التي وجدت تجاوباً شديداً من الأهالي، ديانة الأم الكبرى سيبلى Cybelle من فريجيا في آسيا الصغرى، وديانة ميثرا Mithras من فارس وديانة ايزيس Isis من مصر، وقد عرفت جميعها بديانات الأسرار وذلك لأنها كانت تتميز بسرية ممارستها طقوسها ولا يجوز لمن اطلع على اسرار احداها ان يبوح بها لغيره وعلى الرغم من اختلاف كل ديانه منهم عن الأخرى إلا أنها كانت مرضية لحاجات الأهالي الروحية، كما انها لم تحدث انقلاباً في مركز العبادات الرومانية السائدة وكانت مقبولة خلقياً ومأمونة سياسياً ولذلك فقد نظرت الإمبراطورية لها جميعاً نظرة تسامحية^(١).

- دخلت عبادة سيبلى روما سنة ٢٠٤ ق.م وانتشرت بسرعة بالغة في افريقية والغال وليديا وفريجيا وأيطاليا وغيرها^(٢)، أما ديانة ميثرا الوافدة من فارس فتتلخص تعاليمها في أن العالم نشأ عن أصليين هما: النور والظلمة ومن النور نشأ كل خير ومن الظلمة نشأ كل شر، وقد دخلت عبادة ميثرا إلى روما عن طريق آسيا الصغرى وانتشرت عبادة ميثرا - الإله الذكر الذي هزم الموت إلى الأبد - في الغرب الأوربي خلال القرنين الأول والثاني الميلادى،

(1) Painter, op. cit., pp. 11 - 12.

(2) Lindsay T.M., "The Triumph of Christianity" in Cambridge Medieval History, vol 1, p. 90.

كما انتشرت في بعض الموانئ التجارية الهامة مثل الإسكندرية وبيراوس وقرطاجنه^(٣).

- غير أن العبادة الميثرائية واجهت منافساً خطيراً، وهو الديانة المسيحية التي رحبت بالنساء كاتباع لها يجدون راحتهم النفسية فيها على خلاف الميثرائية التي قصرت عضوية اتباعها على الذكور^(٤).

- أما عبادة ايزيس الإلهة المصرية فقد لاقت من الترحيب أكثر مما لقيته عبادة سيبلو وقد عرفت شعوب البحر الأبيض المتوسط كلها كيف مات أخوها وزوجها أوزوريس (سيرابيس) إله الخير في صراعه مع «ست» إله الشر وكيف اخلصت ايزيس لذكراه وتجوالها في العالم تجمع بقاياها من شرق الأرض وغربها، وقد رحبت بجميع الناس فشملت في عضويتها الرجال والنساء على حد سواء.

- انتقلت عبادة ايزيس إلى روما في غضون القرن الثاني ق.م بفضل الاغريق وكان غالبية اتباع هذه الديانة من العبيد والمعتقين والأجانب وفقراء الرومان، وإن ظهر بينهم في بعض الأحيان سيدات من الطبقة الارستقراطية.

- وكان عصر الأسرة الفللافية هو العصر الذهبي لعبادة ايزيس في روما إذ عثر على نقش يعود إلى عصر فسباسيانوس Vespasianus ٦٩-٧٩ م أول أباطرة تلك الأسرة قام بكتابه أحد العبيد تعظيماً لايزيس Isis Invicta^(٥)

(3) Grant Michael, The World of Rome, London, 1960, pp. 168-171.

(4) Runciman Steven, op. cit., pp. 18 - 19.

(٥) عبد اللطيف أحمد على، مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البريدية، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤٨ - ١٤٩.

التي لا تقهر، وكذلك فقد حملت نقود فسباسيانوس التي سكت في روما وغيرها من المدن صورة ايزيس في معبدها بساحة مارس.

- أما الإمبراطور دوميتيانوس ٨١-٩٦ م وهو آخر أباطرة الأسرة الفيلابية فقد بنى من أجل ديانة ايزيس معبداً هائلاً لها ولسيرابيس^(٦).

- ورغم انتشار الديانات السابقة الواسع إلا أنها لم تفرض سيطرتها على بقية العقائد المختلفة والتي اتجه المثقفون إليها ومنها:

١- مذهب الشكاك Sceptics.

٢- مذهب الغنوسية Gnosticism.

٣- مذهب الفلسفة الرواقية Stoicism وكان لها الغلبة على سائر الفلسفات الأخرى لأنها تتفق والأخلاق والمثل الرومانية ويبدو أن الرومان كانوا رواقيين قبل ان يسمعو أصلاً عن المذهب الرواقى بزمان طويل^(٧).

- واثرت الرواقية في شعور الرومان على مر العصور ونجد لها صدى في كتابات الفيلسوف الرومانى سينيكا وكذلك كتابات الامبراطور ماركوس اوريليوس Marcus Aurelius ١٦١ - ١٨٠.

وعلى الرغم من أن الغنوسية كانت منافساً خطيراً للمسيحية في البداية إلا أنها خلقت بيئة مناسبة لكى تسود المسيحية بعد ذلك، إذ شجعت على ترك الديانات القديمة لقصورها، فأفادت بذلك للمسيحية مساعدة كبرى، وعلى الرغم من هزيمة الغنوسية أمام المسيحية، إلا أنها تركت فى المسيحية اثرين هامين:

(6) Bury J.B., A History of The Roman Empire From its Foundation to The Death of Marcus Aurelius 27 B.C - 180 A.D London, 1930, p. 394.

(٧) محمد محمود الحويدي، مرجع سابق، ص ٥٤.

١- أدت إلى تفكير رجال الدين المسيحي في القرون الميلادية الثانية والثالث والرابع في وضع أسس علم اللاهوت المسيحي.

٢- أوجدت الغنوسية مع الفلسفة، قوة الاتجاه التصوفي والروحاني الذي عرف في المسيحية فيما بعد^(٨).

والواقع ان المسيحية التي اعلنت زيف كل الديانات الاخرى وكتب لها النصر على بقية الأديان قدر لها بعد صراعها مع اليهودية الوثنية ان تقضى حوالي ثلاثة قرون مليئة بالتضحيات حتى استطاعت ان تحتوى الإمبراطورية الرومانية قاطبة.

٢- اليهود والمسيحية:

لقد رفع اليهود راية العداء في وجه المسيحية وبداية فكانت السلطات الرومانية متسامحة معهم إذ آلت على نفسها حماية ديانتهم واعطتها ضمانات - ترجع لعهد Iulius Caesar بموجبها زاولوا شعائهم الدينية في حرية وأمن. - وسمح لليهود بالمثل بأصدار عملة نقدية خاصة بهم دون أن يطبع عليها صورة الامبراطور، ورغم كل الامتيازات التي منحها الرومان لليهود، إلا أنهم قابلوها بروح إنفصالية وتعصب ديني وانعزال عن المجتمع^(٩).

ويروى لنا ول ديورانت في مؤلفه «قصة الحضارة» أنه قبل إنتهاء القرن الأول الميلادي بلغ عدد اليهود في روما حوالي عشرين ألف، وكانوا يشتغلون بالصناعات اليدوية وبالتجارة في الحوانيت، وكان لهم عدد كبير من المعابد وعرف عنهم إحتقارهم للديانات الوثنية، فضلاً عن امتناعهم عن الذهاب إلى المسارح الرومانية أو مشاهدة الألعاب، لكن هذه الصفات لم تحول دون

(٨) سهرير ابراهيم نجيع، مرجع سابق، ص ٢٦.

(9) Barrow R. H., The Romans, Great Britain, 1975, pp. 175 -

اعجاب كثير من مثقفي الرومان بالديانة اليهودية التي كانت تدعو إلى وحدانية الله معارضة بذلك الديانة الوثنية وعبادة الإمبراطور لذلك اتجه البعض إلى الدخول فيها^(١٠).

١ - تاريخ الخلاف بين اليهود والإمبراطورية الرومانية،

بدأ الخلاف بين اليهود وأباطرة الرومان مع اعتلاء الإمبراطور كاليجولا Caligola ٣٧م عرش الإمبراطورية وذلك عندما أمر جميع اتباع الديانات الموجودة آنذاك أن يقدموا قربانا له وأمر رجاله في أورشليم أن يضعوا تمثاله في الهيكل وذلك عملاً بمبدأ عبادة الإمبراطور التي سارت عليه الإمبراطورية منذ عهد أوغسطس Augustus.

ولكن اظهر اليهود امتعاضاً شديداً من تصرفات الإمبراطور كاليجولا وانتهت هذه المشكلة مع وفاة كاليجولا نفسه.

- وفي عام ٧٠م ثار اليهود في جودايا Judaea وتمكن القائد الروماني من قمع هذه الثورة بعنف فقتل معظم اليهود الذين كانوا في أورشليم (القدس) ودمر هيكلهم وادت هذه الضربة إلى تشريدهم في جميع انحاء الإمبراطورية.

- في عام ١١٥ و ١١٦م واجهه الإمبراطور هادريان ١١٧ - ١٣٨م ثورة أخرى قام بها اليهود وقضى عليها وحرم اليهود من أداء طقوسهم الدينية علناً كما:

١- فرض عليهم ضريبة شخصية جديدة .

٢- حرم عليهم دخول بيت المقدس إلا في يوم واحد فقط في السنة ليبيكوا فيه أمام اطلال الهيكل^(١١).

(١٠) ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثاني من المجلد الثالث، قيصرو المسيح والحضارة الرومانية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣، ترجمة محمد بدران، ص ٣٠٦ - ٣٠٧.

(١١) ول ديورانت، نفس المرجع السابق، ص ١٩٤ - ١٩٥.

- وهكذا عانى اليهود وفقدوا الثقة فى روما وبالتالي روادهم حلم النجاة من العذاب على يد السلطات الرومانية الذى بدأ فى نظر العديد من اليهود جزء من انتصار الشر القصير الأجل الذى سيقضى عليه أما بتدخل الله نفسه أو أن يرسل مسيحاً Messiah يدفع عنهم الذل والهوان^(١٢).

- لكن أمل اليهود سرعان ما تبخر عندما أتى المسيح Jesus بديانة ليست كالدين اليهودى مقصورة على شعب بعينه ولكنها ديانة اضاءت حياة الناس جميعاً^(١٣).

وعلى الرغم من الغموض الذى يكتنف تاريخ المسيحية المبكر إلا أنه من الثابت بالقطع أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ولد فى بيت لحم على بعد خمسة أميال جنوبى القدس خلال عهد الإمبراطور أوغسطس ٢٧ ق.م ١٤م^(*).

- ويؤكد الدكتور سعيد عاشور فى مؤلفه «أوروبا العصور الوسطى» على فضل جهود القديس «بولس» فى إنتشار المسيحية وكيف أنه نظم المجتمعات المسيحية وحدد تعاليمها مستغلاً شبكة المواصلات الرومانية التى خيم عليها السلام الرومانى بظلاله فى تحقيق مسعاه^(١٤).

- واثار اليهود القلائل ضد القديس بولس أثناء قيامه بنشر الدعوة للديانة المسيحية فى حين حرص الموظفون الرومان على حمايته نكايه فى اليهودية حيث اعتبره الرومان منشقاً عن اليهودية لأنهم فى البداية لم يميزون بين المسيحية واليهودية.

(12) Salmon E.T, A History of The Roman World 30 B.C to 138 A.D, Great Britain, 1974, pp. 324 - 325.

(١٣) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٥٧.

(*) سُمى المسيح باسم «يسوع» Yeshua، ومعناه معين يهوه.

- قبل انتهاء القرن الثانى أتمعت دائرة أنصار المسيحية ممن ينتمون إلى الطبقات العليا مثل:

١- أعضاء مجلس السيناتوس.

٢- الفرسان Equites.

٣- الأطباء.

٤- ضباط الجيش.

٥- محامين.

٦- قضاة.

مما كان يندز بالخطر والخوف من هذه الديانة الجديدة الصاعدة التى تمكنت من النسيج الاجتماعى والإدارى والعسكرى الرومانى.

- عندما بلغ المسيح الثلاثين من عمره بدأ يعظ الناس على أسس اخلاقية، مثل عظته الشهيرة فوق الجبل^(١٤)، ولقد كان المسيح عليه السلام شديداً فى إنتقاداته لعادات بنى اسرائيل وشرودهم عن الطريق، فهاجم عاداتهم، وطالب بتغييرها، مما جعل طائفه من اليهود المتدينين والمتطرفين تنظر إليه بشك وخوف.

- وسعى زعماء اليهود بزعامه القاضى قيافه، مطالبين حماتهم الرومان بالتدخل ومحاكمة الرجل الذى يطالب بعرش اسرائيل، مما يعكر الصفو الرومانى، وتحت الحاح اليهود وخوفاً من ابلاغ الامبراطور الرومانى تيبيريوس بأن واليه على فلسطين متخاذل فى حماية السلام الرومانى أمر الوالى بالقبض على السيد المسيح بتهمة الثورة والخروج على السلام الرومانى.

(١٤) أنجيل متى، ٥، ٦، ٧.

حكمها بصلب المسيح وأضطر الروماني للاذعان لهذه المحاكمة عملاً بالالتزام الروماني بعدم التدخل في الشؤون الدينية لشعوب الإمبراطورية، وبينما رأت الأناجيل المسيحية إن المسيح قد صلب في عيد الفصح اليهودي، ربما عام ٣٠ م، وأنه كان في الثالثة والثلاثين من عمره إلا أن القرآن الكريم رأى إن الله رفع المسيح إليه، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم.

- بعد صعود المسيح قاد حواريوه الاثنى عشر بزعامة بولس الطرسوسي مهمة نشر تعاليم المسيحية، وانزعجت السلطات الرومانية للخطب والمواظم التي كان يلقيها فقبض عليه في عصر الإمبراطور نيرون ونفذت فيه عقوبه الإعدام عام ٦٧ م بتهمة ازعاج السلطات الرومانية.

وحتى عام ٤٨ م كان أنصار السيد المسيح يعتبرون طائفة منشقة عن اليهود، ويتبعون المعبد اليهودي، حتى أعلنوا في اجتماع عقدوه في اورشليم «بيت المقدس، أن الخلاص متاح للناس جميعاً.

- بنهاية القرن الأول الميلادي انتشرت كنائس صغيرة في أجزاء كثيرة من الإمبراطورية الرومانية، وبدأ التنظيم الدقيق للسلوك الكنسي فكانت كل كنيسة وحدة مستقلة ترتبط مع الكنائس الأخرى بالاتصالات التبشيرية وأصبح لكل كنيسة شعبها Ecclesia الذي ينتخب شيوخهم Presbytères لقيادة الكنيسة، وانتخب سلك من الكهانه Clerus من الرجال والنساء لإدارة الكنيسة واعداد الناس لعودة المسيح إلى الأرض.

- لقد أصر إذن المسيحيون على ان يخرجوا من كنف اليهودية، وأضطر الرومان إلى تحقيق رغبتهم وكان خروجهم معناه عدم التمتع بالإمتيازات التي كانت يتمتع بها اليهود مثل الإعفاء من عبادة الإمبراطور والذي كان ممنوحاً لليهود فقط وبالتالي أصبح على أصحاب الدين الجديد الإلتزام بعبادة الإمبراطور الروماني كبقية شعوب الإمبراطورية.

- ولكن المسيحيين رفضوا رفضاً تاماً التعبد لغير الله، وفي تحد سافر

للإمبراطور رفضوا تقديم الاضاحى فى معابد الإمبراطور، كما رفضوا حرق
البخور أمام تماثيله، بل ودعوا إلى رفض الخدمة فى الجيش الرومانى لأنه
يتبع الإمبراطورية الرومانية التى اعتبروها دولة وثنية.

- وفى الواقع فقد كان سلوك المسيحيين الأوائل وتعبهم الشديد وتفش
شهوة الاستشهاد بينهم ومعاداتهم العلنية للديانة الوثنية وللإمبراطورية
الرومانية أكبر عامل لانتشار الكراهية ضدهم. وفى البداية حاولت
الإمبراطورية تجاهل رفض المسيحيين حرق البخور، والسجود أمام تماثيل
الإمبراطور، ولكن بدأ المسيحيين رفض الإلتزام بالنظم الاجتماعية والاخلاقية
السائدة فى الإمبراطورية ودعوا الناس إلى نبذها. وكانت إجتماعاتهم تتم سراً
فى أماكن خفية سواء بين القبور أو سراديب تحت الأرض مما أثار شبهات
الإمبراطورية نحوهم بأنهم يمارسون شعائر تدعو للثورة والنأمر على
الإمبراطورية، وأدى انعزالهم وانسحابهم من المجتمع ورفضهم التعاون معه
إلى إثارة غضب سكان المدن التى كانوا يتواجدون فيها وقد ساعد اليهود فى
إشاعة هذه الشبهات والاتهامات^(١٥).

- ولا نعرف تدخلاً عدائياً ضد المسيحيين إلا فى عهد نيرون، عندما
اشتعلت النيران فى مدينة روما فى الحريق الكبير عام ٦٤م، واشاع اعداد
المسيحيه من الوثنيين واليهود أنها من فعل المسيحيين، وهنا اضطُر
الإمبراطور إلى جعل المسيحيين كبش فداء لامتناس غضب الغوغاء،
ونلاحظ هنا أن اضطهاد نيرون للمسيحيين ليس بسبب عقيدتهم ولكن لأنهم
طائفة منسحبه كارهة للمجتمع الوثنى الذى بادلهم الكراهية بالمقت، فكل
الأذى الذى عرفه المسيحيين كان على أيدي الغوغاء التى فتكت بزعماء

(١٥) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مركز النشر لجامعة القاهرة، ١٩٩٣،
ص ٢١-٢٧.

المسيحيين إذ فتك الوثنيون بمرقص وفتكوا ببطرس وصلبوه (*) وكذلك اسطفانوس وبوليكاربوس والشهيد يوستين في مدن الإمبراطورية الشرقية ونعرف من خطاب الإمبراطور تراچانوس الموجه إلى بلينيوس الأصغر أن بعض الأباطرة الصالحون حاولوا حماية المسيحيين وتركوهم يعبدون ما يعبدون^(١٦).

هكذا عرضنا لتاريخ الخلاف بين اليهودية والمسيحية وعلاقة اليهود بالرومان وعلاقة الرومان باليهود في الإمبراطورية الرومانية.

المسيحية والإمبراطورية الرومانية.

بأنتهاء عصر الأباطرة الصالحين، انتهى عصر التسامح الكبير، ففي ظل هذا التسامح ازدهرت المسيحية وقيمت شوكتها، وبدأت ملامحها العقائدية في الوضوح واستوعبت الفلسفات الإغريقية وترجمت الأناجيل إلى اللغة اليونانية وبفضل هذا التطور انتشرت المسيحية على نطاق واسع إبان القرن الثالث الميلادي وأصبح لا ينافسها إلا العقيدة المثرائية الفارسية.

- بدأ الإمبراطور سيفيروس في الدعوة إلى اتحاد كافة الإلهة الوثنية في مجمع واحد وتشجيع الأفلاطونية الحديثة لمقاومة الزحف المسيحي والأكثر من ذلك فقد ذهب ابنه كاراكلا إلى منح الجنسية الرومانية لجميع شعوب

(*) بطرس هو مؤسس الكنيسة المسيحية في روما وجرى إعدامه مع بولس وغيره على يد نيرون ٦٤م راجع:

- Chadwick H., The Early Church, London, 1967, p. 18.

- أما مرقص فهو الشهيد بالإنجيل وهو مؤسس الكنيسة في الإسكندرية، وكان أول مبشر بالإنجيل في مصر وكان أول أسقف مسيحي بالإسكندرية وعلى يديه اعتنق أول رجل للمسيحية في مصر من اليهود راجع:

- السيد الباز العريني، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٢، ص ١١.

(16) Pling, Epistulae, 10, 87.

الإمبراطورية لربط شعوبها بالأخاء والمساواة رداً على الأخوة المسيحية. وبذلك انتهت مرحلة التنافس السلمي وتأتى مرحلة محاربة المسيحية بالعنف وذلك خلال فترة الخمسين عاماً التى تلت سقوط الأسرة السيفيرية ٢٣٥ - ٢٨٥ م.

- حدث الاضطهاد الفعلى الذى بدأ على يد ديكىوس الذى كان أول من أمر بالقبض على المسيحيين وملاحقتهم وانزال العقاب بهم^(١٧)، وكان آخر وأبشع اضطهاد للمسيحية هو الاضطهاد الذى قام به دقلديانوس وبعد اعتزال دقلديانوس وشريكه ماكسيميانوس تولى الحكم قنسطنتين الذى اراد التخلص من شريكه لكينيوس وذلك لينفرد بحكم الإمبراطورية وحده، ولما كان فى حاجة ماسة إلى انصار يؤازرونه، فبدأ يتجه إلى المسيحيين الذين كان معجباً بهم لغيرتهم الشديدة على دينهم. إن رأى ان هذه الغيرة هى التى ستربط الإمبراطورية وتوحيدها من جديد ومن هنا بدأ يتوحد إلى القوى المسيحية.

- فى عام ٣١٣م أصدر مرسوم ميلانو وبذلك أظهر نفسه حامياً للكنيسة كى يستفيد من تأييدها له^(١٨) وكى يستفيد من تنظيماتها ومنظماتها الدقيقة، وبالرغم من ان قنسطنتين كان وثنى العقيدة إلا أنه استمر بعد توليه العرش فى مساندة الكنيسة المسيحية ولذلك وضع فى تصوره لبناء العاصمة بناء أكبر

(١٧) أصدر هذا الإمبراطور مرسوماً يحتم على كل شخص تقديم شهادة تثبت ان حاملها قام بتقديم القرابين باسم الإمبراطور فى المعابد الوثنية إلى لجنة شكلت خصيصاً لهذا الغرض راجع محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطية، مرجع سابق، ص ٣٩، حيث ذكر أيضاً أن الإمبراطور فاليريان ٢٥٦-٢٦٠ م لاحق زعماء المسيحيين وحرّم عليهم الاجتماع فى دور العبادة أو فى المقابر، قارن، أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الجزء الأول، طبعة ثانية، منشورات المكتبة البوليسية، ١٩٨٨، ص ٣٥.

(18) Vasiliev A., The Byzantine Empire, Madison, 1952, v, I, pp. 50 - 52.

كنيسة فى العالم وهى هاجياصوفيا (كنيسة الحكمة الربانية)، ولم يصبح قسطنطين مسيحياً من الناحية الرسمية إلا وهو على فراش الموت عام ٣٣٧م حين طلب تعميده.

- لقد عفى قسطنطين كهنة الكنائس من بعض الإلزامات المدنية الإجبارية ومن دفع الضرائب وسأى بذلك بينهم وبين كهنة المعابد الرومانية وذلك بين أعوام ٣١٣م - ٣١٩م^(١٩).

الصراع العقائدى داخل الكنيسة:

- ما أن انتهى الصراع مع الوثنية الاغريقية ومع الإمبراطورية الرومانية حتى خرجت خلافات بين الكنائس حول نظرية الإيمان المسيحى، ومن أهم نقاط الخلاف هو علاقة الأب بالأبن وبالروح القدس، وهو الخلاف الذى قسم المسيحيين وبالتالى العالم الرومانى إلى معسكرين وأثار البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمدة قرنين من الزمان.

- وقد فجر أريوس احد اساقفة كنيسة الإسكندرية ذلك الخلاف فى عام ٣١٨م عندما انكر الإيمان بالثالوث موضحاً ان الابن والروح القدس من خلق الأب فكيف يوجدان مع وجوده ويتساويان معه؟! وعرفت هذه النظرية بالنظرية الآريوسيه Ariusism^(٢٠)، وفى الحال رد عليه اثناسيوس شماس كنيسة الاسكندرية، الذى تمسك بالثالوث كرب واحد، وان للمسيح طبيعة واحدة هى ربانية ورفض اريوس بأن للمسيح طبيعتين، واحدة بشرية وهى «الناسوت»، وأخرى (ربانية) وهى اللاهوت، فى حين تمسك انصار اثناسيوس بوحداية طبيعة المسيح ولذا عرفوا باسم المونوفيسيون Monophysite.

(١٩) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٣١.

(20) Cambridge Medieval History, Cambridge, 1924, 8 vols, vol V, I. p. 119.

West
Athanasius

- قال بأن فكرة الثالوث المقدس تحتم بأن يكون الإبن مساوياً للإله الأب تماماً وفي كل شئ وذلك بحكم أنهما من عنصر واحد بعينه وإن كانا شخصين متميزين^(٢٢).
- اعتمد على مكانه المسيح وأدرك أن أى اتجاه نحو التقليل من مركزه يؤدي لإضعاف الدعوة المسيحية وهكذا كان انصار هذا المذهب من الموحدين، أصحاب الطبيعة الواحدة.
- ولاقت دعوته استجابة فى الشطر الغربى من الإمبراطورية وتمثله كنيسة روما.

East
Arius

- قال أن المنطق يحتم وجود الأب قبل الأبن، ولما كان المسيح مخلوق لآله الأب، فهو إذن يميزه ولا يمكن أن يعادل الإبن الاله الأب فى المستوى والقدرة.
- وبذلك يصبح المسيح مخلوق لا إله^(٢١).
- وإلا يصبح المسيحيون متهمون بعدم التوحيد وعبادة آلهين.
- ولاقت دعوته استجابة فى الشطر الشرقى من الإمبراطورية وتمثله كنيسة القسطنطينية.

خيب هذا الانشقاق آمال قسطنطين التى كان يعقدها على وحدة الكنيسة من أجل وحدة الإمبراطورية ودعا إلى عقد مجمع لزعماء الكنائس فى نيقية عام ٣٢٥م وذلك برئاسة^(٢٣).

مجمع نيقية ٣٢٥م:

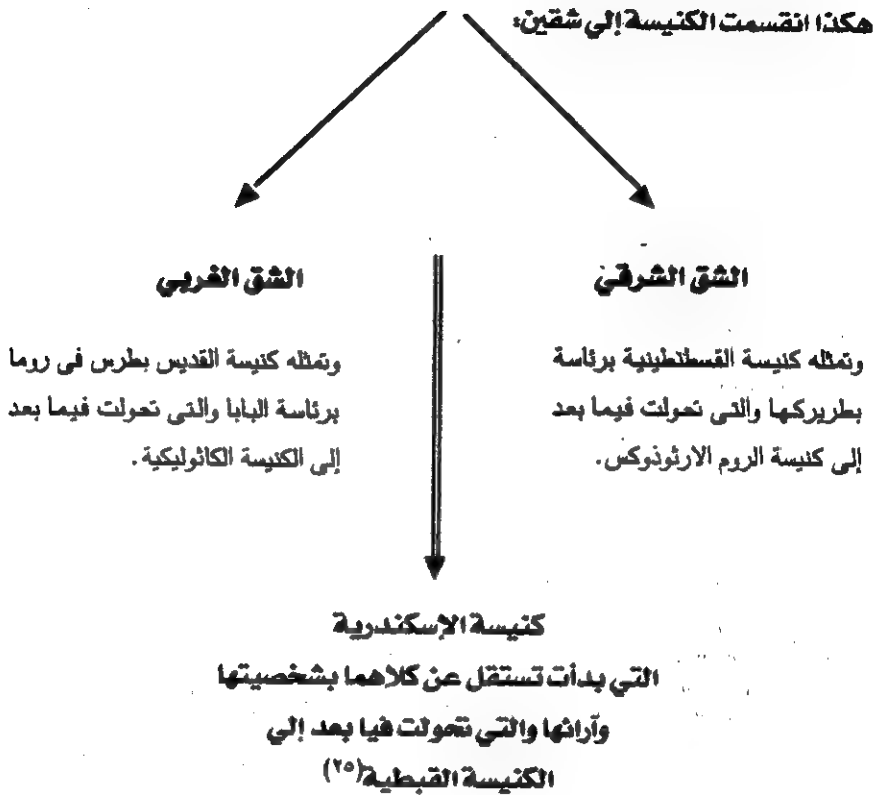
- أول مجمع مسكونى عالمى فى تاريخ الكنيسة.

(21) Lot, G., the End of the Ancient World and The Beginning of the Middle Ages, London, 1966, p. 43.

(22) Vasiliev A., op. cit, v, I, pp. 55 - 57.

(23) Chadwick. H., op. cit, p. 129.

- حضرة نحو ٣٠٠ من رجال الدين في الشرق والغرب.
- رأسه قنسطنطين رغم عدم كونه معمداً.
- عزل أريوس وطرده من الكنيسة ووصف بالمهرطق^(٢٤).



(24) Cambridge Medieval History, op. cit, v. I, pp. 122-123.

(٢٥) توالى على اسقفية الإسكندرية ثلاثة رجال فيما بين ٣٨٥م - ٤٥١م اضافوا إلى عظمتها الكثير وهم ثيوفيل، كيرلس، ديسقريوس، راجع السيد الباز العرينى، مرجع السابق، ص ٥٧، وعن دور كيرلس تحديثاً راجع:

- Bury J.B.. History of the Later Roman Empire From The Death of Theodosius I to the Death of Justinian, New York, 1958, pp. 216 - 217.

ونظراً لبقاء المذهب الأريوسى فى الشرق قوياً أضطر قسطنطين إلى تغيير رأيه فأستدعى أريوس من منفاه سنة ٣٢٧م وذلك تمهيداً منه لتحقيق رغبته فى نقل العاصمة إلى القسطنطينية (الشرق) وهو الأمر الذى تم بالفعل فى ٣٣٠ وكان يستلزم رضاء اهالى الجزء الشرقى من الإمبراطورية المسبق.

- إن الخطوة السابقة تؤكد على إن قسطنطين كان على إستعداد تام لتغيير ميوله المذهبية وفق مصالحه السياسيه ذلك أنه ظل يؤيد المذهب الأثناسيوسى طالما كانت عاصمته فى الغرب وطالما كان يعتمد على الغرب فى قوته.

- مجمع صور فى ٤٣٢م:

- مجمع دينى جديد عقده قسطنطين والذى فيه قرارات مجمع نيقية.

- وصل مجمع صور إلى العفو عن اريوس واتباعه.

- وقرر عزل اثناسيوس ونفيه إلى تريف فى غاليا حيث اطلق سراحه بعد ذلك جوليان المرتد ٣٦١ - ٣٦٣م الذى كان وثنى التوجه.

وعموماً فقد توفى أريوس فجأة فى القسطنطينية عام ٣٣٦م واعتقد أتباعه أنه مات مسموماً، فى حين فرح خصومه معتبرين إن ذلك هو حكم الله العادل وسرعان ما لحق به الإمبراطور قسطنطين حيث توفى فى ٣٣٧م بعد أن تم تعميده وفق مبادئ المذهب الأريوسى.

- كان قسطنطين قبل وفاته قد قسم الإمبراطورية بين أبنائه الثلاث:

قسطنطين الثانى: الذى تولى إدارة وإشراف القسم الغربى.

قسطنطيوس: الذى تولى إدارة وإشراف القسم الشرقى.

قسطنطيانز: الذى تولى إدارة إقليم الليريا والجزء الأوسط فى شمال افريقيا.

وعمل كل منهم فى الواقع على توطيد حكمه حسب المذهب السائد فى القسم الذى يديره، فنجد قنسطنطيوس يشجع الآريوسية، خلاف اخواه اللذان دأبا على تشجيع الاثناسيوسية مما جعل الخلاف المذهبى يتطور إلى انقسام فى الكنيسة بين الشرق اليونانى والغرب اللاتينى.

وبعد وفاة قنسطنطين الثانى أصبحت مهمة الدفاع عن العقيدة الاثناسيوسية تقع على كاهل البابوية ورجال الدين فى الغرب لاسيما بعد مقتل قنسطانز وتوحيد الإمبراطورية تحت حكم قنسطنطيوس المعروف بولائه للمذهب الأريوسى ذلك الولاء الذى دفعه لفرض هذا المذهب على اجزاء الإمبراطورية الغربية مما رجح كفة الاريوسية فى الإمبراطورية عند وفاته فى ٣٦١م.

لكن هذا الرجحان كان مؤقتا إذ أعلن الإمبراطور ثيودسيوس العظيم عدم شرعية المذهب الأريوسى فى مجتمع القسطنطينية ٣٨١م بل وفرض عقوبات مشددة على اتباع هذا المذهب فى جميع انحاء الإمبراطورية.

أصبح طبيعياً بعد أن أعلن قنسطنطين اعترافه بالمسيحية عام ٣١٣م أن يتم الوقوف على صحة العلاقة بين الله والمسيح فى نقاط محددة ودقيقة وان يتم الوصول إلى تفسير يشفى غله المثقفين بشأن المقصود بتحول الخبز والنبىذ إلى لحم المسيح ودمه وهل العذراء مريم أم للمسيح فى طبيعته البرية أم فى طبيعته الإلهية. كل هذه التساؤلات القى بها على عاتق أباء الكنيسة ومن أشهرهم:

- ١- كليمنت السكندرى ١٥٠ - ٢١٧م.
- ٢- اوريجينيس السكندرى ١٨٥ - ٢٥٤م.
- ٣- جيروم ٣٤٠ - ٤٢٠م.
- ٤- امبروز ٣٤٠ - ٣٩٧م.
- ٥- اغسطين ٣٤٥ - ٤٣٠م.

أولاً، كليمنت الإسكندري ١٥٠ - ٢١٧م Clement of Alexandria،

ولد وثنياً بالإسكندرية وعرف الأسرار الوثنية والمذاهب الفلسفية وكان يفضل الإفلاطونية التي لم تشبع حياته الروحية فاعتنق المسيحية، وكان يرى أن الفلسفة مفيدة للإيمان وليست ضرورية له وأنها تمهيد ضروري للوصول للإيمان عن طريق الاستدلال، ورأى أن المثقف المسيحي عليه أن يتفقه في الدين وأن الفلسفة خير أداة لتحقيق تلك الغاية.

ثانياً، أوريجينيس ١٨٥ - ٢٥٤م:

هو تلميذ كليمنت الإسكندري وفاق استاذَه وولد أيضاً بالإسكندرية من عائلة وثنية تنصرت، وكانت اضطهادات سيفيروس سبباً في اعدام ابيه ليونيداس ومصادرة أملاكه.

تولى منصب رئيس المدرسة المسيحية بالإسكندرية محل كليمنت وحقق نجاحاً باهراً، وقام بعد رحلات كان آخرها إلى فلسطين عام ٢٥٠م حيث شب اضطهاد هائل وهو هناك لم يتحمله جسده الضعيف فتوفي هناك بمدينة صور بعد أن أعلن عن رجوعه عن أرائه التي أثارت السلطة الرومانية ضده وقد ألف العديد من الكتب منها «عن المبادئ Peri Archon»، والذي اشتمل على أول عرض فلسفي منظم للعقيدة المسيحية^(٢٦).

ثالثاً، القديس جيروم Jerome:

ولد سنة ٣٤٠م من أبوين على المذهب الكاثوليكي وتعلم في روما، ودرس الآداب اللاتينية واليونانية، واعتنق المسيحية عندما بلغ العشرين من

(26) Katz Solomon, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, N.Y., 1955, p. 56.

وراجع أيضاً مؤلف: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢٧٤ - ٢٨٤.

عمره وعاش حياة النساك فى الصحراء وتعلم اللغة العبرية، وفى عام ٣٨١م زار مدينة القسطنطينية وتعلم هناك على يد اللاهوتى الأشهر جريجورى النازيانزى ٣٢٩ - ٣٨٩م Gregory of Nazianzum.

وقد قام القديس جيروم بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة اللاتينية وهى الترجمة التى أضحت النسخة المعتمدة فى الكنيسة فى العصور الوسطى والعصر الحديث^(٢٧).

أتاحت له الظروف فرصة كافية لمواصلة دراساته باللغة العبرية والكلدانية فضلاً عن كتابة العديد من الرسائل التى تعطى لمحة حية عن حياة ذلك العصر.

رابعاً، القديس امبروز St. Ambrose،

ولد فى مدينة تريف فى بلاد الغال حوالى ٣٤٠م من أسرة رومانية عريقة ودرس القانون والآداب اللاتينية واليونانية فى روما، كرسى حياته لخدمة الكنيسة واحترق الثروه فوزع ميراثه عن ابيه على الفقراء والمحاجين.

وقد أعطى المثل على قوة نفوذ الكنيسة أمام الإمبراطور عندما أرادت جستينا Justina أرملة فالنثيان الأول فى عام ٣٨٥م - وكانت أريوسيه المذهب - الاستيلاء على أحد كنائس ميلانو لصالح الأريوسيين، هناك اتخذ امبروز موقفاً حاسماً ضدها إذ أمر مجموعة من اتباعه بوضع أيديهم على الكنيسة كى يمنع جنود الإمبراطوره من الأستيلاء عليها وبالفعل فكت القوات الإمبراطورية حصارها عن الكنيسة.

(27) Lyon Bryce and Herbert H. Rowen and Hamerow Theodor S., A History of Western World, V&I, I, 2nd ed., U.S.A., 1974, pp: 206 - 210.

ولد عام ٣٥٤م من أب وثني وأم مسيحية، ودرس القانون في قرطاجنة عزم العقد على تكريس حياته لخدمة الدين المسيحي ومن مؤلفاته كتابان يعدان أعظم ما كتب في الأدب واللاهوت الأول هو الاعترافات، Confessiones وقد وصف فيه ما اقترفه من ذنوب وآثام في صباه، ثم قصة هدايته وتوبته إلى الله.

أما الثاني، فهو مدينة الله، De Civitate Dei ويعتبر هذا الكتاب فلسفه للتاريخ وصورة للأفكار اللاهوتية والسياسية التي سطرت على أوروبا العصور الوسطى حتى عصر توما الأكويني في القرن الثالث عشر الميلادي (٢٨).

وقد قرر اغسطين مبدأ أن تكون سلطة البابا في منزلة أعلى من تلك التي يتمتع بها الامبراطور الأمر الذي يترتب عليه خضوع الدولة للكنيسة (٢٩).

الرهبانية والديرية:

تعنى الرهبانية أن يحيى الفرد حياة العزلة التامة بعيداً عن العمران للإنقطاع للعبادة وممارسة حياة الزهد والتنسك مع اختيار التفرد تطوعاً، أما الديرية فيقصد بها التقاء جماعات من الرهبان في مكان بعيد عن العمران ينقطعون فيه للعبادة وحياة الزهد، والدير هو المكان المخصص لسكنى الرهبان أو الرهبات وتعبدهم (٣٠)، والرهبة بصورها الأولى من إنتاج مصر

(٢٨) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٢٩) هارتمان ل. م. وباركالايف ج، الدولة والإمبراطورية في العصور الوسطى، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الإسكندرية، ١٩٦٦، ص ٤٥-٤٦.

(٣٠) محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ٥٥.

(أحدى الولايات الرومانيه) المسيحية فهو نظام مصرى أصيل ولم يتأثر بالحركات النسكية السابقة^(٣١)، وقد عرفت مصر الرهبانيه قبل ظهور المسيحية بقرون طويله وهذا ما تؤكد أوراق البردى التى تعود إلى العصر البطلمى، فقد وجدت الرهينة فى معبد الاله سيرابيس حيث وهب هؤلاء الرهبان حياتهم لخدمة الإله Serapis سيرابيس فانقطعوا عن الدنيا ملبيين نداء الإله لخدمته وتقديم الفروض الدينية^(٣٢).

كانت الرهينه وسيله من وسائل الاحتجاج أو الهرب أو النأى بالنفس عن مفاسد العالم وقد تلمس المسيحيون بذور الرهينه وحياة الزهد والتقشف فى أصول المسيحية الأولى، وفى تعاليم السيد المسيح الذى أثر عنه قوله «إذا أردت أن تكون كاملاً فبع ما لديك واعط ثمنه للفقراء واتبعنى فسوف يكون لك كنز فى السماء»^(٣٣).

وربما أدت إلى الرهينة الظروف التى مرت بالمسيحيين وقت الاضطهاد الدينى أو الفرار من الضرائب التى كانت تثقل كاهلهم فيعجزون عن دفعها وقد اختلف المؤرخين حول نظام الرهبانية فقد رأى البعض أن هذا النظام لم يكن مقصوداً به الناحية الدينية فحسب من تعبد وتنسك، بقدر ما كان وسيله للتعبير عن القومية المصرية والعبادات الكهنوتية التى تعبر عن هذه القومية. ولذلك كانت الرهبانية اختراع مصرى، ويرى البعض الآخر من المؤرخين إن حياة الرهبان تعد نوعاً من الجبن والهروب من مواجهة الحياة ومسئولياتها.

ومن العوامل التى ساعدت على سرعة انتشار الرهينه، الحماس الدينى الذى صاحب إنتشار المسيحية فى اخريات التاريخ القديم، كذلك القوضى

(٣١) مراد كامل، حضارة مصر فى العصر القبطى، مطبعة دار العالم العربى، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٢٠٦.

(٣٢) سهير ابراهيم نعينع، تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، مرجع سابق، ص ٤٩.

(٣٣) انجيل متى، ١٩ - ٢١.

والاضطرابات التي سادت العالم فى فترة الانتقال من التاريخ القديم إلى الوسيط إذ ساعدت على دفع الكثير من معتقى الدين الجديد إلى الهروب فى جوفت الصحراء للتوحد والتعبد.

وترجع بدايات الرهبنة فى مصر إلى القرنين الثانى والثالث الميلاديين حيث عاش كل من الأنبا بولا (القديس بولس) والقديس انطونيوس فكل منهما أقدم من عرف من المتنسكين المسيحيين لا فى مصر وحدها بل فى الدنيا بأسرها^(٣٤).

ونعرف من خلال المعلومات التى أوردها الرحالة بلاديوس Palladius الكثير عن الأنبا بولا وكهفه فى أواخر القرن الخامس الميلادى وعلى الرغم من أن تجربة الأنبا بولا كانت هى الأقدم إلا أنها لم تحظ بشهرة وذىوع تجربة الأنبا انطونيوس^(٣٥).

ويعتبر القديس انطونيوس الذى عاش من ٢٥٠ م إلى ٣٥٥ م هو المؤسس الحقيقى للرهبنة وحياة العزلة فى مصر البيزنطية، إذ اتجه إلى سفوح الجبال الشرقية لحافة الوادى شمال البقعة التى تعبد فيها الأنبا بولا بحوالى ستين كم حيث عكف على الزهد وزاره هناك القديس اثناسيوس الرسولى - بطريق الاسكندرية - وكتب عنه^(٣٦).

وسرعان ما ذاع صيته وأقبل عليه المسيحيون من كل صوب ممن أخذوا أنفسهم بحياة التنسك، وهكذا نشأت حركة ربابية جماعية حول القديس

(٣٤) رؤوف حبيب، تاريخ الرهبنة والديرية فى مصر وآثارها الانسانية على العالم، ص ٣٥.

(٣٥) كولتون ج. ح، الديرية أسبابها ونتائجها، ترجمة د. جمال الدين الشبال، ص ١٨٤.

(٣٦) كتب اثناسيوس عن أنطونيوس وحركة الرهبنة الجماعية فى سيرته الذاتية التى عرفت بأسم Vita Antonii والى أعاد صياغتها القديس جيروم راجع:

- Meinardus O.F.A., Monks and Monasteries of the Egyptian

Desters, A.U.C. Egypt, 1961 - 1989, p. 11 ff.

انطونيوس فى مصر الوسطى ولكنها لم تصل بعد إلى نظام الرهبنة الكامل، لأن النساك عاشوا متجاورين فقط، ولكن كل واحد منهم قام منفرداً فى كهف وكانت الرابطه الوحيده التى تجمعهم هى التفافهم حول زعيمهم انطونيوس.

ولم يكن القديس انطونيوس من النساك الذين انقطعوا عن الدنيا بل كان على علم تام بحقيقه القضية المسيحية، وقد ترك القديس انطونيوس عزلته مرتين وعاد إلى مصر فى موقفين عصبيين تعرضت فيهما المسيحية لخطر شديد، المرة الأولى حينما سلب الإمبراطور ماكسيموس موجه اضطهاد قاسيه عام ٣١١ فنزل انطونيوس للوادي يزور المسيحيين داخل وخارج السجون يقوى من عزائمهم حتى وصل الإسكندرية.

والمرة الثانية كانت فى زمن الإمبراطور قنسطنطين سنه ٣٣٨م وذلك حين تعرضت الكنيسة المصرية للانقسام بسبب الخلاف العقائدى الذى نشأ بين آريوس واثناسيوس، وكان اثناسيوس بطريرك الكنيسة فى الاسكندرية، فذهب اليه انطونيوس لمساندته وتوحيد كلمة المسيحيين حوله ضد اريوس (٣٧).

ومن الأماكن التى نشأت فيها حركات رهبانية جماعية فى مصر كانت منطقة طيبة ومنطقة البهنسا (او كسير نخوس) وإسنا والشيخ عبادة ووادي النطرون فى شرق الدلتا.

وقد وصف بلاديوس فى تاريخه ان الرهبان فى وادي النطرون كانوا طائفتين:

الأولى، تتكون من خمسة آلاف راهب يعيشون على جبل نستريا، كل له نظامه الخاص وكان يسمح لهم ان يقيموا فرادى أو مثنى أو أكثر، ويجتمعون جميعاً للصلاة يوم السبت والأحد، ويقه أيام الأسبوع كان يصلّى كل منهم فى صومعته.

(٣٧) مصطفى عبد الحميد العبادى، مرجع سابق، ص ٢٩١ - ٢٩٢ وما بعدها.

الثانية، هم النساك المعتزلون Anachoretæ الذين يعيشون متوحدون كل فى كهفه وبعيداً عن زملائه ويبلغ عددهم الستمائة فرد ولا يجتمعون أو يتصلون برهبان الأديرة إلا يومى السبت والأحد فى الصلاة الجامعة.

وتقترن حركة الرهبنة فى منطقة وادى النطرون بأسم كل من أمون والقديس مكاريوس، والذي ينسب إليه الدير القابع للآن فى وادى النطرون والمعروف بدير أبو مقار ولا يزال الى جواره حتى اليوم ثلاث أديرة أخرى هى:

- السريان. - البرموس. - بشوى.

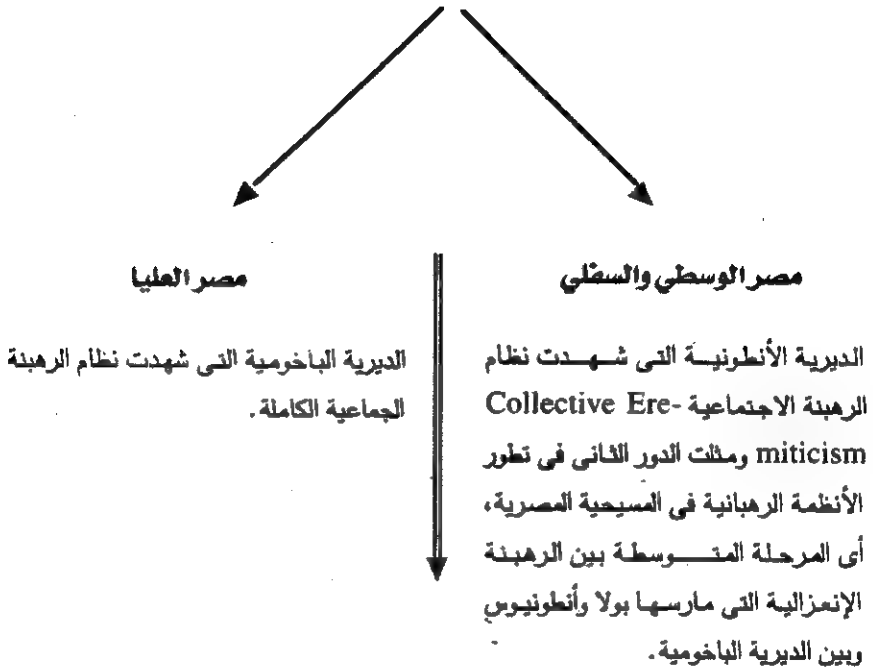
ولازالت حياة الرهبان فيها تحتفظ بكثير من طابعها الفردى.

- هذا ولم تقتصر الرهبنة الإنطونية على الرجال فحسب بل شملت النساء أيضاً اللاتى لم تكن حياة الاعتزال لازماً عليهن، بل كان فى استطاعتهم التنسك فى بيوتهن أو فى جماعات صغيرة من المسيحيات العذارى، وقد أدى إقبال الرجال على الرهبنة إلى ترك كثير من النساء بغير أزواج وهو الوضع الذى أدى إلى حالة اخلاقية خطيرة، ولذلك لجأ المسؤولون عن الكنيسة إلى تشجيع النساء على حياة التبتل العذرى حتى داخل بيوتهن وألفت الكثير من الكتب التى ترشد العذارى إلى كيفية ممارسة هذه الحياة ومن أهمها رسالة التبتل العذرى، التى كتبت فى القرن الرابع والمنسوبة إلى القديس اثناسيوس (٣٨).

- فى نفس الوقت ظهر بجانب القديس انطونيوس المعروف بأسم ابو الرهبان مذهب رهبانى آخر فى صعيد مصر الأعلى وهو المذهب الذى أسسه القديس باخوميوس (٣٩).

(38) Hardy E.R., Christian Egypt, N.Y., 1952, pp. 69 - 70.

(٣٩) عزيز سوريال عطيه ومليح شكرى، عبقرية الأنبا باخوم على الرهبنة والحضارة الغربية، مجموعة الرهبنة القبطية، ص ١٦١ - ١٧٧.



القديس باخوميوس مؤسس الديرية الباخومية:

لا نعرف الكثير عن صباه ولكن نعرف أنه انخرط في سلك الجندية منذ أن كان في العشرين من عمره، وقد اتاحت له حياته الحربية التعرف بالمسيحيين وعاداتهم ودينهم في مناطق مختلفه، واعتنق هذا الدين بعد دراسة قواعده في ٣١٤م واتخذ لنفسه حياة الزهد تحت اشراف ناسك يدعى بالامون Palaemon.

جمع حوله النساك واقنعهم بضرورة تأسيس نظام جديد للرهبنة الجماعية بصورة أقوى مما هو حادث في الرهبنة الانطونية وبذلك انشأ دير الأول في سنة ٣٢٣ عند تيبسنيس Tabennisi بالقرب من دندره حالياً. ليبدأ بذلك نظام جديد هو الرهبنة الجماعية الكاملة.

- كان الطابع المميز لهذه الحركة الديرية هو خضوعها لنظام عام موحد يعكس النظم الإدارية والعسكرية إلى حد بعيد، فهناك قانون عام يخضع له الجميع، وكان الرهبان في كل دير ينقسمون الى بيوت مستقلة كل بيت يضم بين ثلاثين وأربعين راهب.

- كانت حياة الدير الباخومي اشبه بمستعمرة اقتصادية يكاد يكتفى أهلها اكتفاءً ذاتياً بل ويمد حاجات الجهات المحاورة، فكانت البيوت منظمه على اساس الصناعات والحرف، وكانت ادارة الدير من إختصاص رئيس الدير ولكل رئيس دير مساعد له، وأمين أيضاً وشخص يتولى المكتبة يعرف بـ خازن ومعلمون وخبازون ونجارون وحدادون وبنائون وزراة ونساجون وجمالون^(٤٠).

- سمح للأجناس الأخرى ان تنضم إلى الأديرة الباخومية بعد أن كانت أكثرية الرهبان الباخوميين من الأقباط المصريين، وافرد لكل عنصر (جنس) بيت خاص فوجد

١- بيت الاغريق. ٢- بيت السريان. ٣- بيت اللاتين.

وربما كان هذا هو الأصل في منشأ نظام جامعات العصور الوسطى التي انتشر فيها نظام البيوت والأروقة الذي ساد أيضاً في الجامعة الأزهرية الى عهد قريب.

- كان النظام الباخومي أقل صرامة في جانب التنسك والتعبد إذ ترك للأفراد حرية الأكل والصيام، ورغم أنه كانت هناك صلاة عامة فكانت

(٤٠) مصطفى عبد الحميد العبادي، مرجع سابق، ص ٢٩٦-٢٩٧، وأيضا سهير إبراهيم نعينع، مرجع سابق، ص ٥٩-٦٠، وأيضا، مراد كامل، مرجع سابق، ص ٢١١، ومحمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٢.

معظم الواجبات الدينية تتم عن طريق البيوت وللأفراد أن يصلوا في قلوبهم
كيفما شاءوا^(٤١).

ويؤكد هاردى فى مؤلفه «مصر القبطية، على ان الديرية الباخومية
شملت أيضاً الراهبات فى اديره خاصة بهن وأنه قد تم انشاء ديرين للراهبات
الى جانب تسعة أديرة للرهبان فى أعالي الصعيد وكلها كانت تابعه لرئاسة
باخوميوس رأسا بل وكان يقوم بالتفتيش عليها فى جولات منظمه^(٤٢).

ومن الحركات الديرية التى ظهرت بعد ذلك والتى عملت على الربط
بين النظامين الانطوى والباخومى^(٤٣).

حركة الأنبا شنودة،

الأنبا شنودة تعلم فى أحد الأديرة الباخومية، ولكنه لم يرضى بهذا النظام
فأخذ لنفسه نظاماً جديداً طبقه فى ديرين هما :

١- «الدير الأبيض»، ٢- «الدير الأحمر» فى منطقة سوهاج.

- وقد حاول ان يجعل حياة الديرية أكثر صرامة ودقه من نظام
باخوميوس ولذا جعل دخول اديرته حق قاصر فقط على الأقباط المصريين
فحسب، ورفض جميع العناصر الأخرى التى كان يسمح لها بالانضمام إلى
أديرة باخوميوس، وثم وضع بعد ذلك نظام دقيق للحياة فى الدير ولا يتردد
فى تطبيق العقاب على من يتهاون فى القيام بواجباته أو يسيئ السلوك.

(41) Butler A., The Historia Lausiaca of Palladius, Texts and
Studies, London 1898, 1904, p. 237.

حيث ناقش فكرة الاختيار والبعد عن الجبر فى ممارسة الشعائر الدينية.

(42) Hardy E.R., op. cit., p. 71.

(43) Bell H.L., Jews and Christians in Egypt, London, 1919, pp.
38 ff.

ويعد شنودة الأتريبي أهم شخصيات الرهبنة المصرية فهو من أصل مصرية وكتب مواعظه باللغة القبطية وعاش في الفترة من النصف الثاني للقرن الرابع إلى النصف الأول للقرن الخامس الميلادي وذاعت شهرته وصار من أكثر أعوان بطارقه الإسكندرية ومن أخلصهم جنوداً فإذا كان البطريق كيرليس الرأس المفكر في كنيسة الاسكندرية^(٤٤)، فقد كان شنودة الأتريبي الذراع الطيبة له وكنيسة الإسكندرية.

- والجدير بالذكر ان شنودة كان يعادى كل ما هو بيزنطى ويفضل جهوده والرهبان رفقته نخرت مصر في القرن الرابع الميلادي بالرهبان وحاز هؤلاء الرهبان مدنا بأكملها مثل اهناسيا وانتشرت الأديرة والمناسك على امتداد نهر النيل والصحراء من اسوان إلى الدلتا.

- لقد ذاعت شهرة الرهبانية المصرية في جميع انحاء العالم المسيحي وأصبحت مصر قبلة الزوار الذين كانوا يحرسون على رؤية القديسين وسماع تعاليمهم ومواعظهم.

- وقد ازداد نفوذ الرهبان في مصر واعتبروا أنفسهم حماة الأرثوذكسية والمجاهدين في سبيلها ووقفوا إلى جانب اثناسيوس ضد اريوس وقد ضاق بهم الأباطرة لتدخلهم في الحياة الدينية والسياسية وفي تنفيذ أحكام القانون وقد أستعمل الامبراطور فالنز Valens مع الرهبان في مصر الشدة وأمر جنوده باقتحام أديرة وادى النطرون وادخل رهبانها في الجيش بالقوة عام ٣٧٥ م.

(٤٤) السيد البابا العريى، مصر البيزنطية، مرجع سابق، ص ٣٨.

كما حرم الامبراطور ثيودوسيوس على الرهبان الاقامة بالمدن حرصاً على هدوءها فقد اعتبرهم شديداً الخطوره ولذلك فقد بدأت الرهبانيه فى التدهور بعد مجمع خلقدونيه سنه ٤٥١م وانهارت فى القرن السادس م . حتى جاء الفتح الإسلامى لمصر فأنهارت تماماً^(٤٥).

(٤٥) سهير ابراهيم نعيم، مرجع سابق، ص ٦٢ - ٦٣، السيد الباز العرينى، مرجع سابق، ص ٤٠، محمد محمد مرسى الشيخ، مرجع سابق، ص ٦٤ - ٦٥ .

**الإمبراطورية الرومانية بين المسيحية
وغزوات البرابرة**

الفصل الرابع

الإمبراطورية الرومانية بين المسيحية وغزوات البرابرة

صحوة الوثنية:

بعد وفاة قسطنطين الذى كان يتخذ موقفاً معتدلاً بين المسيحية بمذهبيها والوثنية كما رأينا فى الفصلين الثانى والثالث، قرر ابنائه مخالفه أباهم فى ذلك الموقف وأعلنوا الاضطهاد على الوثنية فصادروا ما لمعابدها من أراضى وممتلكات حتى أغلقوا معابدها، وبعد عام ٣٤٠م منعوا تقديم القرابين لآلهة الوثنية.

لكن الوثنية لم تستسلم فى سهولة مطلقة، وانتهزت فرصة تولى الإمبراطور جوليان المرتد ٣٦١-٣٦٣ والذى كان متمسكاً بالحضارة اليونانية الوثنية وتخلّى عن المسيحية سراً قبل توليه منصب الإمبراطورية وعندما تولى منصب الإمبراطورية بعد وفاة قنسطنطيوس الثانى فى ٣٦١م أعلن ارتداده عن المسيحية ثم اتبع ذلك بقرار قصد بها تضيق الخناق على المسيحية، مثل القرار الخاص بإعادة خزائن المعابد الوثنية التى كانت الكنيسة قد استولت عليها وسخرتها لخدمتها، ومثل القرار الخاص بوقف دعم الدولة للمسيحية، كما حرم على المسيحيين التعرض للآداب والفلسفات الوثنية فى مدارسهم.

لقد حاول جوليان المرتد أن يغرس الصراع بين الطوائف المسيحية بدعوة الآباء والاساقفة الطرودين من الكنيسة إلى العودة لممارسة دورهم الدينى، ثم قاد حملة أدبية ضد الكنيسة وضد المسيحية، وفى نفس الوقت حاول إعادة الهيبة والوقار إلى الديانة الوثنية واعتبرها ديانة وحدانية لكافة العقائد الدينية وكافة المثل الأخلاقية، كما حاول إنشاء كنيسة وثنية مناهضة للكنيسة المسيحية مثلما فعل ماكسيمينوس من قبل.

وبالرغم من التأييد العاطفى الشديد للوثنية إلا أن مجهودات الإمبراطورية باءت بالفشل بعد وفاته لأن المسيحية كانت قد تغلغلت فى نفوس الناس.

لقد أولى جوليان اهتماماً كبيراً لتطبيق العدالة بين الرعية واحيا بعض القوانين القضائية الوثنية التى كان اسلافه المسيحيون قد الغوها، والجدير بالذكر هنا ان الأفكار الوثنية اثرت فى شخصيه جوليان لدرجة أنه حاول تقليد الاسكندر الأكبر بمحاولة غزوه بلاد الفرس وتعيين ملك موال للرومان عليها واثناء تنفيذه هذه المحاولة قتل جوليان فى ٣٦٣ م وبموته تنتهى اسرة قنسططينوس الأكبر (٤٦).

ويبدو أن صحة الوثنية تلك لم تكن إلا صحوة الموت حيث ما لبث أن أسترد المسيحيون مكانتهم فى عهد الامبراطور جوفيان.

جوفيان ٣٦٣ - ٣٦٤

كان قائد الحرس الخاص للامبراطور جوليان وقد اختارته القوات الرومانية ليكون زعيماً لها، وقد تسرع جوفيان وعقد صلحاً مهيناً للكرامة الرومانية مع الفرس من أجل ان يسرع إلى الأراضى الرومانية لدعم مركزه الجديد، فتنازل للملك سابور عن كافه الأراضى الرومانية الواقعة شرق دجلة، كما تنازل عن أرمينيا الشرقية، كما تعهدت روما بدفع اعانه سنويه لمساعدة الفرس فى حماية القوقاز من خطر هجوم القبائل البربرية.

وعلى النقيض من جوليان كان جوفيان مسيحياً والغى كل القوانين المضادة للمسيحية ولكنه أيضاً أكد على حرية العبادة للجميع وبموته تبدأ صفحة جديدة لحكم اسرة جديدة.

(٤٦) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٥٨.

بعد وفاة جوفيان هتف الجيش بقائده فالنز ٣٦٤-٣٧٨م امبراطوراً وكان محارباً قديماً من اقليم بانونيا فى شمال غرب الهالقان، ويرى البعض ان توليه فالنز حكم الشرق يعد نقطة تحول فى تاريخ الإمبراطورية الرومانية خاصة وفى تاريخ أوروبا عامة، فقد كان رجلاً معتدلاً وقادراً، لكنه لم يكن محبوباً لأنه كان يعتقد المسيحية على المذهب الآريوسى وكان هذا سبباً فى أن واجهته كثير من التحديات والثورات ومنها ثورة بريكوبيوس Precopius - الذى أعلن نفسه امبراطوراً - والتي قضى فالنز عليها.

ولما وقع فالنز فريسه للمرض اضطر إلى تعيين ابنه الصبى ويدعى جراتيانوس (جراشيان) امبراطوراً مناوياً له بدرجة اغسطس حتى يقطع خط الرجعة على الطامعين فى عرشه بعد وفاته ويقال أنه (جراشيان) تخلص عن لقب الكاهن الأعظم Pontifex Maximus الذى تمسك به كل الأباطرة السابقين، وفى عام ٣٨٢م بدأ سياسة مصادرة ممتلكات المعابد الوثنية مرة أخرى.

- على أن أهم التحديات التى واجهت الامبراطور فالنز قبل وفاته كان فى عام ٣٧٦م وذلك عندما دفعت قبائل الهون الآسيويين أمامها قبائل القوط الغربيين Visigoth وكان ذلك بداية عصر غزوات البرابرة غير أنه قد تمكن فالنز فى ٣٦٩م من مواجهتهم وأملى عليهم شروطه ولكنه سمح لهم بالاستقرار داخل حدود الإمبراطورية^(٤٧).

ثيودوسيوس الأول:

جعل مقر حكمه فى ميلانو ونجح فى توحيد العالم الرومانى تحت حكمه عام ٣٩٤م واستمرت الحرب التى بدأها ضد الوثنية مدة ٣٠ عام بعد وفاته اغلقت فيها معابد الوثنية واعدمت الكتب ومنعوا من مباشرة طقوسهم حتى داخل منازلهم.

(٤٧) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٥٧ - ٦١.

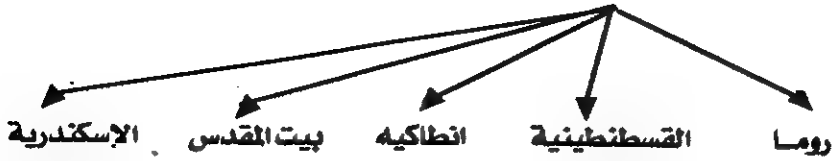
أصدر مرسوماً بتحطيم كل معابد الوثنية لا أغلاقها فحسب واستغل أحجارها في إقامة منشآت عامة، بعدها أدركت الوثنية قرب مصيرها ففرت إلى مناطق العزلة النائية في إيطاليا وغاليا، وظل الحال هكذا حتى القرن السادس عندما أقام القديس بندكت ديرته الشهير عام ٥٢٩م على انقراض آخر ما تبقى من معابد أبولو في مونت كاسينو، وفي نفس العام أغلق الإمبراطور جيستنيان مدارس الفلسفة في أثينا بوصفها ركناً من أركان الوثنية.

الموقف في الإمبراطورية الرومانية بعد إنتصار المسيحية:

- استلزم إنتصار المسيحية قيام تنظيم جديد للعلاقة بين الكنيسة من جهة والدولة والمجتمع من جهة أخرى فالإمبراطورية كان لها في الواقع دين رسمي وكهنة يتمتعون بمساندة الحكومة وتأييدها، وبدأت الكنيسة تكتسب صفة سلطة جديدة منافسة للسلطة العلمانية مما أوجد نفورا بين السلطة الدنيوية والروحية، وهنا نلاحظ أن تدخل الكنيسة في شؤون السلطة الدنيوية بدأ يستفحل كلما إزدادت الإمبراطورية في الضعف، حتى انتهى الأمر بأن حلت الكنيسة محل الإمبراطورية عندما غربت شمس الإمبراطورية في الغرب الأوروبي.

- وقد ساعد الكنيسة على أن تحل محل الإمبراطورية أنها حذت حذو الإمبراطورية في تنظيماتها حتى أصبح الاساقفة يقومون بعبئ التنظيم الإداري في اقاليم الإمبراطورية بالاضافه إلى دورهم الرئيسي في القيام بمهام التنظيم الكنسي الذي امتاز في العصر المسيحي الأول بالبساطة المطلقة فلم يتعد الرابطة الدينيه بين مجتمعات مسيحية مستقلة عن بعضها ولكل مجتمع اسقف يساعد فريق من القساوسة والشماسه، ورغم أن بعض هؤلاء الاساقفه كانت لهم أهميه أكثر من زملائهم بسبب ثرواتهم لكن لم توجد هيئة كنسية تمثل سلطة دينية ذات نفوذ في الحياة العامة.

ظهر على رأس الكنيسة عندئذ خمس بطارقه في



يتبع كل بطريرك مجموعة من الأساقفة ويشمل نفوذ كل أسقف عده اسقفيات، ثم اساقفه يشرف كل منهم على كرسيه الاسقفى وبعضهم قس الابريسيه فى القرية.

هذا وقد حصلت الكنيسة على عدة امتيازات من الحكومة الرومانية بوصفها راعية الديانة الرسمية للدولة فى القرن الرابع الميلادى وهى كالتالى:

١- حق الحصول على الهبات والإعفاء من الضرائب.

٢- إزداد نفوذ الاساقفه بالفصل فى المنازعات التى تنشأ بين المسيحيين بفضل مكانتهم الدينية وما جمعه من صدقات وهبات لاسيما ان الصدقات كان يتم توزيعها على الفقراء والمحتاجين عن طريق الاسقف نفسه.

٣- ازدياد ثروة الكنيسة وامتلاكها الأراضى والصنایع الواسعة التى قام العبيد بفلاحتها، فضلاً عن الهبات التى اغدقها الأباطرة والتبرعات التى قدمها الأهالى:

وقد كان لهذه الامتيازات أثراً على الكنيسة يمكن تفصيله فى النقاط التالية:

١- تحولت الكنيسة من منظمه بسيطه ديمقراطيه إلى هيئة وراثيه بيروقراطيه.

٢- تخلت الكنيسة عن سياسة التسامح.

٣- إنتشار الفساد فى جهاز الكنيسة من ظهور للرشوة والسرقة والمحاباه.

٤- اتسعت الفجوة بين رجال الكنيسة وجمهور المسيحيين بسبب إزدياد الثروة مما أدى لأخفاء روح الأخوة والبساطة والمساواة وهى الروح التى ميزت الكنيسة فى عصرها الأول وحلت محلها القسوة والتعالى والتباعد.

٥- تحول الاساقفه عن رعاياهم وأصبح كل منهم يجلس على عرشه الاسقى كما كان يفعل الحاكم الرومانى، بعد ان تشبه الاساقفه بالأمراء واحاطوا أنفسهم بالحشم والاتباع والموظفين.

هكذا وكما شهد القرن الرابع قيام التنظيم الكهنوتى للكنيسة وازدياد نفوذها السياسى شهد كذلك تطور اللاهوت المسيحى والذى سبق وأن اشرنا إليه فى الفصل السابق مباشرة..

البرابرة وسقوط الإمبراطورية فى الغرب:

أخذت الظواهر منذ أواخر القرن الثالث الميلادى وأوائل الرابع الميلادى تدل على ان التاريخ القديم بدأ يتعرض للتغيير، وذلك لأسباب أربعة هم كالتالى:

أولاً: السبب الأول:

اعتراف قسطنطين بالمسيحية وقد أعتبر هذا الاعتراف وما تبعه من إنتشار آمن سريع للمسيحية دلاله على انهيار دعامة كبرى من الدعائم التى قامت عليها الإمبراطورية الرومانية أمام عقيدة جديدة ومبادئ وآراء جديدة تهدف جميعها إلى تنظيم العلاقات بين الله والبشر من جهة، وبين الحكام ورعاياهم من جهة أخرى، وبين الناس وبعضهم من جهة ثالثة، على أسس تختلف تماماً عما عرفه العالم القديم.

ثانياً: السبب الثانى:

نقل العاصمة الإمبراطورية من روما إلى القسطنطينية إذ وجد الناس روما مهد الأباطره العظام مهددة بالذبول بعد أن هجرها الأباطرة.

ثالثاً: السبب الثالث،

ما اتصفت به حكومة الإمبراطور قنسطنطين من طابع وراثى بحيث أصبحت الإمبراطورية فى هذا العهد الجديد تعتمد على حق الوراثة فضلاً عن تأييد الله ورجال الكنيسة.

رابعاً: السبب الرابع،

إندثار فكرة «المواطنة» وهى الفكرة الأساسية التى طالما ميزت الحضارة اليونانية، فلم يعد هناك مجالاً فى هذا العصر الذى اعقب قنسطنطين للمواطنين الذين اكتظت بهم المدن الحرة فى العالمين اليونانى والرومانى، وحلت محل ذلك فكرة الرعوية بمعنى ان جميع رعايا الإمبراطور أصبحوا متساوين فى تبعيتهم له.

ولهذه الأسباب بدأت أوروبا فى الواقع تنتقل من العصور القديمة إلى العصور الوسطى ونجد ان بعض المؤرخين من أمثال بيورى يعتقد أن عصر حكم قنسطنطين بالذات يمثل بداية عهد جديد كما هو الحال بالنسبة لحكم أوغسطس مؤسس الإمبراطورية، وقد رأى إن العصور الوسطى قد استمدت مجمل حضارتها وكيانها من أصول ثلاثة ضخمه هى:

١ - التراث الكلاسيكى بوجه عام والرومانى بوجه خاص.

٢ - المسيحية وكنيستها.

٣ - الجرمان (٤٨).

الجرمان،

- هم جزء من العالم الواسع الذى احاط بالإمبراطورية الرومانية فى معظم نواحيها واثروا فى تغيير مصائر هذه الإمبراطورية عندما أخذوا

(48) Bury J.B., History of the Later Roman Empire, 2vols, London, 1923.

بهاجمونها منذ منتصف القرن الثاني، والحقيقة أنه كان من الممكن أن تعيش الإمبراطورية الرومانية في الغرب عمراً أطول رغم الانحلال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي التي تعرضت له لولا هجمات البرابره التي اسرعت بالإمبراطورية إلى مصيرها المحتوم.

- وليس من الضروري ان يكون البربري شخصاً متخلفاً أو همجياً، فيمكن أن يكون لديه قدر من الثقافة يتفهمها ويمكن أن يكون لديه ثقافته الخاصة به ولكنه يعرف القليل عن حياة المدينة ونظمها الاقتصادية، كما أنه ليس بالضرورة أن يكون من البدو الفقراء ومن الممكن ان يسيطر على الحكومة ملوك أو امرأاء مختلفون في المولد والقدرة والغنى^(٤٩).

- ومن الممكن ان نطلق على القبائل البربريه القريبة من الحدود المدنية اسم البربر المتحضرون أما خلفهم فقد كان يعيش البرابره المتخلفون البعيدون عن الحضارة كما ان العلاقات مع البربر لم تكن كلها عدائية، فقد كانت هناك علاقات تجارية منظمة في كثير من الأوقات بين الإمبراطورية والبرابره وقد نال البرابره أحياناً امتيازات تجارية خاصة ويذكر تاقيتوس ان قبائل الهيرميندوري Hermunduri نالت امتيازات خاصة فقد كانت لهم حرية الدخول والخروج في اجزاء الإمبراطورية، كما ان روما لم تقيم لها حامية عسكرية بين الطرفين على الحدود، كما كانت روما تعقد اتفاقيات بينها وبين البرابره مثلما كان الحال مع قبائل الماكروماني وغيرهم، وكانت مثل هذه الاتفاقيات تنص على أن يتوقف البربر عن القيام ببعض الممارسات العسكرية على الحدود من أجل السلام.

- والمقصود عموماً بلفظ «بربري» «بربرية»، هي مرحلة من التنظيم الاجتماعي القبلي الذي لم يرق بعد إلى مرحلة الاستقرار المدني وإقامة دول

(٤٩) حسين الشيخ، للرومان، مرجع سابق، ص ٩٧ - ٩٨.

ذات حدود ثابتة فالمجتمع البربرى يعتمد اساساً على رابطة الدم اكثر من اعتماده على رابطة المواطنه بين افراده^(٥٠) .

ولا يمكن اتهام الشعوب البربرية التى احاطت بالدولة الرومانية بأنها عاشت دون اسس ودعائم حضارية فهذه العناصر تمتعت بتقاليد حضارية خاصة، وقد كانت الشعوب البربرية كثيره ومتبانية.

ففى الجنوب: كان البربر فى غرب افريقية.

وفى الجنوب الشرقى: كان العرب

وفى الشرق: كان الفرس.

وفى الشمال الشرقى: السكيثيين Scythians، والهون Huns والبلغار والأفار، والمجريين، والمغول والأتراك وإلى الغرب داخل حدود أوروبا: وجد السلاف والجرمان والكلت.

- وتنقسم الشعوب الجرمانية إلى مجموعتين عظيمتين:

أولاً: مجموعة الشعوب الشمالية والشرقية،

فالشماليون، وهم الذين فضلوا البقاء فى شبه ج. اسكندناوه وتفرعت عنهم الأمم السويدية والنرويجية والدانية.

والشرقيون، هم الذين امتدت مساكنهم بين الألب وسواحل البحر الأسود. وشملت الوندال، البرجندين، القوط، الجيبيداي، اللومبارديين.

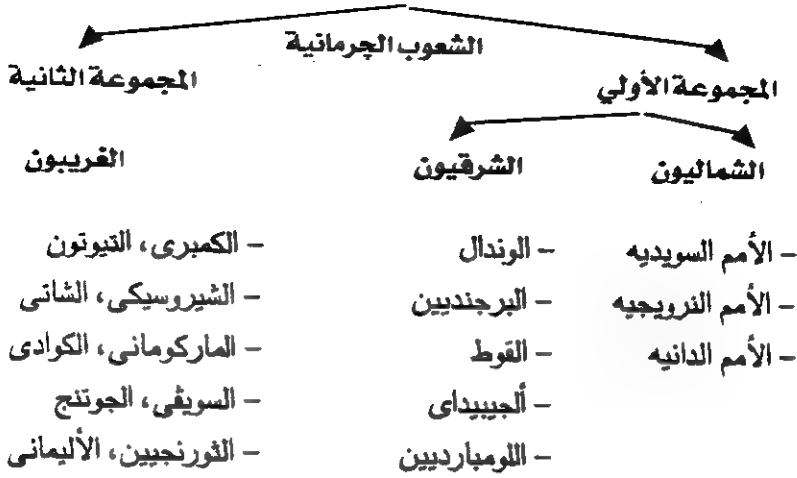
ثانياً: مجموعة الشعوب الجرمانية الغربية،

وقد امتدت مساكنهم بين الألب والراين، وتألفت من جماعات عديدة منها الكمبرى، الشيروسكى، الشانى، الماركومانى، الكوادى، السويقى، الثورنجيين، الأليمانى^(٥١).

(٥٠) كريستوفر دومن، تكوين أوروبا، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٨٣.

(51) Lot f., Les Invasions germaniques, Paris, 1935, pp. 30-32 also.

- Piganiol A., L' Empire Chrétien - 325-395 A.D., Paris, 1947, p. 13.



ويرجع الفضل فيما وصل إلينا من معلومات عن الجرمان إلى علم الآثار وكتابات المعاصرين، فالأدوات التي استخدموها والكنوز التي دفنت معهم كشفت عنها حفريات العصور الحديثة.

وعن كتابات المعاصرين فقد سجل لنا يوليوس قيصر ١٠١-٤٤ ق.م في كتابه عن الحرب الغالية De Bello Gallico وصفاً موجزاً عن أصل سلالات الجرمان وثقافتهم.

وكذلك رسم لنا تاكيتوس C. Tacitus في كتابه «جرمانيا» Germania صورة رائعة عن حياة الشعوب الجرمانية وعاداتها وتقاليدها وكان تاكيتوس مؤرخاً وصديقاً لبلينى الصغير^(٥٢).

(52) Church A.J. and Brodribbe J., The Complete Works of Tacitus, N.Y., 1942, pp. IX-X.

واسم الكتاب بالكامل هو:

De Orgine, Mōribus et populis Germaniae.

ويذكر لنا ان موطن الجرمان يحيط به من الشمال ويفصله عن بلاد الغال نهر الراين والدانوب وقد وصف لنا موطنهم بأنه بلاد كثيبه ذات مسالك ومناخ بالغ القسوة، ويتصف أفرادها بصفات جثمانية معينة منها العيون الزرقاء الحادة والشعر الأصهب والقامة الطويلة الضخمة، وقد تمرسوا على البرد والجوع نتيجة مناخ وتربه بلادهم⁽⁵³⁾.

- وكانت ديانة الجرمان خليط من الأساطير وعبادة قوى الطبيعة مثل الكواكب والنجوم وكان الآله الرئيسي الذي عبده هو الاله عطارد Mercurus وفى أيام معينة من السنة كانت تقدم القرابين إليه.

- ومن المعروف ان الجرمان لم يقطنوا المدن فى ايامهم الأولى، ولم يشيدوا بيوتهم مجاورة لبعضها البعض وعاشوا فى أكواخ مشيدة من الكتل الخشبية وعنوا أيضاً بحفر الكهوف فى باطن الأرض، وقد اعتادوا على ارتداء ملابس بسيطة من جلود الحيوانات المفترسة.

- عرف عنهم الميل إلى الشراب حتى الثمالة حتى أنه صار من السهل هزيمتهم إذا ما اسرفوا فى الشراب وكان طعامهم بسيط يتكون من الفاكهه الطبيعية واللبن ولحوم الصيد⁽⁵⁴⁾.

البناء الاجتماعي للجرمان:

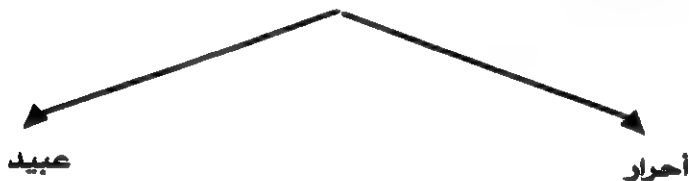
- جمع الجرمان بين الشجاعة والقسوة والكرم، وعدم مراعاة أصول الجوار وكان لديهم إحترام للعهد وترباط بين أفراد الأسرة الواحدة ورعاية للمرأة ولم يفسد هذه الصفات سوى إختلاطهم بالرومان، لعل أهم ما امتدحه تاكيتوس فيهم هو كرمهم المطلق ومراعاتهم الشديدة لرباط الزوجية المقدس،

(53) Tacitus, A Treatise on the Situation, Manners and Inhabitants of Germany, U.S.A., 1977, pp. 247-248.

(54) Tacitus, ibid, p. 257.

والمرجح ان القاعدة بينهم هو الاكتفاء بزوجه واحدة وان كان بعض النبلاء قد خرجوا عن هذه القاعدة بعد ازدياد ثروتهم.

- كانت الاسرة هي وحدة النظام الجرمانى حيث تمتع الأب بسلطه مطلقه على زوجته وأولاده بلغت حقه فى سلبهم الحياة، ومن مجموعه الأسر التى تربطها قرابة الدم تألفت العشيرة ثم تكونت مجموعه من العشائر ومن حيث البناء الاجتماعى انقسم المجتمع الجرمانى إلى:



- اقتصر عملهم على الاشتغال بالزراعة ويسود بعض الاعتقاد بوجود شكلين من أشكال الزراعة القروية.

الأول، يعتمد على العبيد.

الثاني، يعتمد على أحرار لا يخضعون لزعامة حربية.

- وفى مجتمع القرية قسمت الأرض الصالحة للزراعة بين الأسر وتركزت أراضي المراعى والغابات مشاعاً⁽⁵⁵⁾.

- يكونون الطبقة المحارية التى تمتعت بنوع خاص من التشريف ولا يعمل أفرادها بالفلاحة، ويقضون وقت السلم فى الأكل والدوم والصيد فى حين تقع بقية أعباء المجتمع على غير المحاربين من النساء والأولاد والعبيد.

- وقد ارتبطت الحرية بملكيه الأرض كما ارتبطت النبالة بشرف المولد والوراثه وليس بملكية الأرض.

- كان لكل قرية جمعية أو مجلس Moot يتكون من رجالها الأحرار

(55) Painter. A History of the Middle Ages, op. cit., pp. 23 - 24.

وكان هناك اتصالاً دائماً بين القرى عن طريق الانهار أو الممرات التي تتخل الغابات وعموماً فقد كانت الحياة القبليّة من الخصائص الرئيسيّة في المجتمع الجرمانى، وهنا نلاحظ ان أسماء مثل «الفرنج» و«السكسون» وغيرها لا تعنى قبائل معيّنه بقدر ما تعنى مجموعة قبائل متشابهه فى لغتها وتقاليدها وعاداتها.

عرف الجرمان النقود الرومانية وعرفوا الأوانى الذهبية والفضية، وكان التنظيم السياسى لديهم بسيطاً وكانت وحدته القرية أو المارك Mark ومن بعدها تأتى المائه Hundered وهى وحدة عسكرية تكبر القرية ثم تأتى المقاطعة أو الديرية Gau وتتألف من عدة مئات، ومن مجموع المقاطعات تتألف الدولة القبليّة التى أطلق عليها فيما بعد مملكه أو اسم رايخ Reich.

وعندما تقدم النظام الملكى بين الجرمان كانت للدولة الجرمانية

١- جمعية عمومية: تضم جميع أفرادها المحاربين ولا تنعقد إلا فى حالة الحرب أو الهجرة.

٢- مجالس للمقاطعة أو للمائه: تتألف من النبلاء والاحرار وتجتمع فى وقت السلم لبحث المسائل المدنية.

وقد وجد على رأس كل أمه من الأمم الجرمانية بعض الرؤساء أو القادة Princes الذين كانوا زعماء منتخبين اختارهم الشعب لما تحلوا به من صفات تؤهلهم للزعامة وأهمها الشجاعة، وتطور الأمر فصار يختار أبناء هؤلاء الزعماء بعد وفاتهم مما أدى تدريجياً إلى قيام نظام ملكى وراثى فى الدول الجرمانية والجماعات الجرمانية.

ولم يكن ملوك الجرمان فى هذه المرحلة المبكرة أكثر من قادة حربيين دون التمتع بسلطه مطلقه فى التشريع، وهناك من المؤرخين من يصف المجتمعات الجرمانية بأنها ديمقراطية، ولكن هذا لا يعنى أنها اتبعت نظاماً

ديمقراطياً في الحكم، لأننا سبق وأن رأينا إن المجتمع الجرمانى قام على اساس التفرقة الاجتماعية بين مختلف طبقاته، وإنما المقصود من لصق هذه الصفة بالجرمان هو وجود بعض المبادئ التى تنم عن اتجاهات ديمقراطية فى المجتمع الجرمانى مثل انتخاب الزعماء والفصل فى القضايا فى محاكمات عامة^(٥٦).

مما سبق نعرف أحوال الجرمان الذين استقروا على حدود الإمبراطورية الرومانية من جهتي الشمال والغرب، ونلاحظ عدم وجود أى عداة بين الرومان والجرمان فى أول الأمر. وإنما كل ما أراده الطرفان هو الحياة المستقرة الآمنة فى بلاده^(٥٧).

الظروف التي اضطرت الجرمان إلى الهجوم على حدود الإمبراطورية الرومانية:

- لقد شهدت السنوات الواقعة بين حكم قيصر وماركوس أوريليوس ٥٠ ق.م، ١٨٠م بوجه عام جواً من السلام ساد العلاقات بين الرومان والجرمان كما أن القبائل الجرمانية شهدت بوجه عام جواً من السلام ساد العلاقات بين الرومان والجرمان.

- لكن هذا الوضع بدأ يتغير فى أواخر القرن الثانى الميلادى إذ تعرض المجتمع الجرمانى لنوع من الضغط سبب له شيئاً من الحركة وقد تمثل هذا الضغط فى هجوم السلاف وغيرهم من العناصر الشرقية على الجرمان من جهة الشرق.

- تلفت الجرمان حولهم فلم يجدوا إلا ارضاً فقيرة مجدبة تغطيها الغابات

(56) Church A. Jand Brodribbe J., The Complete Works of Tacitus, op. cit., pp. 714 - 715.

(57) Cantor, op. cit., pp. 107 - 108, Painter, op. cit., p. 24.

مما جعلهم فى حالة من الشدة ونقص الأقوات دفعهم إلى الحركة فاخذوا يتطلعون إلى أراضى الإمبراطورية الرومانية التى جذبتهم إليها بنظامها المستقر وخيراتها وحضاراتها الزاهرة.

- بدأ موقف الجرمان السلبى من الإمبراطورية يتغير منذ عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠ م عندما تحالف بعض الطوائف الجرمانية المعروفه بأسم ماركوماني Marcomanni والكوادى Quadi لمهاجمة جبهة اعالى الدانوب عند بانونيا^(٥٨).

- وعلى الرغم من انتهاء هذه الأزمة بالقضاء على خطر المهاجمين وتدمير قوتهم إلا أن هذا التهديد الجرمانى لم ينقطع بعد ذلك فقد ظهر تهديداً ثانياً لهم فى القرن الثالث فى عهد الإمبراطور كاراكلا ٢١١ - ٢١٧ م وذلك عندما تقدم القوط جنوباً من شواطئ البحر البلطى فسحقوا السارماشييين وهاجموا اقليم داشيا (داكيا) على الدانوب حيث ظلوا خمسين عاماً يعيشون فساداً فى البلقان حتى هزمهم الإمبراطور كلوديوس الثانى ٢٦٨ - ٢٧٠ م فى نايسوس Naissus عام ٢٦٩ م.

- وما هو جدير بالملاحظة فى العلاقة العربية بين الرومان والقوط فى دورها المبكر هو اختيار الأباطرة الرومان مسألة القوط بالرغم من تفوق الرومان، إذ نجدهم يتنازلون عن اقليم داشيا ويسحبون منه الجيوش والموظفين الرومان وذلك على عهد الإمبراطور اوريليانوس ٢٧٠ - ٢٧٥ وعندئذ استقر القوط هناك وبعثوا عن أعمال السلب والنهب وبدأوا يتأثرون بالمسيحية مما مهد لقيام أول مملكة جرمانية داخل حدود الإمبراطورية ولم يشكل القوط وحدهم الخطر الأوحد الذى بدأ يهدد الإمبراطورية الرومانية فى تلك الفترة

(58) Lot, op. cit., pp. 29 - 30, Salmon, op. cit., pp. 277 - 278.

- Cary M., and Scullard H.H., A History of Rome, 3rd ed., London, 1975, pp. 443 - 444.

المبكرة فى تاريخ صراعهم مع الرومان إذ قام الفرنجه والألمان والبافيرون والسكسون^(٥٩) والفرنجيون والفريزيون بعدة هجمات أخرى متفرقة حتى انتهى الدور الأول من الهجرة الجرمانية سنة ٣٠٠م لتبدأ فترة جديدة من العلاقات السلمية الهادئة بين الجرمان والرومان.

وهنا نجد الإمبراطورية تفتح أبوابها لهؤلاء الواقدين من الجرمان فتستخدمهم فى:

١- بعض الفرق الرومانية.

٢- تمنحهم مستعمرات وأراضى يقيمون فيها داخل حدود الإمبراطورية^(٦٠).

٣- بدأ الاختلاط الاجتماعى فى صورة الزواج حيث وجدنا بعض ضباط الجيش الرومانى البارزين جرت فى عروقهم دماء جرمانية.

والواقع فإن الإقامة السلمية للجرمان داخل حدود الإمبراطورية لم تكن أمراً جديداً إذ ترجع جذور هذه الظاهرة إلى الإمبراطور أوغسطس ولكنها أخذت تتزايد وعلى نطاق واسع فى القرنين الثالث والرابع عندما بدأت العلاقة بينهم تمتد إلى الزواج والتفاعل الاجتماعى.

عموماً فقد تجددت الهجمات الجرمانية على حدود الدولة الرومانية مرة أخرى سنة ٣٧٥ متخذة طابع جديد فاخذت شكل إغارات ضخمة منذ ٣٧٥ وامتدت هذه الحركة الواسعة حتى سنة ٥٦٨م أى نحو قرنين من الزمان استطاع فيها الجرمان اجتياح أقاليم رومانية هامة وتأسيس ممالك جديدة داخل هذه الأقاليم^(٦١).

(٥٩) محمد محمود الحريزى، مرجع سابق، ص ١٠٥.

(٦٠) درسن، تكوين أوروبا، مرجع سابق، ص ١٠٣.

(٦١) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مرجع سابق، ج ١، ص

الهون Huns:

- قبائل رحل من العنصر المنغولى عرفوا فى أوطانهم الآسيوية باسم هسيونج - هو Hsiung - Hu وفى القرن الثانى سيطروا على شمالى الصين فيما يعرف حالياً بمنغوليا. واسسوا امبراطورية لم تعش طويلاً.

- نظر إليه الرومان والجزمان نظره الرعب نظراً لسرعتهم الشديدة واعدادهم الهائلة ويعزى اليهم اكتشاف حدوة الخيول وسروجها والتي مكنت محاربيهم من خوض المعارك على ظهور الخيول.

- شقت قبائل الهون طريقها إلى سهول روسيا الجنوبية (شمال البحر الأسود) وادى ذلك إلى اثاره الفوضى وسط القبائل الجرمانية المستقرة هناك وكان القوط الشرقيون أول الجماعات التي لم تقدر على صد الهون فى أوكرانيا عام ٣٧٥ م^(٦٢).

- فى القرن الخامس أوقف الهون زحفهم بعد أن شيدوا امبراطورية ضخمة كان مقرها سهل هنغاريا (المجر) وقد بلغت أوج عظمتها تحت زعامة اتيلا الذى ورث الحكم فى ٤٣٣ م.

- فرض اتيلا نفوذه على القبائل الجرمانية والمبتدرة واستطاع ان يهدد شطرى الإمبراطورية الشرقى والغربى، وارغم الإمبراطورية على دفع جزية سنوية له مما دفع بالإمبراطور ثيودسبوس الثانى ٤٠٨-٤٥٠ م بتدبير مؤامره فى القسطنطينية للتخلص منه ولكنه اكتشفها وسخر منها^(٦٣).

- طمع فى أملاك الإمبراطور الرومانى واتجه نحو الشرق فضم شبه ج. البلقان ووصل إلى القسطنطينية ولظروف خاصة وبعد ان تعقد الموقف هناك تحول اتيلا إلى الغرب فانصرف من أمام اسوار القسطنطينية.

(62) Katz, The Decline of Rome, op. cit., p. 104.

(63) Jones, The Decline of Ancient World, op. cit., p. 80.

- وسط تلك الظروف ظهر القائد الرومانى أيتيوس Aetius لمواجهة أتتلا ومنعه من التقدم ونجده يجمع القوات الرومانيه فى الغرب واضاف اليها الجموع الجرمانيه فى بلاد الغال بهدف التصدى لأتتلا هناك حيث هزم أتتلا فى ٤٥١م فى موقعه تعرف باسم شالون Châlone وقد عرفت هذه المعركة باسم «معركة الشعوب» The Battle of the Nations لأنها ضمت شعوباً جرمانيه مختلفه، وقد لعب القوط الغربيين فى هذه المعركة دوراً عظيماً حتى ان ملكهم «ثيودريك» لقي مصرعه بعد ان حارب ببساله تحت الراية الرومانيه^(٦٤).

- فى ٤٥٢م تحرك أتتلا على رأس جيش ضخم وأصبح على مشارف روما وما أن علم البابا «ليو الأول» ٤٤٠ - ٤٦١م إلا وذهب إليه فى سفارة ليتفاوض معه وانتهت المفاوضات بانسحاب أتتلا إلى مقر حكمه فى المجر وكان هذا سبباً فى إضافه رصيد من النفوذ لحساب البابويه فى الغرب الأوروبى.

- على أى حال تمزقت امبراطورية الهون بعد وفاة زعيمها أتتلا.

القوط الغربيون Visigoths،

- عبروا البحر البلطى فى القرن السادس ق.م وانقسم القوط إلى فرعين كبيرين هما:

(64) Pirenne H., A History of Europe from the Invasions to the XVI Century, Trans, by Bernard Miall From french, London, 1961, pp: 29 - 30.

Greutungi

القوط الجروتنج

واستقروا في جنوب روسيا
على نهر الدنيبر وعرفوا باسم
القوط الشرقيين Ostrogoths.
في إيطاليا.

Tervingi

القوط الترفنج

واستقروا بين الدانوب
والدنيستر وعرفوا بالقوط
الغربيين Visigoths. في
تولوز.

ظهر خطرهم واضحاً في منتصف القرن الثالث الميلادي، وابان عهد
الإمبراطور ديكْيوس ٢٤٩-٢٥١ م Decius عبروا الدانوب الأدنى وهزموا
الامبراطور ديكْيوس ولكنها لم تنل من عزيمته، واعاد تجميع قواته متجهاً إلى
مدينة فيليبوبوليس التي حاصرها القوط وتمكن من أن يحقق النصر عليهم
ولكنه كان مؤقت، إذ رفض ديكْيوس التفاوض فحاصروا مع الإمبراطور معركة
عنيفه في ٢٥١ م قتل الإمبراطور على أثرها هو وابنه.

انعكست هذه الهزيمة على موقف جالوس ٢٥١ - ٢٥٢ م الذي اعتلى
العرش بعد ديكْيوس فاتفق معهم على مغادرة أراضي الإمبراطورية نظير
دفع جزية سنوية ضخمه.

واستمر القوط في الاغارة على أملاك الإمبراطورية خاصة أنه في الفترة
بين ٢٥٣ م و ٢٦٨ م واجهت الإمبراطورية خطر الجرمان الذين هددوا الجزء
الغربي من الإمبراطورية، كما واجهت بعض المتاعب مع الفرس.

- في ٢٦٩ م نشأ تحالف قوى بين القوط وجماعات من الجرمان بهدف

(*) Visigoths = wise goths

Ostrogoths = Bright goths (Austr).

مهاجمة أملاك الإمبراطورية، فكانت اثينا من بين المدن التي تعرضت لنهب القوط وبدأوا يفكرون بعدها فى غزو ايطاليا وفى تلك الأثناء كان الإمبراطور كلوديوس الثانى ٢٦٨-٢٧٠ م Claudius II قد وصل إلى عرش الإمبراطورية وعقد العزم على تطهير الإمبراطورية من البرابرة الغزاه، والتقى الفريقان عند نايسوس فى ٢٧٠ م فى معركة دامية واسفرت عن هزيمة القوط هزيمة ساحقة، وتوالت إنتصاراته عليهم وعرف بأنه «قاهر القوط» وعرف فى التاريخ بـ «القوطى» Gothicus^(٦٥).

وبعد وفاه كلوديوس الثانى تولى أوريليانوس ٢٧٠-٢٧٥ م الذى اتفق معهم بعد معركة عنيفة على الصلح وأمر بسحب الحاميات العسكرية من ولايه داشيا بعد أن تركها لهم لتصبح أول ولاية رومانية تذهب لصالح الجرمان^(٦٦).

وخلال الخمسون عام التالية جنح القوط للسلام والهدوء حتى جاء الإمبراطور قنسطنطين وعقد معهم معاهدة صاروا بمقتضاها حلفاء Foederati للرومان.

النتائج التي ترتبت علي احتكاك القوط بالرومان،

- أفادوا من حضارة الرومان وتأثروا بها ويتضح ذلك من اعتناقهم للمسيحية عن طريق مبشر منهم يدعى أولفلاس Ulfilas ٣١١-٣٦١ م الذى لقنهم تعاليم الدين الجديد على المذهب الأريوسى مخالفاً المذهب الأثناسيوسى المنتشر فى الغرب الأوروبى وقد تلقى تعليمه بالقسطنطينيه.

- عندما عين اسقفاً على القوط فى حوالى ٣٤١ م ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة القوطيه^(*) وتعتبر هذه الترجمة التى مازالت اجزاء باقية منها أقدم

(65) Bradley H., The Goths, 5th ed., London, 1887, p. 30.

(٦٦) محمد محمود الحويرى، مرجع سابق. ص ١١٩.

(*) اللغة القوطية هى إحدى اللغات الجرمانية التى تضم الألمانية والهلندية والفلمنكية (البليجيكه) والدانماركية والسويدية والنرويجية والإنجليزية.

آثار لغة الجرمان، وقد اعتنق القوط المسيحية على المذهب الآريوسى والذى انتشر بين مختلف طوائف الجرمان مثل الوندال والبرجنديين واللمبارديين وقد بلغت شهرته فى التبشير حداً جعلته يعرف بأسم «حوارى القوط، أو رسولهم Apostle of the Goths (٦٧).

- فى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى اندفع الهون الآسيوسين خلال المنفذ الواقع بين جبال أورال وبحر قزوين نحو جنوب روسيا وانقضوا على القوط ويبدو أن هجوم الهون جاء على درجة من الشدة والعنف جعلت الرومان والجرمان يتأزرون جميعاً لصد هذا الخطر المشترك.

وقد احدث ضغط الهون رد فعل عنيف بين الجرمان مما أثر على أوضاع الامبراطورية الرومانية بشكل خطير حيث اضطر القوط الغربيين إلى الفرار من وجه الهون فطلبوا من الإمبراطور فالنز Valens ٣٦٤-٣٧٨م السماح لهم بعبور الدانوب هرباً من خطر الهون، وقد احدث هذا الهروب هزة عنيفة فى جسم الإمبراطورية، ذلك أن هؤلاء الدخلاء (القوط) ثاروا على الإمبراطوريه، وانزلوا الهزيمة بالإمبراطور فالنز وذبحوه فى أدرنه ٣٧٨م مما دفع خليفته الإمبراطور ثيودسيوس العظيم ٣٧٨-٣٩٥م إلى العمل على انقاء شر القوط.

ونجد الإمبراطور ثيودسيوس يعقد معهم اتفاقية أصبحوا بمقتضاها Foe-derati - كما سبق وفعل سلفه قنسطنطين - وذلك عام ٣٨٢م.

وقد سمح ثيودسيوس للقوط الشرقيين بالإقامة فى إقليم بانونيا وسمح للقوط الغربيين بالإقامة فى شمال تراكيا وقد تمتع القوط بسلطة فى هذه الأقاليم التى احتلوها.

(67) Thompson J. W., History of the Middle Ages 300 - 1500, London, 1931, p. 54.

المميزات التي تمتع بها القوط في عهد ثيودوسيوس العظيم:

١ - اعفوا من الضرائب مقابل الخدمة العسكرية التي تعهدوا بتقديمها إلى الإمبراطورية.

٢ - ظلوا محتفظين بطابعهم، فضلاً عن نظمهم وقوانينهم ومذهبهم الآريوسى وقد استمر التزامهم بتقديم الخدمة العسكرية وحراسة حدود الإمبراطورية حتى وفاة ثيودوسيوس ٣٩٥.

بعد وفاة ثيودوسيوس قسمت الإمبراطورية بين ولديه أركاديوس وهنريوس



٢٩٥ - ٤٢٢ م

كان من نصيبه القسم الغربى
وعاصمته رافنا.

٢٩٥ - ٤٠٨ م

كان من نصيبه القسم الشرقى
وعاصمته القسطنطينية.

وقد ترتبت عدة نتائج على تقسيم الإمبراطورية يمكن أجمالها فى النقاط التالية:

١ - إزداد نفوذ الجرمان السياسى والحربى داخل الإمبراطورية فأعتمد هنريوس فى الغرب على قائد من الوندال يدعى ستيلكو Stilicho ومنحه تفويض تام فى النواحي الحربية.

٢ - اعتمد اركاديوس فى الشرق على وزير قوطى يدعى روفينوس Rufinus الذى عرف عنه القسوه والاثانية وعدم الاخلاص وبدو أن القوط الغربيين كانوا فى تلك الفترة كانوا فى حالة استياء منذ الاتفاقية التى عقدها معهم ثيودوسيوس ٣٨٢ م ولذا نجدهم قاموا بالثورة فى ٣٩٥ م.

ثورة القوط الغربيون ٣٩٥م:

- قامت هذه الثورة بزعامة ملكهم المعروف بأسم الليرك Alaric ونجدهم يغزون مقدونيا وتساليا واقتحموا اثنيه ونهبوا كورنثه حتى اقتربوا من القسطنطينية.

- فى تلك الفترة كانت حكومة الإمبراطورية الشرقية فى حالة تلبد وجمود فلم تتحرك لدفع خطر القوط الغربيون مما جعل ستيليكو قائد الإمبراطورية الغربية يقوم بهذه المهمة حيث قام بعبور البحر الإدرياتي وحاصر القوط فى الركن الشمالى الغربى من شبه ج المورة (مقاطعة اليس Elis) وإن كان ملكهم الليرك قد لاذ بالفرار ٣٩٦م.

- رأى أركاديوس حاكم الإمبراطورية انشرقية ان يمنح الليرك زعيم القوط اقليم الليريا سنة ٣٩٨م حيث ظل القوط الغربيون مستقرون هناك لمدة أربعة سنوات فى حين عاد ستيلكو إلى غاليا وجبهة الدانوب لمحاربة الوندال.

- فى عام ٤٠٢م حاول الليرك غزو ايطاليا لأول مرة، لكن ستيليكو رده على اعقابه وتعرضت ايطاليا إلى غزواً آخر فى عام ٤٠٥م من قبل جماعات الوندال والسويفى والبرجندين واللان، الذين اضطروا للاتجاه نحو ايطاليا أمام ضغط الهون لكن ستيليكو أنزل بهم هزيمة ساحقه وبذلك نجحت ايطاليا مرة أخرى فى ان تنجو من غزوا البرابرة.

- وقد اضطر ستيليكو هذه المرة سحب بعض الفرق الحربية التى تقوم بحراسة جبهة الراين مما أتاح الفرصة لجماعات الوندال واللان والسويفى لعبور الحدود الرومانية عام ٤٠٦م، وقد ترتب على ذلك أنهم قضوا فى غاليا ثلاث سنوات خربوا فيها البلاد واندفعوا منها إلى اسبانيا.

- افزعت هذه الأحداث الإمبراطور هنريوس الذى رأى فيها فرصة طيبه للتخلص من قائدة ستيليكو الذى ازداد نفوذه حتى أوشك أن يصبح الحاكم

الفعلى فى الدولة فوجه هنريوس إليه تهمة الأهمال فى حماية حدود الإمبراطورية والتأمر ضد سلامتها وسلامة الإمبراطور نفسه وأعدمه فى سنة ٤٠٨ م.

لقد اتبع هنريوس سياسة متطرفة مع اتباع ستيليكو بعد أن أعدمه، فراح يعمل فيهم القتل مما جعلهم يتجهون نحو الليرك ملك القوط الغربيين حيث شجعوه على غزو إيطاليا.

الدور الذى لعبه الليرك بعد وفاة ستيليكو:

- بعد وفاة ستيليكو وجد الليرك ان الفرصة أصبحت سانحه لغزو روما وقد تمكن الليرك فى عام ٤١٠ م من غزو روما بعد فشل المفاوضات بينه وبين الإمبراطور هنريوس الذى كان قابلاً فى أمان فى عاصمته الجديدة رافنا وهكذا تمكن القوط الغربيون بقيادة الليرك من دخول روما، ونهبوا منازل نبلائها وأحرقوها ورغم أنهم اريوسيين إلا أنهم لم يحرقوا الكنائس الاثناسيوسيه، وقد توفى الليرك فى ٤١٠ م ليترك الامبراطور هنريوس أمام قضية اخراج القوط من روما وتخليص الامبراطورية قاطبة من شرهم.

- اتبع هنريوس سياسة المهادنة مع القوط فاعطاهم اقلية اكويتين من اللوار حتى البرانس وهو الإقليم الذى ضم مجموعة اقالييم غالبيا والتي كان الوندال واللان والسويفى قد استولوا عليها، فأصبح على القوط بذل مجهود مضاعف لاستخلاص هذا الاقليم من أيدي الوندال واللان والسويفى.

- بعد وفاة الليرك تمكن واليا Wallia (*) من قيادة القوط الغربيين وتمكن من طرد السويفى إلى الجزء الشمالى الغربى من أسبانيا، وأن يزيح الوندال

(*) جاء واليا بعد أثولف الذى اغتول على يد أحد خدمه فى برثلونه فى ٤١٥ م وبعد سيجريك Sigeric.

إلى نهر ابرو وبذلك تمكن القوط الغربيون من الاستقرار فى الجزء الجنوبى من غاليا بعد أن قضوا زهاء الأربعين عاماً فى التنقل والترحال.

- بعد وفاة واليا خلفه ثيودريك الأول ٤١٩-٤٥١م والذي انتزع عدة مدن من الرومان فى جنوب غاليا عام ٤٣٦م، وقد حاول الرومان الوقوف فى وجهه، لكنه هزمهم عام ٤٣٩ ومن بعدها ساد السلام بين الطرفين، وقد توفى ثيودريك الأول فى عام ٤٥١ أثناء حربه مع الهون فخلفه فى حكم القوط الغربيون ثيودريك الثانى.

قام ثيودريك الثانى ٤٥١-٤٦٥م بمحاربة السوفيى فى شمال غرب اسبانيا، كما غزا ناريون قرب الحدود الغاليه الأسبانية، ومد مملكته حتى نهر اللوار، وقد لاقى حتفه على يد أخيه فى عام ٤٦٥م والذي يدعى ايورك والذي اعتبر فى التاريخ اقدر قادة وملوك القوط الغربيين.

ايورك ٤٦٥ - ٤٨٤م؛

١- قضى على ما تبقى من النفوذ الرومانى فى اسبانيا.

٢- اخضع السوفيى.

٣- وضع أول مجموعة للقانون الجرمانى عرفها التاريخ والمسماء Antiqua على أن مملكة القوط الغربيين ما لبثت ان تمزقت بعد وفاة ملكها ايورك عام ٤٨٤م لأن خلفاءه كانوا يفتقرون إلى الكفاءة التى تميز بها، كما أن آريوسه القوط الغربيين كانت حجر الزاوية فى انهيار مملكتهم وتمزقها فالغالبية العظمى من رعاياهم فى اقليم الغال كانت على المذهب الكاثوليكي المناهض للآريوسيه، وإذا تصورنا مدى الكراهية التى تبادلها انصار المذهبين ندرك أنه كان مستحيلاً على أى ملك قوطى ان ينال رضا اتباع يعتبرونه هرطقياً فى نظرهم.

الوندال V Vandals،

ظل الوندال يقاومون القوط الغربيين فى اسبانيا على مدار أربع وعشرون عاماً، بعدها اضطروا إلى عبور البحر إلى شمال افريقيه ٤٢٩م تحت زعامة ملكهم جيزرك Gaiseric، وصادف فى نفس الوقت قيام حرب أهليه فى شمال افريقيه وقيام امبراطور قاصر هو فالنثيان III الثالث ٤٢٥-٤٥٥م على عرش الإمبراطورية مما سهل للوندال مهمتهم.

دور جيزرك مع الوندال،

اثبت أنه على جانب كبير من الكفايه والمقدرة إذ استولى على البلاد من طنجه حتى طرابلس.

سقطت قرطاجه أهم مدينة فى الغرب بعد روما فى أيدي الوندال عام ٤٣٩م وبذلك ضاعت ولاية شمال افريقيه فخسرت الامبراطورية بضياعها أهم اجزائها التى كانت تمولها بالغلال وممكن معرفه نهج جيزرك مع أهالى شمال افريقيه من خلال النقاط التاليه:

- ١- اتبع معهم سياسة استبدادية عنيفه.
- ٢- صادر الأموال وانتزع الأراضي من أصحابها.
- ٣- تعسف فى جمع الضرائب والأموال من الأهالى.
- ٤- اتبع سياسة دينيه متطرفه فبحكم أنه أريوسى نجده يصادر ممتلكات الكنيسة الكاثوليكيه وشمال افريقيه ويضطهد رجال الدين الكاثوليكي اضطهاداً أثار الرأى العام حتى أصبح لفظ الونداليه Vandalism إشارة للهمجيّه والوحشيّه فى اللغات الأوروبية الحديثه.

عموماً فقد أصبح الوندال قوة بحرية خطيرة فى البحر المتوسط واغاروا

على :

- ١- جزر البليار.
- ٢- سيردينيا.
- ٣- كورسيكا .
- ٤- صقلية.
- ٥- ايطاليا.
- ٦- هاجموا روما فى ٤٥٥م.

وتحولت عظمه الوندال بسرعة بعد وفاة جيزرك عام ٤٧٧م رغم أنه ترك اسطولاً قوياً وثروة طائلة وذلك عندما تمكن بلزاريوس (قائد جيوش الإمبراطور چيستنيان) ان يسترد ولاية شمال افريقيا من الوندال بعد ان دامت دولتهم لمدة ٩٥ عام منذ استيلاء جيزرك على قرطاجه ٤٣٩م.

سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية

الفصل الخامس

سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية

البرجنديون:

- أحد الشعوب الجرمانية الشرقية، موطنهم الأصلي جزيرة سكنديناوه، في حوالي عام ١٥٠ م دخلوا إلى سيليزيا وفي ٢٨٦ م دخلوا إلى وادي المين ومن هناك وصلوا إلى نهر الراين في نهاية القرن الرابع الميلادي، وتحت ضغط قبائل الهون عبروا نهر الراين بعد حصولهم على موافقة السلطات الرومانية بالإقامة كمعاهدين حيث اعتنقوا المسيحية.

- أثارت الحضارة الرومانية إعجابهم وبهرت عيونهم ويظهر ذلك في تأثيرهم بهذه الحضارة والذي سجلته (تشهد عليه) مجموعة القوانين البرجنديه Lex Burgundionum وأيضاً مجموعة القوانين الرومانية البرجنديه Lex Romania Burgundionum وكلاهما أصدرهما الملك البرجندي جندوباد Gundobad في الفترة من ٤٨٣ - ٥١٦ م بهدف معالجة القضايا المتداخلة بين الرومان والبرجنديين^(١).

- وفي الفترة المضطربة التي سبقت سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب حرص ملوك البرجندين على التحالف مع روما ورغم أن البرجنديين نشأوا على المذهب الآريوسي مثل بقية الطوائف الجرمانية إلا أنهم احترموا رغبة الاناث في اعتناق المذهب الآخر المخالف لآرائهم وهو المذهب الكاثوليكي^(٢).

(1) Sinnigen william G., and Boak E.R., A History of Rome to A.D. 565, 6th ed, U.S.A., 1977, p. 488.

(٢) محمد محمود الحويري، مرجع سابق، ص ١٤٢

الاليمانى Alemanni:

تعنى كلمة اليماني «كل الناس» و «كل الرجال» وهو أسم مشتق من اللغة التيوتونية القديمة. وهو أحد الشعوب الجرمانية الغربية التي هددت الإمبراطورية الرومانية قبيل سقوطها في الغرب ويرجع تاريخ ظهورهم إلى عهد الإمبراطور كاركلا ٢١١-٢١٧ م وقد تمكن من دحرهم على الحدود وتوغل في أراضيهم ثم زاد من التحصينات الدفاعية في نفس المناطق التي حاربهم فيها^(٣).

- جدد الاليمانى هجماتهم على حدود الإمبراطورية بعد وفاة كاركلا لدرجة أن الإمبراطور الاسكندر سيفيروس ٢٢٢-٢٣٥ م اضطر لقطع حملته في الشرق ضد الفرس لصد خطر الاليمانى وانتهت المسألة باحلال السلام بفضل المفاوضات بين الجانبين.

لقد رأى قواد الإمبراطور الاسكندر سيفيروس ان هذا التصرف تجاه الإليمانى كان مشيناً للكرامة الرومانية فقاموا بثورة ضده في عام ٢٣٥ م تزعمها ماكسيمينوس Maximinus واسفرت هذه الثورة عن مقتل سيفيروس وتولى ماكسيمينوس عرش الإمبراطورية بدلاً منه.

وعلى الرغم من ان الإمبراطور ماكسيمينوس كان شجاعاً وبعث الحياة في الجيش الرومانى واستطاع التوغل في أراضى الاليمانى لمدة عشرين عاماً إلا أن الاليمانى كانوا متربصون بحدود الإمبراطورية دوماً وسنحت لهم الفرصة في ٢٥٩ م^(٤).

(3) Laistner M.L.W, Thought and Letters in Western Europe A.D. 500 to 900, London, 1957, p. 20

(4) Bang Martin, "Expansion of the Teutons to A.D. 378" in Camb. Med. Hist., Vol I, Cambridge 1975, p. 201.

وفى أوائل عهد الإمبراطور أوريليانوس ٢٧٠ - ٢٧٥ م تحرك الاليماني مرة أخرى فى حشود ضخمة خلال جبال الألب الراقية إلى سهل نهر البو فى شمال إيطاليا، غير أن أوريليانوس تعقبهم ودمرهم على ضفاف نهر ميتاوروس Metaurus ومن بعدها لم تجرؤ أى قوة اجنبية على الاقتراب من قلب إيطاليا خاصة وان أوريليانوس كان قد بدأ فى بناء سور دفاعى جديد يحيط بمدينة روما.

- لم ينتهى خطر الاليماني بذلك، وإما عادوا مرة ثانية فى شكل تحالف اقاموه مع الفرنجة وفى عهد الإمبراطور قنسطنطيوس الثانى ٣٥٠-٣٦١ م اندفعوا تجاه الراين فى نفس الوقت الذى كان فيه الفرس يهددون حدود الإمبراطورية فى الشرق، إخترق الاليماني حدود الإمبراطورية عند الراين واستطاع حينها جوليانوس الذى صلح إمبراطوراً فيما بعد ان يوقع بهم شر هزيمة مما اكسبه شهره فاقت شهرة الامبراطور قنسطنطيوس الثانى نفسه^(٥).

وبفضل مجهودات الإمبراطور ثالينثيان الأول ٣٦٤-٣٧٥ م احكمت الإمبراطورية قبضتها على حدود جبهة الراين ضد شعوب الألمان والفرنجة ولكن عاد تهديد الاليماني يتجدد مرة أخرى فى عهد الإمبراطور فالنز الذى انشغل فى صد خطر القوط الغربيين فى البلقان ولكن تمكن ابن اخيه جراشيان Gratian فى صددهم وهزمهم فى مكان بالقرب من هوريورج فى ٣٧٨ م^(٦).

ولم يستمر التحالف الذى كان قائماً بين كل من الاليماني والفرنجة طويلاً إذ انقلب إلى عدااء وخرج منه الفرنجة منتصرين على حساب الاليماني إذ توسع الفرنجة فى اقليم الغال.

(5) Dill S., Roman Society in the Last Century of Western Empire. London, 1925, p. 288.

(6) Manitius M., "The Teutonic Migrations 378-421" in Camb. med. Hist, vol I, Cambridge, 1975, pp. 252-253.

الفرنجة Franks.

ظهروا خلال النصف الأول من القرن الثالث الميلادى فى مجموعتين هم:

١- الفرنجة البحريون (الساليون) Salian Franks

٢- الفرنجة البريون (الريپواريون) Ripuarian franks

وقد اجتاحتوا إقليم الغال كما سبق وان ذكرنا فى ٢٥٣ م وتمكن الأباطره الرومان من صدهم واجبارهم على التراجع إلى الوزير والراين حيث يستقرون وقد انتهزوا الفرصة بعد ذلك بعد مقتل ابن الإمبراطور قالييريانوس واتجهوا مرة ثانية إلى إقليم الغال دونما أى محاولة من جانب الامبراطوريه لصددهم.

واستطاع الإمبراطور بروبس Probus ٢٧٦-٢٨٢ م ان يقود عدة حملات ناجحة فى منطقة الراين طهر بها بلاد الغال من خطر الفرنجة بل وانزلهم إلى مرتبه العبودية.

وقد انجذب معظم المؤرخين إلى دراسة الفارق بين حركة الفرنجة وبين بقيه حركات الشعوب الجرمانيه فى غزوها للإمبراطورية الرومانية، حيث أن حركة الفرنجة كانت حركة توسعيه أكثر منها حركة هجرة تتصف بطابع الغزو.

- الجدير بالذكر ان العلاقات بين الإمبراطورية الرومانيه والفرنجة لم تكن كلها عدائيه فكثير من شعوب الفرنجة كان على صلة طيبه بروما وكثير من شخصيات الفرنجة تأثرت بالحضارة الرومانيه^(٧) وقد ازدادت الروابط بين الفرنجة والإمبراطورية منذ القرن الخامس الميلادى فأصبح الفرنجة يحاربون إلى جانب القوات الرومانيه فى ٤٠٦ م لصد جموع الغال على جبهة الراين والغال، ويروى «ديل» ان بعض الفرنجة حاربوا فى صفوف الرومان ضد كل

(7) Lot, The End of The Ancient World, op. cit., p. 249.

من الوندال والاليماني وذلك طبقاً لرواية المؤرخ جريجورى فى كتابه «تاريخ الفرنجة Historia Francorum»، (٨).

ويعتبر كلوفيس ٤٨١-٥١١ م هو المؤسس الحقيقى لدولة الفرنجة البحريرين الذى عرف بمقدرته الحربية، ورغب فى القضاء على سياجروس الذى يمثل آخر بقايا النفوذ الرومانى فى سواسون الذى تمكن من هزيمته فهرب إلى تولوز حيث مقر الليرك الثانى ٤٨٥-٥٠٧ م ملك القوط الغربين طالباً الحماية منه. وما كان من كلوفيس إلا أن هدد الليرك الثانى بهدف تسليم اللاجئ وانتهت المشكله بأن قتل كلوفيس اللاجئ بعد أن تم تسليمه (٩).

- كان اعتناق كلوفيس للمسيحية على المذهب الاثناسيوسى (الكاثوليكي) أهم حدث فى هذه الفترة وذلك لأنه بذلك خالف جميع الطوائف الجرمانية التى دانت بالمذهب الآريوسى ليصبح بطلاً للكنيسة الكاثوليكية التى وقفت جانبه فى صراعه مع الشعوب الجرمانية الأخرى كما وقف إلى جواره رعاياه فى اقليم الغال مما ساعده كثيراً فى التغلب على منافسيه.

وقد آثار اعتناق الفرنجة للمذهب الكاثوليكي غضب وكراهيه بقيه طوائف الجرمان الآريوسيين فى غاليا مثل البرجندين الذى استطاع كلوفيس ان يجبرهم على دفع الجزية عام ٥٠٠ م رمزاً للتبعية، والقوط الغربيين الذى شن عليهم حرباً فى ٥٠٧ م وقتل ملكهم الليرك الثانى بعد أن هزمه فى فوجليه Vougle واستولى على تولوز ٥٠٨ م ولم ينقذ القوط الغربين من ايدي الفرنجة عندئذ سوى تدخل ثيودريك العظيم ملك القوط الشرقيين الذى اسرع لنجدة اقربائه.

(8) Dill S., Roman society in Gaul in the Merovingian Age, U.S.A., 1966, pp. 7-8.

(9) Gregory of Tours, The History of the Franks, trans. by Dalton D.M., Oxford, 1927, pp. 273-277.

وقبل وفاة كلوفيس فى ٥١١ قسم مملكته الواسعة بين ابنائه الأربعة وهذا لم يمنع أويغوى توسعات الفرنجة وذلك لأن لوثر الأول (كلونير) استطاع توحيد مملكة الفرنجة عام ٥٨٨م بعد وفاة اخوته الثلاثة، غير ان مملكة الفرنجة انقسمت مرة أخرى بين ابناء لوثر الأول بعد وفاته ٥٦١م^(١٠).

من العرض السابق لغزوات الجرمان يتضح أنه لم يكذبأتى منتصف القرن الخامس حتى كانت الإمبراطورية الرومانية الغربية قد ضاعت معظم أملاكها، حيث انسحبت الجيوش الرومانية من بريطانيا عام ٤٤٢م، وانتزع الوندال ولاية شمال افريقيه، واحتل القوط والبرجنديون اسبانيا وجنوب غاليا والجزء الشرقى منها، وعبر الاليمان نهر الراين الأعلى واستقروا فى الألزاس، فى حين عبر الفرنجة الراين الأدنى ووصلوا السوم والميز وعموماً فيمكن الجزم بأن عوامل سقوط الإمبراطورية الغربية بدأت منذ عهد الإمبراطور هنريوس ٣٩٥-٤٢٣م والإمبراطور فالينثيان الثالث ٤٢٥-٤٥٥م الذى كافأ قائده ايتيوس Aetius بإعدامه عام ٤٥٣م وقد أصبح الوندال بعد احتلالهم ولاية افريقية قوة بحرية كبرى هددت جميع بلاد النصف الغربى من حوض البحر المتوسط وفشل البابا اليو العظيم، فى انقاذ روما من الوندال كما سبق وان أنقذها من الهون.

- لقد اقتحم الوندال روما وظلوا بها أربعة عشر يوماً سلبوا خلالها كنوز المدينة وقصرها الإمبراطورى والمعابد والكنائس وما فى البيوت من نفائس فضلاً عن عدة آلاف من الأهالى حملوهم عبداً ورأى الدكتور سعيد عاشور فى مؤلفه «أوروبا العصور الوسطى، ان هذه الاغاره ان دلت على شئ فأنا تدل على ان مجد روما السياسى والحربى قد أدبر وتولى بل وأصبح رهنا بمقدرة الكنيسة البابوية.

(١٠) سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، مرجع سابق، ص ٨٢ - ٨٣.

وعموماً فإن الفترة الواقعة بين مقتل قالينغيان الثالث وسقوط الإمبراطورية في الغرب تبعد من اظلم عصور الإمبراطورية الغربية بعد ان فقدت هذه الإمبراطورية معظم اراضيها، وأصبحت القوة الفعلية في ايطاليا بأيدي فئة من قادة الفرق الجرمانية المأجورة، وأصبح الأباطرة العوبة في أيدي الجند حتى انتهى الأمر بأن ثارا أودواكر زعيم جموع الجرمان ودخل في ٤٧٦م إلى رافنا حيث كان الإمبراطور عنثذ هو رومولوس أوغسطسولوس Romulus Augustulus. والذي كان في الثانية عشر من عمره فأكتفى أودواكر بنفيه لجنوب ايطاليا مع تخصيص معاش كاف له.

وهكذا انتهت الإمبراطورية الرومانية في الغرب واصبحت ايطاليا قانونياً تابعه للإمبراطورية الرومانية التي لم يبقَ غيرها على قيد الحياة وهي الإمبراطورية الشرقية أو ما تعرف بالبيزنطية وحتى هذه الإمبراطورية لم يكن لها نفوذ ملموس في ايطاليا مما جعل البابويه هي القوة الوحيدة القائمة التي التف حولها الايطاليون (*).

«الإمبراطورية الرومانية الشرقية»

القوط الشرقيون:

بعد سقوط الإمبراطورية الغربية في ايطاليا ٤٧٦م، أصبح لأباطرة الإمبراطورية الشرقية نوع من السيادة الأسمية على ايطاليا، بحكم حق أباطرة الإمبراطورية الشرقية في وراثته أباطره الإمبراطورية الغربية.

(*) راجع محمد محمود الحويري، مرجع سابق، ص ١٣٩، حيث رأى ان الوندال لم يستطيعوا الاندماج اجتماعياً واقتصادياً ودينياً مع أهالي البلاد خاصة مع ابناء طبقة النبلاء الثرية.
(*) لم تنقضى سنة ٤٧٦م حتى كانت هناك ست ممالك جرمانية قد قامت في أوروبا على انقاض الدولة الرومانية الغربية وهي:

- مملكة اودواكر (ايطاليا)، مملكة الوندال (شمال افريقية)، مملكة القوط الغربيين (في اللوار حتى مضيق جبل طارق)، مملكة اليرجنديين (وادي الرون ووادي الساوون)، مملكة الفرنجة (الميزوالمزل والراين الأدنى)، مملكة السويقي Suevi (البرتغال) راجع:

- Deanesly Margaret, A History of Early Medieval Europe From 476 to 911, London 1960, p. 2, ff.

ولكن بعد عام ٤٨٩م انتهت هذه السيادة الأسمية على إيطاليا بعد ان تمكن القوط الشرقيون من غزوها تحت زعامة ثيودريك.

وفى حين كان الشطر الغربى من الإمبراطورية يعزق تحت جحافل قبائل الجرمان والقوط الواندال نجا الشطر الشرقى من خطر الغزاة، ونجح فى فرض نفوذه على مقاطعاته بعد أن سحق حركات التمرد والانفصال التى أثارها كبار الاقطاعيين وكبار قادة الجيش من العناصر الأجنبية وذلك بفضل كفاءة الحكومة وأجهزة الحكم فى تنظيم الحكم الداخلى بصورة افضل من تلك التى كانت تسود الجزء الغربى.

وقد نجح الشطر الشرقى فى فرض الانضباط السياسى على الجيش بوضع القيادة العليا فى يد أكثر من قائد وعدم تركيزها فى يد شخص واحد، بل ونجح أيضا فى تخليص الجيش مما به من عناصر بربرية دخيلة فأصبح أباطره الغرب الضعاف يتلهفون على نيل رضى وحماية الإمبراطورية الشرقية الفتيه.

- وبعد وفاة أركادىوس فى ٤٠٩م وتولى زوجته يودوكسيا تولت زعامة فريق ينادى بطرد البرابره من الجيش والحفاظ على وطنية الجيش متعطين بما حدث فى الإمبراطورية الغربية، وأصبح تجنيد العناصر الوطنية خطوه طيبة لمقاومة تزايد الجرمان والقوط فى الجيش.

- ثيودوسيوس الثانى ٤٠٨ - ٤٥٠م؛

- تولى عرش الإمبراطورية وكان لديه ثمانيه أعوام وذلك بعد وفاه ابيه أركادىوس وكانت أمور الدولة فى يد انثيموس Anthemus وكان رئيس الحرس الجمهورى، ونظراً لأن ثيودوسيوس الثانى كان ضعيف الشخصية فسيطرت عليه عمته بوليخريا Pulecheria لدرجة أنها اختارت له شريكه حياته التى اشتربت عليها ان تدخل المسيحيه وغيّرت اسمها إلى يودوقيا Eudocia وبعد سنوات قلائل دب الصراع بين يودوقيا وعمه الإمبراطور.

(١١) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٦٧ - ٦٩.

- خلال حكمه تعكر صفو سلام الإمبراطورية الشرقية بسبب اندلاع الحرب مع الإمبراطورية الفارسية الساسانية وبسبب تحرشات قبائل الهون على حدود الإمبراطورية وقد اندلعت الحروب مع الدولة الساسانية عام ٤٢١م كرد فعل لاضطهاد الساسانيين للطوائف المسيحية داخل أراضيها وانتهت بهزيمة الفرس. هذا الانتصار الذى حققته الإمبراطورية على الفرص لم تستطع ان تحقق مثيله مع الهون فى عهد ملكهم روا Rua ومن بعدهم اتिला Attila^(١٢) الذى طالب فيما بعد بأن تؤول له السيادة على الإمبراطور ثيودوسيوس الثانى. ويمكن رصد أمور أربعة ميزت فترة حكم هذا الإمبراطور.

الأول، اقامة اسوار جديدة للقسطنطينية عام ٤١٣م اثناء تولى انثيموس ادارة الدولة وكان قطرها أكثر اتساعاً من قدار الاسوار التى بناها قسطنطين مما أدى إلى توسع المدينة عمرانياً وأصبحت هذه الأسوار أهم ملامح المدينة أثرياً^(١٣).

الثانى، تأثر ثيودوسيوس الثانى بآراء زوجته يودوقيا المسيحية واعادة افتتاحه للدار العليا للتعليم والدراسة والتى كان الإمبراطور قسطنطين قد انشأها واهملت بعد وفاته وأصبحت بعد اعادة افتتاحها فى عهد ثيودوسيوس الثانى تضم عشرة كراسى للاستاذية المتخصصة فى الدراسات الاغريقية وعشرة أخرى للدراسات اللاتينية.

الثالث، اصدار موسوعة ثيودوسيوس القانونية عام ٤٣٨م وكانت تضم جميع القوانين والقرارات التى صدرت فى المدينة منذ تولى أول امبراطور

(١٢) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٦٧-٦٩.

(13) Runciman, op. cit., p. 184.

وراجع أيضاً: إدوارد جيبون، الإمبراطورية الرومانية وسقوطها، الجزء الأول، ترجمه محمد

على أبو درة، القاهرة، ص ص ٤٩٨ - ٤٩٩.

(*) Eudocia تعنى الرضا باللغة اليونانية القديمة.

مسيحي عليها وتعد هذه الموسوعة بداية لإزدهار الدراسات التشريعية وتطورها في القسطنطينية.

الرابع، عقد المجمع المسكوني الثالث في مدينة افسوس عام ٤٣٣م لحسم الخلاف بين بطريرك القسطنطينية الأريوسى نسطوريوس وبطريرك الاسكندرية المنوفيزى كيرليس وانتهى الأمر بنفى الأول إلى صعيد مصر بعد أن نجح كيرليس في كسب تأييد روما وراهبان الشرق^(١٤).

الإمبراطور ماركيانوس Marcianus ٤٥٠ - ٤٥٧م،

- أثبت أنه رجل خبير بشئون الإدارة وأوقف دفع الجزية السنوية للهنون والتي كان اتيلاً قد فرضها في عهد ثيودسيوس الثاني.

- تصالح مع القوط الشرقيين وسمح لهم بأن يستوطنوا إقليم بانونيا في البلقان على أن يكونوا Foederati مع الامبراطورية الشرقية.

- في عهده عقد المجمع المسكوني الرابع في مدينة خلقيدونية عام ٤٥١م وكان من أهم قراراته ان يلى بطريرك القسطنطينية بطريرك روما في المكانة وان تصبح كنيسة القسطنطينية على قدم المساواة مع كنيسة روما.

الإمبراطور ليون ٤٥٧ - ٥١٨م،

بوفاه ماركيانوس تنتهى اسرة ثيودسيوس وينتقل الحكم إلى أسرة جديدة هي أسرة Leon وشملت خمس اباطره هم:

- ليون الأول.

- ليون الثاني.

- زينون.

(١٤) ليلى عبد الجواد، المؤرخ المصرى، العدد الرابع، ص ١٩٦ - ١٩٧.

- باسيليكوس .

- انسطاسيوس الأول .

١- يونيو الأول ٤٥٧ - ٤٧٤ م:

- كان ضابطاً في الجيش الإمبراطور وينتمي إلى إقليم داشيا واختير لتولى العرش بعد وفاة ماركيانوس نظراً لكفاءته، وقد ساندته أحد قادة الجيش ويدعى Asper وأسبر، وكان قوطي، وقد ازداد إنضمام القوط لجيوش الإمبراطورية الرومانية الشرقية وسرعان ما أصبح القادة العسكريون القوط هم صناع القرار.

- استعان بالقبائل الايسوريه التي تسكن جنوب الاناضول والتي اشتهرت بحبها للقتال ليخفف من قبضة القوط من اتباع Asper ولكنه لم يقتصر على ذلك بل شجع الرومان على دخول الجيش واجتكار المناصب القيادية فيه.

٢- ليون الثاني ٤٧٣ - ٤٧٤ م:

هو حفيد ليون الأول وقد اختاره لتولى العرش كوريث وشريك له في الحكم وقد اختار ليون الثاني اياه زينون امبراطور مشاركاً ونظراً لأنه لم يعيش طويلاً فتولى زينون الايسورى العرش.

٣- زينون ٤٧٤ - ٤٩١ م:

- شهد عهده كفاح ضد الثوار من القوط المتعاهدين الذين استقلوا بإقليم تراكيا وكونوا لأنفسهم مملكة هناك، كما واجهه ثوره باسيليكوس صهر ليون الأول على تزايد نفوذ الايسوريين والذي نجح فى الاستيلاء على القسطنطينيه واعلان نفسه امبراطوراً عام ٤٧٥ ولكنه لم يستمر فى العرش سوى عام واحد بسبب جموح أفكاره الدينيه التى قلبت عليه مؤيدوه مما سهل على زينون دخول القسطنطينيه واعدامه.

- اثناء الصراع بين باسيليكوس وزينون انقسم القوط إلى فريقين احدهما مع باسيليكوس والآخر مع زينون، ولكن بعد وفاة باسيليكوس أصبح القوط ضد زينون ولكن انتهت الأزمة برحيل القوط إلى الغرب بناء على طلب زعيمهم ثيودريك وبذلك نجا القسم الشرقي من خطر الجرمان وفي ٤٩١م توفي زينون^(١٥).

٤ - الإمبراطور انسطاسيوس ٤٩١ - ٥١٨م:

- بعد نجاة الإمبراطورية الشرقية من خطر القوط برز خطر جديد من جهة الدانوب مصدره هو قبائل السلاف والبلغار، كما واجه أيضاً حملة فارسيه قام بها الملك الساساني ٥٠٢م لاحتلال ولاية ارمينيا وكذلك بلاد ما بين النهرين وانتهى الأمر بهزيمتهم على يد القائد الروماني Celer كلير (السريع).

- الغى ضريبة الذهب والفضة ٤٩٨ Chrysargyrum، واعفى رجال الإدارة القروية والمحليه من مسئولية جمع الضرائب من الأقاليم.

- من أهم ملامح عصر هذا الامبراطور تزايد اخلاقيات الديانه المسيحيه بتحريم الاحتفال ببعض الأعياد الوثنيه وكذلك مباريات الصراع بين المصارعين والوحوش المفترسة، ويسبب تعاطفه مع النصارى المونوفيزيين واجه ثورات عديده سواء فى العاصمة القسطنطينيه أو فى باقى مدن الإمبراطورية.

- وبالرغم من تصديه لحركات الثورة السابقة إلا أن ويتاليانوس قائد البلغار استغل موجه السخط العام على الإمبراطور وقام بانقلاب ٥١٣م وأصبح يهدد القسطنطينية ولكنه انسحب بعد ان دفع له الإمبراطور خمسة آلاف رطل

(١٥) ميد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٧٤.

من الذهب ولكنه عاد مرة أخرى فى ٥١٥م وفى هذه المرة تمكن الإمبراطور من سحقه^(١٦).

- وقد توفى انسطاسيوس فى ٥١٨م تاركاً خزانة الإمبراطورية غامرة بالذهب مما دفع من تولى بعده بالقيام بحركة عمران واحياء للتراث والثقافة والفنون خاصة فى عصر جيستنيان.

هكذا نسى الأباطرة الذين راودهم حلم توحيد الامبراطورية هذا الهدف واكتفى جميعهم بدعم الإمبراطورية الشرقية بعد سقوط نظيرتها الغربية - وذلك بانقاذها من زحف البرابره.

فقد كانت قبائل القوط أول من زحف على الإمبراطورية الشرقية عندما احتلوا جنوب روسيا ولكن سرعان ما أصبحوا منحدية لغزو الهون الآسيويين ولم ينقذ الإمبراطورية من خطرهم سوى موت زعيمهم اتيلا عام ٤٥٤م وبعد اختفاء قبائل الهون عاود القوط تهديد الإمبراطورية الشرقية من جديد والذين انقسموا كما سبقت الاشارة إلى شرقيين وغربيين.

والجدير بالذكر أن القوط الشرقيين أنفسهم فى ٣٧٥م تعرضوا لخطر الهون وطلوا تحت سيطرتهم حتى عام ٤٥٢م عندما توفى اتيلا، وبدز القوط الشرقيون فى التحرر وسببوا ازعاجاً للإمبراطورية الشرقية.

ولقد اتخذت غزوه القوط الشرقيين لاييطاليا شكل هجرة عامة، إذا اصطحبوا معهم نساءهم وما شيتهم وكان زعيمهم ثيودريك هو أعظم شخصية سياسية فى عصره، فقد كان الشخص الوحيد الذى اجتمعت فيه مظاهر العصور القديمة والوسطى. إذ دخل الإمبراطورية صديقاً لا عدواً واعتبره المعاصرون حاكماً رومانياً وسموه ثيودريك العظيم، وتمتعت ايطاليا فى عهده بحكومة قوية سارت وفق الأساليب الرومانية. وامتدت فترة حكمه من ٤٨٩

(١٦) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ٧٦ - ٧٧.

حتى ٥٢٦، واتخذ من قصره في رافنا مركزاً لحكومة بيروقراطية تشبه النظام الإمبراطوري القديم، كما احتفظ بالسيناتوس وجعل المناصب المدنية الكبرى من نصيب النبلاء وطبقة السيناتوس، وقد خالف ثيودريك بقية الجرمان في أنه حافظ على المبدأ الروماني القديم الذي يقضى بالفصل بين الوظائف المدنية والحربية مما زاد الحقد المتبادل بين الموظفين المدنيين وقادة القوط العسكريين، وقد عنى ثيودريك أيضاً بالمحافظة على آثار الحضارة الرومانية وجمع القوانين الرومانية معتمداً على مجموعة ثيودوسيوس.

ورغم نفوذ ثيودريك الواسع إلا أن البناء الذي أقامه لم يقدر له البقاء طويلاً بسبب موقف الإمبراطورية البيزنطية التي استعادت سطوتها على عهد جيستنيان وبسبب الخلافات المذهبية بين القوط الشرقيين وإهالي إيطاليا الأصليين وكلها عوامل تجمعت لتقضى على آمال ثيودريك في إقامة مملكة قوطية في إيطاليا^(١٧).

عصر أسرة جيستنيان ٥١٨ - ٦١٠م:

حكمت أسرة جيستنيان حوالي ٩٢ عاماً وكان عصرها هو أزهى عصور الإمبراطورية الشرقية ثقافياً وحضارياً وتبدأ بحكم جوستين الأول وانتهت بتولى فوقاس عرش الإمبراطورية في عام ٦١٠م لتتولى بعدها أسرة جديدة هي أسرة هرقل.

١- جوستين الأول ٥١٨ - ٥٢٧م:

تولى الحكم بعد وفاة انسطاسيوس وذلك عام ٥١٨، وكان في الأصل فلاحاً من الليريا وانضم الى حياة الجندي ويقل كفاءته القتالية وذكائه وصل إلى أعلى المناصب في الجيش الإمبراطوري حتى يقال أنه عين في منصب قائد قوات الحرس الإمبراطوري.

(١٧) سعيد عبد الفتاح عاشور، مرجع سابق، ص ٩٢ - ٩٣.

- كان شديد التمسك بالعقيدة الارثوذكسية الرومانية التى تقوم على المذهب الآريوسى وكان كارهاً للمونوفيزية وربما اختير امبراطوراً لهذا السبب ويعد توليه العرش ظهر خطر ضابط كبير كان زعيماً للمعارضة الارثوذكسية ويدعى ويتاليانوس وكان معارضاً فى السابق للإمبراطور المونوفيزى انسطاسيوس فدبر جستين مؤامرة تخلص بها منه وذلك بمساعدة ابن أخيه جيستنيان الذى عينه جوستين الأول خليفه له وشريكا فى الحكم عرفانا منه بالجميل .

- كانت هناك اسباباً أخرى شجعت جوستين على اختيار جيستنيان ليصبح خليفه له منها أنه كان ذو روح مؤثره على عصر جوستين الأول نفسه وذلك لأن جوستين لم يكن قد تلقى تعليماً كافياً، ومنها أيضاً أنه كان شديد التعلق بالتعليم والثقافة وظل يدرس حتى أصبح عالماً ذو فكر واضح، كما ان جيستنيان قد أثبت ولاءه وكفاءته وقدرته على انتقاء العناصر الصالحة والأمنية للاستعانة بها، هذا بالاضافه إلى أنه قد وقف إلى جانبه وساعده على التخلص من ويتاليانوس .

- مات جوستين الأول فى ٥٢٧ وترك الإمبراطور لجوستنيان الذى قاد الإمبراطورية لأزهى عصورها وكان من الأباطرة القلائل الذين لقبهم المؤرخون بلقب الكبير مثله فى ذلك مثل قنسطنطين وثيودسيوس^(١٨) .

جيستنيان ٥٢٧ - ٥٦٥ م :

- ما ان جلس جيستنيان على العرش حتى شرع فى مهمة توحيد الإمبراطورية القديمة بل وجعل ذلك أهم أهدافه السياسية وكان حلم إعادة الإمبراطورية الغربية محال تحقيقه فضلاً عن ان الخلافات الدينية بين كنيسة

(١٨) سيد أحمد الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ٨٠ .

القسطنطينية وروما زادت في شقه الخلاف وحالت دون توحيد الشطرين الشرقي والغربي.

- وعلى الرغم من ان البرابرة من القوط والوندال لم يفكروا أبداً في السير شرقاً لغزو القسطنطينية إلا أن جيستنيان قد أرسل قوات عسكرية إلى الشطر الغربي لمحاربتهم.

- وعلى النقيض من موقف القوط والوندال جاء موقف الدولة الساسانية في المشرق فالفرس كانوا دائماً يتوقعون لتدمير القسطنطينية والاستيلاء على أراضيها سعياً منهم وراء احياء امبراطورية قورش القديمة التي قضى عليها الاسكندر الأكبر، والأكثر من ذلك فقد دعى ملوك الفرس الساسان إلى طرد الرومان من بلاد الرافدين والشام على اعتبار أنها كانت جزء من امبراطوريتهم التي سلبها الاغريق ومن بعدهم الرومان.

- وعلى الرغم من خطورة تهديد دولة الفرس الساسانيين على الجزء الشرقي من الإمبراطورية إلا أن الإمبراطور جيستنيان فضل مساعدة الإمبراطورية الغربية ومحاربة القوط والوندال وأجل حربه مع الفرس وكان يهدف بذلك إلى ضم الشطر الغربي إليه والسير في وحدة واحدة نحو الدولة الساسانية ليقتضى عليها كما فعل الاسكندر الأكبر مع الدولة الفارسية الاخمينيه.

- في عهد جيستنيان برز قائدان شهيران وهما بيليساريوس ونرسيس، ولم يتردد جيستنيان في تعيين بيليساريوس على رأس جيش قوامه ثمانية عشر ألفاً بهدف طرد الوندال من شمال افريقيا وقد تمكن بالفعل هذا القائد في استعادة شمال افريقيا وعاد إلى القسطنطينية يجر خلف جواده ملك الوندال «جليس» كأسير.

كما اتجه بيليساريوس في ٥٣٥م نحو القوط الشرقيين في ايطاليا ونجح في استعادة صقلية ودالماشيا وتمكن من استعادة روما ذاتها ودخلها إلا أنه فوجئ أنه محاصراً بداخلها وتمكن من الإفلات منها بعد خسارة كبيرة .

وقد اتجه بيليساريوس بعد هذه النكسة إلى شمال ايطاليا وحاصر رافنا عاصمة القوط الشرقيين حيث ظل محاصرها خمس سنوات وسلم ملك القوط فيتيجيس Vetiges نفسه لبيليساريوس وعاد إلى القسطنطينية وفي ذيل موكبه ملك القوط الشرقيين الأسير فيتيجيس^(١٩) .

وردت الأنباء إلى القسطنطينية بأن القوط الشرقيون ثاروا ضد الحامية الرومانية التابعة في ايطاليا، وان القوط وحدوا جبهتهم ضد بيليساريوس وفي نفس الوقت كانت الهدنة التي ابرمها جيستنيان مع الفرس على وشك الانتهاء ورفض خسرو كسرى الأول مدها إذ اراد استغلال فرصة ثورة القوط في الغرب والفرس في الشرق ليضع الرومان في موقف حرج .

الفرس يخططون لغزو القسطنطينية؛

انتهز الملك الفارسي خسرو فرصة انشغال بيليساريوس في حروبه مع القوط وتمكن من الاستيلاء على انطاكية ثم اتجه نحو بحر مرمرة ووصل إلى سواحلها وتأهب لعبوره حيث تقع القسطنطينية على الجانب الآخر، فما كان من جيستنيان إلا أن عرض على الملك الفارسي شراء هدنة لمدة خمس سنوات مقابل مبلغ مالى كبير يدفع سنوياً وبالفعل نال جيستنيان ما كان يرمى اليه وما أن فرغ حتى وجه طاقته من جديد نحو القوط في ايطاليا .

- تعرض بيليساريوس لعدة هزائم متتالية على يد القوط فاعفاه جيستنيان من قيادة الحملة ووكل بها إلى نرسيس الذى كان من سلالة فارسية، وقد نجح

(١٩) سيد أحمد على الناصرى، نفس المرجع السابق، ص ٨٤ .

فى السيطرة على الموقف المتدهور ولكنه لم يسيطر على ايطاليا قبل عام ٥٥٥ م (٢٠).

- لقد حصل جىستىيان على رضاء نفسى داخلى بعد ما تحقق له حلمه بانقاذ ما يمكن انقاذه من ممتلكات الإمبراطورية الرومانية الغربية وظل يهادن الفرس كلما حاولوا غزو القسطنطينيه الأمرالذى زاد من قوة الدولة الساسانيه فى الولايات الشرقية على حساب الإمبراطورية الرومانية ذاتها هناك.

- عموماً يلاحظ أن نجاح جىستىيان يعزو إلى المجال الحضارى والثقافى دون المجالين العسكرى والسياسى.

القسطنطينية فى عهد جىستىيان:

شهدت القسطنطينيه فى عهد جىستىيان رواج عمرانى وثقافى وتلك الإنجازات التى قام بها الإمبراطور أدت إلى مولد الحضارة الرومانية الجديد وقد قام جىستىيان بحركه تطوير الفنون فى القسطنطينيه بمساعدة ثيودورا الجميلة زوجته.

- لم تعد مدينة صغيرة بل تعدت حدودها القديمة واتسعت مما أضطر الامبراطور ثيودوسيوس الثانى ٤٠٨ - ٤٥٠ م إلى توسيع قطر المدينة وبفضل أسوار المدينة المدعمه بالإبراج والقلاع امكن حماية القسطنطينيه لما يقرب من الف عام (٢١) وقد حرص الاباطره الواحد تلو الآخر على تدعيمها سواء فى البر أو البحر (٢٢).

(٢٠) السيد الباز العرنى، مصر البيزنطيه، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١، ص ١٦١.

(٢١) برايس ف.ن، القسطنطينيه فى عصر جىستىيان، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة لفيف من الاساتذة، المجلد الرابع، ص ص ٣١٤ - ٣١٥.

(٢٢) ابن الفقيه: مختصر البلدان، ص ١٥٠، ابن رسته، الاعلاق النفسيه، ص ١٣٠، المسعودى: مروج الذهب، الجزء الأول، ص ٣٢٠.

وقد تزايد عدد سكان القسطنطينية زيادةً فاقت أعداد سكان مدينة روما ذاتها وأصبح قى قلب العاصمة حى تجارى كبير وأصبح فيها حى آخر لأصحاب الصناعات والحرف وكانت حوانيتهم فى هذا الحى تعرض مصنوعات نادره ونفيسه، وقد بلغت حركة الزواج التجارى قمته وكان ميناء القرن الذهبى فى ذلك الوقت من أعظم موانئ العالم، وكان كثير من التجار شديدى الثراء والنفوذ، وكلما زاد الاغنياء غنى، زاد المعدمون فقراً فقد تزايد عددهم فى القسطنطينية وساءت أحوالهم الاقتصادية.

وكانت القسطنطينية مقسمة إلى أحياء Demes عددها أربعة، يميز بيوت كل منها لون خاص، ويحمل ابناء الحى شارة صغيرة بذلك اللون على اكتافهم وكان سكان الأحياء الأربعة يعرفون باسم ألوان أحيائهم المميزة مثل البيض والحمى والزرق والخضر.

وفى عهد جيستيان اندمجت بعض الأحياء فى بعضها لتصبح اثنين بدلاً من أربعة هما الحى الأزرق (الزرق)، الحى الأخضر (الخضر) وكان بينهما تافس رياضى وسياسى، وقد كانوا أهم مشجعى فرقهم فى حال وجود سباق رسمى داخل ملعب السباق الكبير فى المدينة^(٢٣).

وفى المجال الترفيهى كان ملعب سباق الخيول يقوم بدور المسرح والسرك، فقد كان لاعبو الاكروبات والراقصون والمغنون ومروضوا الوحوش المفترسة يقدمون عروضهم للجمهور فيه، وكانت المباريات الرياضية وسباقات العربات التى كانت تنظم فى ملعب القسطنطينية هى أهم ملامح الحياة الترفيهيه فى المدينة وكان فى العادة يشهدها الامبراطور وهو الذى كان يعطى اشارة بدء الشوط الأول للسباق.

(٢٣) عن الزرق والخضر راجع المقال القيم لـ.وسام عبد العزيز فرج: «اضراء على مجتمع القسطنطينية، دراسة فى التاريخ الاجتماعى لمدينة قسطنطين حتى نهاية القرن الحادى عشر»، دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٠.

- وفي الواقع فإن جذور الاحتفالات ترجع إلى بعض المهرجانات الاغريقية والرومانية في العصور الوثنية، وجرى لها تعديلاً طفيفاً حتى تتماشى مع الفكر الدينى الكنسى.

ثيودورا وأثرها عليه:

عندما كان جيستنيان في أواخر الثلاثينيات عمره وقع في حب فتاة تعمل في احدى الفرق الاستعراضية ومن طبقه اجتماعية متواضعة. لكنها كانت ذات جمال آخاذ وكانت تدعى ثيودورا $\eta\theta\epsilon\omicron\delta\delta\omega\rho\alpha$ أى هبه الآله، وكانت في مطلع شبابها تظهر على ساحة ملعب السباق كراقصة وأدت بعض رقصاتها على مسرح الاسكندرية وعندما التقى بها جيستنيان وقع في غرامها وكانت في البداية حباً بلا أمل لأنه طبقاً لقوانين الدولة الصارمة كان محرماً على أبناء الطبقة النبيلة ورجال مجلس السيناتوس الزواج بالممثلات والراقصات، لكن جيستنيان اصر على الاقتران بها رغم أنف القانون وبعد تعديلات فيه تزوج بها وبعدها وصل جيستنيان إلى العرض ووجدت ثيودرا نفسها وقد أصبحت إمبراطورة تتربع على عرش الرومان. ولعبت دوراً هاماً في تشجيع زوجها جيستنيان على الصمود في وجه ثوره النصر Nika والتي قامت باتحاد الزرق والخضر وكانت اعنف الثورات التي شهدتها القسطنطينية والتي قامت نتيجة فرض جيستنيان ضرائب باهظة على الشعب من أجل توفير نفقات اعادة وحدة الإمبراطورية الرومانية ونفقات استعادة ولاية شمال افريقيه وتحرير ايطاليا من البرابرة.

- لقد اعاد جيستنيان تعمير القسطنطينيه بعد ثورة النيقا وكان أكثر ما أثر فيه احتراق كنيسة ايا صوفيا ولهذا اتخذ قراره بإعادة بنائها بطريقة أكثر جمالاً وروعاً، وقد أصر جيستنيان على اختيار نظام «المطقات» في الجوانب لنقوم عليها قبه الكنيسة لأنه رأى في ذلك أكثر فائدة من الناحية العملية^(٢٤).

(٢٤) توفيق أحمد عبد الجواد: تاريخ العمارة - ٢ - العصور المتوسطة والأوروبية والإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩، ص ص ٢٣، ٢٥.

وقد صممت كنيسة اياصوفيا على شكل شبه مستطيل، طوله ٧٧ م وعرضه ٧١,٧ متراً، وفي وسطه صحن بيضاوى كبير، تعلوه قبة ضخمة قطرها ٣٥ م وترتفع عن سطح الأرض بمقدار ٥٨ م فتبدو كما لو كانت معلقة فى السماء بسلسله ويحيط بالكنيسة فناء واسع فى وسطه مصطبة كبيره من الرخام، وترتكز القبة على عقود أربعة، وهذه العقود ترتكز على أربعة اكتاف كبيره، ويحيط بالعقدين الشمالى والجنوبى جدار فتحت فيه نافذتان فوق طابقين من الأعمدة، أما العقدان الشرقى والغربى فكانا يرتكزان على انصاف قباب تدعم القبة الوسطى^(٢٥).

جامعة القسطنطينية والبحث العلمى:

كان جيستنيان منذ نعومة أظافره محباً للقراءة والاضطلاع ووجد متعه القراءة فى المؤلفات الكلاسيكيه الأغريقيه، ونتج عن ذلك احياء للتراث الاغريقى خاصة فى الفنون واللغة التى ظهر تأثيرها واضحاً فى الموضوعات الفنيه الدينيه إذ أصبح الرومان يزينون الاطباق الفضية برسومات مستقاه من الاساطير الاغريقية وخاصة مناظر الحياه الريفيه والرعويه التى تذكرنا بشعر الاسكندرية فى العصر الهلينسى^(٢٦).

وبالرغم من أن جيستنيان كان ذواقاً للجمال والفن وعاشقاً للتراث والثقافه الاغريقية إلا أنه أمر باغلاق جامعه أثينة العتيقة عام ٥٢٩ م لأن بعض المناهج بها كانت تقوم على الفكر الوثنى، وقد ركز جيستنيان همه على البحث العلمى، وكان قسطنطين الكبير قد أسس فى القسطنطينيه أكاديميه لتكون نواة

(٢٥) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، مرجع سابق، ص ص ٩٧ - ١٠١، حيث أورد تفصيلاً شيقاً لطراز الكنيسة وأساليب زينتها داخلياً.

(٢٦) فيليب إميل لجران: شعر الإسكندرية، ترجمة د. محمد صقر خفاجه، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢، ص ١١٠، وراجع أيضاً محمد حمدى ابراهيم، الأدب السكندري دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥، ص ص ٢٨٠ - ٢٨٣.

للأبحاث العلمية، كما منح الإمبراطور ثيودسيوس هذه الأكاديمية وضع الجامعة عام ٤٢٥م، أما جيستنيان فقد حرص على تشجيع أقسام هذه الجامعة سواء اللاهوتية أو الدنيوية على البحث والتأليف، ولم يكن الرومان في ذلك الوقت يعرفون فن الطباعة، فقد كانت كل المؤلفات في شكل مخطوطات أو منسوخات لأعمال قديمة، وكان كل ناسخ يقوم بنسخ عمل أما نقلاً عن الأصل أو من نسخه معتمدة، ونتيجة لذلك فقد كان التعليم العالي باهظ التكاليف والمخطوطات نادرة وثمينة ولا يقتنيها إلا القادرون.

موسوعة جيستنيان القانونية:

لفت نظر جيستنيان ان مواد القوانين تطبق أحياناً بطريقة خاطئة وان السبب في ذلك هو أنها غير متاحة لرجال القانون في شكل موسوعة، وأن بعض مواد القوانين أصبحت عقيمة وفي حاجة إلى تطوير وتعديل، وكان الإمبراطور ثيودسيوس الثاني قد أمر بجمع مواد القانون في شكل موسوعة عرفت باسم موسوعة ثيودسيوس القانونية Codex Theodosianus، غير ان بعض مواد القانون سقطت من هذه الموسوعة، وعلى ذلك أمر جيستنيان بتكليف نخبة من خيرة فقهاء القانون بجمع كافة مواد القوانين الرومانية في مجلد واحد واستمرت اللجنة في عملها أربعة عشر شهراً و أصدرت مجلداً كبيراً عرف باسم موسوعة جبتسنيان Codex Justinianus التي أصبحت أساساً لقانوننا المعاصر^(٢٧).

وقد تكونت موسوعة جيستنيان من أربعة مجموعات تحمل اسم جيستنيان هي:

- ١- مجموعة التشريعات Codex وصدرت عام ٥٢٩م وتحتوى على كل التشريعات القانونية Leges الصادرة في الفترة من هادريان حتى جيستنيان، وتتكون من ١٢ كتاب.

(٢٧) حسين الشيوخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٨٩، حيث تتبع خطوات تطور القانون الروماني منذ العصر الجمهوري حتى الإمبراطوري، ص ص ١٨٩ - ١٩٤.

٢- المتون Institutiones صدرت عام ٥٣٣ وتحتوى على المبادئ الأساسية Elementa وقد أخذت هذه المتون المادة الأساسية من الأعمال القانونية لفقهاء العصر الذهبي.

٣- الموسوعة Digesta أو ما عرفت باسم البانديكتاي Pandectae وصدرت عام ٥٢٩ م وسميت بالموسوعة لأنها احتوت على ما يقرب من تسعة آلاف نص قانوني مع عرض منظم للشرح الفقهية في القانون المدني والفتاوى القانونية، وتعد هذه الموسوعة بمثابة مختصر لكل الفقه القانوني الروماني وتقع في خمسين كتاباً كل كتاب ينقسم إلى أبواب وفقرات وبند، وكل فقرة أو بند يحمل اسم مؤلفه الأصلي وأسم الكتاب الذي تم الاقتباس منه (٢٨).

٤- المراسيم المستحدثة Novellae وتضم التشريعات التي أصدرها جيستنيان نفسه والتي صدر أغلبها باللغة اليونانية في الفترة ما بين ٥٢٩ - ١٥٥٦ م وقد أصدر جيستنيان مرسوماً امبراطورياً يقضى بمنع التعليق على هذه المجموعات خشية التحريف فيها أو مسخها إلا أن ذلك لم يمنع ظهور بعض الشروح أهمها شروح ثيوفيلوس على المتون Paraphrasis Institutionum Theophili وقد صدرت باللغة اليونانية (٢٩) وفي أواخر القرن التاسع أصدر الإمبراطور ليو السادس مجموعة قانونية سميت «المجموعة البازيليكية» Basilica، أى القوانين الملكية، إلا أنها لم تخرج عن مجموعات جيستنيان القانونية مع بعض التنقيح والتنسيق وأحياناً بعض التعديلات البسيطة (٣٠).

(٢٨) عبد اللطيف أحمد على، مصادر التاريخ الروماني، بيروت، ١٩٧٠، ص ص ١٠٠-١٠٢.

(٢٩) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(30) Peter Stien, Roman Law in European History, Cambridge University Press, 1999, p. 38 ff.

وبفضل موسوعة جيستنيان القانونية أصبحت القوانين تطبق بطريقة واحدة في جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية، وأصبح الناس أكثر علماً بروح القوانين وإدراكاً بمواده ووعياً بحقوقهم، كما تركت أثراً بالغاً في تاريخ التشريع الأوروبي ولا تزال هذه الموسوعة تدرس في كليات الحقوق في جامعات العالم إلى الآن^(٣١).

عموماً وبفضل سياسة جيستنيان ازدهرت الحركة التجارية في القسطنطينية وأصبحت القسطنطينية واحدة من أهم مراكز التجارة بين الشرق والغرب ولما كانت التجارة العالمية ترتبط بأحوال السياسة، فقد وضع جيستنيان التجارة تحت وصاية الدولة لتضفى عليها الرعاية والتشجيع، وكانت علاقة الرومان مع الدولة الساسانية هي العامل المتحكم في مقياس تجارة الحرير وذلك لأن طريق الحرير كان يمر بالدولة الفارسية التي كانت تفرض ضرائب باهظة على مروره مما يضاعف من التكاليف، ولما كان الفرس يسيطرون على الطريق البحري بين الخليج العربي والهند وسيلان، فقد حاول جيستنيان إحكام السيطرة على تجارة البحر الأحمر خاصة وإن مصر التي تتحكم في منافذه الشمالية، كانت ولاية رومانية ومنفذاً لتصدير البضائع، ولكي يفعل ذلك قوى علاقاته مع دولة أكسوم الحبشية وجعل أساس هذه العلاقة النفوذ الديني فقد كانت دوله أكسوم دولة مسيحية، فزاد في الروابط بين الرومان والأحباش وأرسل اليهم المبشرين وقوى الأمل عندهم لنشر المسيحية في جنوب الجزيرة العربية تمهيداً لاحتلالها وللحد من حركة التهديد التي كانت تنتشر بين العرب على أيدي أحبار اليهود^(٣٢).

(31) Collinet P., Etudes Sur Le Droit De Justinien, T.I, 1912, "Le Caractere De l'oeuvre De Justinien".

ترتيب عبد العزيز فهمي، القاهرة، ١٩٤٦.

(٣٢) اسرائيل وفلسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، مطبعة الاعتماد بمصر، ١٩٢٧، ص ١٥ - ٢٠.

المجمع المسكوني الثاني بالقسطنطينية،

فى عام ٥٥٣م عقد جيستيان مجمعاً مسكونياً فى القسطنطينية لتدارس أمور العقيدة والكنيسة وهو ثان مجمع يعقد بالقسطنطينية وكان من أهم الموضوعات التى بحث فيها ذلك المجمع مشكله اتباع أوريجينيس الذى درس الأفلاطونية الحديثة وتعرض للاضطهاد والتعذيب فى عصور الأباطره الرومان سبتميوس سيفيروس وابنه كاركلا وديكيوس وقد تأثرت آرائه بديانات الهند التى كانت قد بأت تتسلل عبر فارس والرافدين إلى الشام ومصر وذلك خلال القرن الثانى الميلادى خلال عصر الأباطره الصالحين، عصر التسامح والتقاء الحضارات والديانات (٣٣).

وفى عام ٥٤٨م مانت ثيودورا زوجة جيستيان وملهمته فخلد ذكرها ببناء كنيسة لها فى دير سانت كاترين فى صحراء سيناء وقد عاش بعدها سبع عشرة سنة وكان محفوظاً لأنه غادر الدنيا فى عام ٥٦٥م قبل ان يرى الامبراطورية التى أرقق نفسه فى بنائها وترميمها وهى تتهاوى مرة أخرى، وقبل أن يرى اللومبارديين يجتاحون ايطاليا، وقبائل البلغار والسلاف تجتاح البلقان، ويقيمون دويلات صغيرة (٣٤).

(٣٣) محمد اسماعيل الندوى، الهند وحضارتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م ص ١١٠ وما بعدها، وراجع أيضاً ويل ديورانت، قصة الحضارة: الهند وجيرانها، المجلد الأول الجزء الثالث، ترجمة زكى نجيب محمود ص ص ٢١٦ - ٢٢٠، وعن الأفلاطونية المحدثه التى اسسها أفلوطين يقول مجدى السيد أحمد كيلانى فى مؤلفه «المدارس الفلسفية المتأخرة»، ان افلوطين كان يعرف المسيحية لكنه لزم الصمت بخصوصها ولم يبدى رأياً فيها، وأنه لم يصبح مسيحياً أبداً رغم إيمانه بمثل عليا أخلاقية وروحية ليست فقط فى مذهبه الفلسفى بل أيضاً فى حياته الخاصة، ص ٤٥٩. راجع: مجدى السيد أحمد كيلانى، المدارس الفلسفية المتأخرة، المركز الاستشارى المصرى للتدريب ونشر البحوث العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، حيث تحدث بأسهاب عن الامبراطورية المحدثه إيان افلوطين وبعد وفاته.

(٣٤) سيد أحمد على الناصرى، الروم والمشرق العربى، ص ١١١.

خلفاء جيستينيان،

نتيجة الاتفاق السخى على العمران والثقافة والفنون من قبل جيستينيان، بدأت بوادر الاعياء الاقتصادى تظهر على الإمبراطورية بعد رحيله وقد واكب هذا الاعياء الاقتصادى عودة البرابره إلى الاغارة على حدود إيطاليا كما بدأت جبهة الشرق الأدنى تشتعل من جديد نتيجة لنشاط الدولة الساسانية وقد دفع خلفاء جيستينيان وهم جستين الثانى ٥٦٥ - ٥٧٨ م، وموريس ٥٨٢ - ٦٠٢ م، وفوقاس ٦٠٢ - ٦١٠ م الثمن باهظاً.

جوستين الثانى ٥٦٥ - ٥٧٨ م؛

تولى جوستين العرش بعد وفاة جيستينيان وكان يتيه غروراً ويحلم بالعظمه وبالمجد للإمبراطورية وقد كلفه ابتعاده عن الواقع كثيراً وقد تمثل هذا الثمن فى اشتعال الجبهة بين الرومان والفرس من جديد إذ رفض جوستين ان تواصل الامبراطورية دفع الجزية السنوية للفرس مقابل السلام واخذ يدعم وجود الرومان فى ارمينيا مخالفاً بذلك للاتفاق السابق مع الفرس وقد تحالف الرومان مع قبائل الترك هناك لضرب إقتصاديات الدولة الفارسيه بحرمانها من المكوس والضرائب التى كانت تفرضها على مرور تجارة الحرير القادمة من الصين.

إزاء تصرفات جوستين اجتاح الفرس الحدود الشرقية وهزموا جيش الإمبراطورية واستولى على قلعة داراء وفى الوقت ذاته اقتحمت قبائل الآفار البربرية حدود الإمبراطورية الشمالية، كما اجتاح اللومبارديون ٥٧٠ م إيطاليا وفى منطقة البلقان اليونانية زاد تسلل السلاف.

أصيب جوستين بلوثة عقليه إزاء كل هذه المخاطر وتدهورت صحته وهنا تدخلت زوجته الإمبراطوره صوفيا ودفعت ٤٥ ألف دينار ذهبى للفرس مقابل عودة السلام. واقترحت على زوجها ان يتبنى أحد كبار القواد وهو طيباريوس

ليكون ولياً للعهد وتم ذلك في ٥٧٤م وهكذا أصبح طيباريوس الأول (تيبيريوس الأول).

تيبيريوس الأول ٥٧٨ - ٥٨٢م.

كان واقعياً في سياسته الخارجية واستطاع أن يكسب رضا الطبقات الدنيا والوسطى من شعبه ورفع رواتب الجند واسدل الستار على فكرة توحيد الإمبراطورية الرومانية ونجده يترك إيطاليا للومبارديون، ولم يعد للرومان أى ممتلكات هناك سوى سواحل إيطاليا الجنوبية.

لقد رأى أن الخطر الأوحى الذى كان يهدد الإمبراطورية هو الدولة الساسانية. وهكذا يمكن ان نتلخص سياسة تيبيريوس الأول فى أنه ضحى بالغرب من أجل نفاذ الشرق.

. وبالطبع لم يهدف ابداً إلى غزو بلاد الفرس وإنما كان يهدف الى عقد صلح مشرف معهم ودارت الحرب سجالاً معهم ولكن تحت ضغط هجوم الصقالبة على الاقاليم الرومانية الشمالية، اضطر إلى عقد صلح مهين مع الفرس نظير اتاوه كبيره لهم.

اختار بعدها زوج ابنته موريس (موريق Mauricius)^(٣٥) ليكون خليفته بعد وفاته.

- موريق ٥٨٢ - ٦٠٢م.

تركزت سياسته فى شراء السلام من الفرس بأى ثمن لكى يتفرغ لأنقاذ البلقان وآسيا الصغرى من الآفار والسلاف، وقد تمكن بالفعل من السيطرة على جبهة الدانوب عام ٦٠٢م.

(٣٥) المسعودى (ابو الحسن على بن الحسين بن على): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الجزء الأول، بيروت، ص ١١٠ حيث يسميه موريق.

أخذ تدابير حازمة لتقوية الهيكل الدفاعي للإمبراطورية، وجعل الولايات تعتمد على ذاتها في الدفاع عن نفسها لهذا جعل السلطة الإدارية في الولايات في أيدي العسكريين للتعامل مع أى خطر يطرأ وهكذا استطاع أن ينقذ ما تبقى للإمبراطورية من ممتلكات في الغرب وكون منهما ولايتين إحداهما رافنا والأخرى قرطاجه وجعل على رأس كل ولاية حاكم عسكري بدرجة Archon إرخون يجمع بين يديه السلطتين المدنية والعسكرية.

- أثارت سياسة ضغط النفقات وتخفيض رواتب الجند سخط الجنود والشعب عليه خاصة قوات جبهة الدانوب، واستغل قائد قواد هذه الجبهة ويدعى فوكاس غضب الجنود ليحقق حلمه في الجلوس على عرش الإمبراطورية فزحف بقواته على القسطنطينية، وهاجم القصر الإمبراطوري ونودي به امبراطوراً بعد قتله للإمبراطور واسرته.

- فوكاس Phocas ٦٠٢ - ٦١٠م،

أحدث اغتصابه للعرش انقساماً كبيراً في الداخل والخارج إذ في حين أعلن البابا جريجوريوس الكبير من مقره في روما مباركته لانقلاب فوكاس أعلن كسرى الثانى ملك فارس عدم إعترافه بالمغتصب بل وأنه سوف ينتقم لحليفه موريق.

- كان حكم فوكاس بمثابة الكابوس الذى جثم على صدر الإمبراطورية بغلظه إذ كان يجهل أساليب السياسة والحكم ولا يهتم سوى الاحتفاظ بالعرش.

- ولم يكد يجلس على العرش حتى اجتاحت الإمبراطورية ثورة عارمة بدأت في القسطنطينية كثورة طبقية اجتماعية ضد الأرستقراطية العسكرية والتي كان يؤيدها الزرق وقادتها الطبقة الوسطى من فلاحين وحرفيين وصغار الجنود والذين كان يؤيدهم الخضراء، وامتدت الثورة إلى الولايات في مصر

والشام وآسيا الصغرى وتحولت إلى ثورة دينية واجتماعية ضد أصحاب مذهب الطبيعيين التابعين لكنيسة القسطنطينية^(٣٦).

وفي وسط هذه الفوضى العارمة، نفذ كسرى الثانى ما أعلنه، وزحف بقواته تجاه حدود الإمبراطورية الرومانية الشرقية، فاستولى على أرمينيا، وسقط فى يده حصن «دارا» وفى عام ٦٠٧م اجتاحت جيوشه الشام وعانت فيها النهب، وعبرت جبال طوروس إلى آسيا الصغرى حيث وصلت إلى مدينة خلقدونية المواجهة للقسطنطينية على الجانب الآسيوى للفسفور وزاد الطين بله انتشار وباء الطاعون فى القسطنطينية حيث قضى على شطر كبير من السكان وخرج الجوع يهتفون بسقوط فوكاس وأعلنت حاميه انطاكية خروجها عن طاعته.

وأبحر على الفور هرقل أرخون قرطاجه إلى القسطنطينية ونجح بمساعدة كبار القادة ورجال الإدارة من أحداث انقلاب صامت، عزل بمقتضاه فوقاس وأعدمه واستقبل شعب القسطنطينية عام ٦١٠م هرقل بالترحيب وهتفوا به امبراطوراً لتشهد اسرته مرحلة تاريخية جديدة أهم ما ميزها كان ظهور الإسلام ويزوغ نجم العرب.

(٣٦) السيد الباز العرنى، مرجع سابق، ص ص ٣٧٦ - ٣٨٠.

آراء في سقوط الإمبراطورية الرومانية

الفصل السادس

آراء في سقوط الإمبراطورية الرومانية

رأينا خلال عرضنا السابق كيف ظهر النظام الإمبراطوري الروماني وكيف نشأت الإمبراطورية ثم غرجنا إلى مسلسل تطور النظام الإمبراطوري من القوة إلى الضعف ثم إلى الإنهيار فليست الإمبراطورية الرومانية ولا غيرها من الموجودات في الطبيعة لتناقض مع طبيعة الحياة ألا وهي التغيير.

ويأتى هذا الفصل بعنوان آراء في سقوط الإمبراطورية لختتم ما بدأناه ويهدف هذا الفصل لعرض ظروف المجتمع الروماني إبان القرنين الرابع والخامس الميلاديين التي أسهمت في إضعاف بناء الإمبراطورية وبالمثل سلطة الأباطرة عليها ومن ثم أدت في النهاية إلى السقوط والانهار كما يهدف أيضاً إلى عرض رأى الباحثين المهتمين بهذا الموضوع.

أولاً: ظروف المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس:

يمكن اعتبار ظروف المجتمع الروماني في القرنين الرابع والخامس الميلاديين إنما تعكس خمسة ظواهر هامة كفيلة بأسقاط أعنى القوى أو الإمبراطوريات أو النظم السياسية وهي كالتالى:

١- الفوضى الفكرية. ٢- اليأس السياسى. ٣- العسر الاقتصادى.

٤- الظلم الاجتماعى. ٥- التسلط البيروقراطى.

- وفى الواقع فقد نجم عن هذه الظواهر بروز طبقتين فى المجتمع الروماني لا ثالث لهما وهما: طبقة البروليتاريا الجائعة، وهى التى هاجمها

اليأس وبدأت فى البحث عن الخلاص من مشاكل العالم المادية فى دنيا السحر والخزعبلات مما أدى إلى تدنى الفكر والثقافة .

اما الطبقة الثانية، طبقة الارستقراطية الحاكمة التى تحكم فى المجتمع عن طريق الأجهزة البيروقراطية وعن طريق نظام الإقطاع الذى سيطرت به على الأراضى الواسعة بمن عليها من عبيد وفلاحين .

- ومع دخول المسيحية إلى المجتمع الرومانى أنضمت إليها طبقة البرولتاريات التى كانت دائمة البحث عن الخلاص واعتقدت أنها ستجده فيها، فى حين تمسكت طبقة الارستقراطية الحاكمة بالتراث الوثنى الذى سعدت بتطويره بالأفكار التى كانت تجمع بين الفلسفه والدين مثل الرواقية والقيثاغورية والافلاطونية المحدثه من أجل منافسة المسيحية التى اعتبروها حركة هدامة وخطراً على التراث القومى العريق، وهكذا تحولت طبقة الارستقراطية لتصبح مقاتله مدافعه عن وجودها ومكاسبها ضد الفقراء^(١) .

وما أن انتصرت المسيحية حتى ثبت ان الخطر كان كامناً بين عناصرها (الكنيسة) ولكن شهدت هذه الفترة مرحلة اكتمال قانون الإيمان المسيحى ووضع القواعد مثل تحديد يوم الأحد كيوم الرب، وتحديد عيد ميلاد المسيح Natalis Domini وهو السابع من يناير فى الشرق والخامس والعشرين من شهر ديسمبر فى الغرب، وتحديد عيد القيامة وقد رأى بعض المهتمين بالمصريات القديمة ان اختيار الخامس والعشرين من ديسمبر ما هو إلا استمرار للعيد المصرى القديم «يوم ميلاد رع» فهو كان اليوم الموافق لنهاية السنة المصرية القديمة^(٢) .

وسوف نتعرض الآن لظاهرتين من الظواهر الخمس السابق عرضهم .

(١) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٨٣ .

(2) Jaroslav Cerny, Ancient Egyptian Religion, 1952, London, pp. 148 - 149.

الأولي: الظلم الاجتماعي:

ما من شك ان المجتمع الرومانى فى هذه الفترة كان يعانى من ظلماً وصراً طبقياً شديداً وقد تسبب فى ذلك اختفاء الطبقة الوسطى وقد تحول المجتمع إلى طبقتين سبقت الإشارة إليهما، ووجدنا إن أفراد الطبقة الارستقراطية من النبلاء والأعيان ينسبون أنفسهم إلى الطبقة السيناتوريه وذلك بهدف الحصول على اعفاءات وامتيازات مثل الاعفاء من دفع الضرائب وآداء الخدمات الإلزامية والخدمات فى الجيش، وكان اللقب السيناتورى يعطيهم وحدهم حق تولى المناصب العليا.

ونظراً لأن السياسة الإمبراطورية فى القرنين الثالث والرابع كانت قد وضعت قانوناً يحرم على النبلاء العمل فى الصناعة والتجارة فقد كان معظم رجال الطبقة السيناتوريه من الإقطاعيين وقصر العمل فى الصناعة والتجارة على الحرفيين صغار التجار الذى لم يكن لهم دور يذكر فى اقتصاد الإمبراطورية^(٣)، وعمل النبلاء على استثمار أموالهم فى شراء الأراضى وكونوا اقطاعيات Latifundia التى يتوسطها البيت Villa الذى كان يتحكم فيه النبلاء فى كل شئ بما فى ذلك من زراعى Coloni وعبيد Servi وحرفيين^(٤).

وفى مجتمع الـ Villa كان العبيد هم أدنى الطبقات الاجتماعية، وعلى الرغم من ذلك فقد تحسنت أوضاعهم فى القرن الثالث إذ اعتبرتهم الإمبراطورية طاقة هامة لا غنى لاقتصادها عنها، ووصل الحال ان بعض الاقطاعيين قد منح عبيدهم قطعاً صغيرة من الأراضى يتوسطها كوخ يقيم فيه

(٣) راجع المقال القيم لـ أ. هـ. م. جونز، آراء فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٣، الجزء الأول، مايو ١٩٦١،

(٤) سيد أحمد الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، ص ٤٨٥.

العبد ويشرف منه على زراعة هذه القطعة وبذلك ظهرت طبقة عبيد الأكواخ، وقد حظر على العبيد جمع الثروات لأنفسهم.

وكان هناك اجراء زراعيون Coloni الذين كانوا عبيداً للمالك ولكن في نظر القانون كانوا احرار بالمولد وكانوا كالعبيد يملكون مع الأرض، وكان وضع الاجراء الزراعيون الاجتماعي ينتقل إلى أبنائهم فإين الأجير يجب أن يكون أجيراً وكان الفارق الوحيد الذي يميز الاجراء الزراعيون عن العبيد أنه كان من حق الاجراء امتلاك المال وتوريثه لأبنائه.

ونظراً لأن غالبية الاجراء كانوا من صغار الملاك فساءت أحوالهم بسبب ارتفاع قيمة الضرائب وقلة المحصول فعجزوا عن زراعة الأرض، وكانوا يسلمونها للاقطاعي نظير حمايتهم من ظلم جباة الضرائب وقد عرف ذلك بنظام الوصاية Commendatio.

- أما في المدن فلم يقتصر عمل العبيد على الأعمال المنزلية الوضيعة بل تعداه إلى أن أصبح المتعلمون منهم سكرتيرين ونساخاً وأمناء للمكتبات ومعلمين وأطباء لأبناء الأسرة، كما استخدموا بشكل منظم في انتاج احتياجات سادتهم فيما يشبه المصانع البدائية، بل وتعدوا هذا إلى المتاجرة بفائض هذه الاحتياجات^(٥).

وكان يسكن المدينة عادة طبقة كبار الموظفين خاصة الذين كانوا يتولون نيابه عن الإمبراطورية وفرضت عليهم الحكومة الإمبراطورية تولي عضوية المجالس البلدية Municipia وقد عرفوا باسم Curiales وأحياناً عرفوا باسم الديقوريون Decuriones^(٦)، وكما كان هؤلاء الموظفون ضحية لظلم النظام

(5) Scullard H. H., A History of the Roman World, London, pp. 185 - 190 ff.

(٦) سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، مرجع سابق، ص ٤٨٧.

الحاكم فقد وجدوا فى المزارعين الفقراء ضحية وكبش فداء فاستخدموا معهم ابشع الطرق من أجل تحصيل الضرائب المطلوبة لدرجة ان أصبح الـ Curialis مرادفاً لكلمة المتعسف.

الثانية: الفوضى الفكرية:

لقد طحن الفقر معظم الناس وبعدمهم تماماً عما يدور حولهم من تقلبات سياسية، وكما يحدث فى مجتمعات التخلف يلجأ الفرد الكادح إلى السحر والغيبيات هروباً من الواقع وبحثاً عن الخلاص، هذا الهروب Escapism للنفس الحائرة جعل الناس تقبل على ما نادى به المبشرين الذين لوحوا بنعيم يوم الآخرة.

ولقد تركت الرواقية تأثيراً عميقاً على فكر المثقفين بمبادئها بالأخوة العالمية والمساواة بين البشر وإيمانها بقوة الطبيعة وقانونها الأزلى الذى ينطبق على كافة البشر ومادام الموت يسوى بين كل الكائنات Mors Omnia Aequat فلا فائدة إذا من الفروق الطبقيّة الاجتماعيّة لأنها من صنع العالم المادى الوضعى وهو عالم محدود موقت (٧).

وهكذا تبلورت فلسفه جديدة تجمع بين الفكر الرواقى الصارم والروحانيّة الافلاطونية والرياضة الفيثاغورية فى قالب جديد يمزجها بالدين والفن

(7) Sabine G., A History of Political Thought, N.Y., 1964, p. 150.

وكذلك عثمان أمين، الفلسفه الرواقية، مكتبة الانجلوا المصرية، القاهرة، ١٩٧١، ص ٢٥٧ وما بعدها، وكذلك مجدى السيد أحمد الكيلانى، المدارس الفلسفية المتأخرة، مرجع سابق، ص ٣٠٩-٣٣٩، حيث أسهب فى غرض العلاقة بين الرواقية والمسيحية وأوضح ان الرواقية كانت خير تمهيد للمسيحية هذا على الرغم من اختلاف الرواقية عن المسيحية فى نقاط جوهرية أهمها المادية Materialism والحوليه Pantheism والقدرية Fatalism. Diogenes Laertius, VII, 56. قارن

الوثنى فيما عرف بالافلاطونية المحدثه Neo-Platonism ووجدت لها عشاقاً وتبناها الأباطرة كحركة مناوئة للمسيحية ونظراً لأنها كانت صعبة على الفهم فاتجهوا إلى الديانات الشرقية بروحانيتها ودعوتها للعالم الآخر متمثلة في عبادة مثرأ ورب الشمس الذى لا يقهر، وسبق وان تحدثنا عن عبادة مثرأ في سياق عرضنا للديانات التى ظهرت في الإمبراطورية الرومانية قبيل المسيحية وذلك في الفصل الثالث من مؤلفنا هذا والأن نعرض بشكل مبسط للافلاطونية المحدثه .

الافلاطونية المحدثه:

كان الفيلسوف الرومانى الأسىوطى «افلوطين»^(٨) هو أول من أرسى اتجاه اتحاد الفيثاغورية والافلاطونية والرواقية فى قالب دينى واحد من أجل أنقاذ تراث الوثنية الاغريقيه الرومانى وذلك فى كتابه «التاسوعات» Enneads الذى حاول فيه ان يوفق بين العالم المتيافيزيقى المجرد والعالم الأرضى المحسوس مستخدماً منطق الافلاطونية فى أن الحقيقة هى الفضيلة والفضيلة هى الروح .

على أى حال نجح افلوطين الفيلسوف المصرى فى أن يعرض فلسفته على الإمبراطورية الرومانية ومات افلوطين الفيلسوف عام ٢٧٠ م من جراء مرض اصاب فمه يرجح العلماء بأنه سرطان الفم، وقد مات تاركاً فلسفة دينية قوية لها عبادتها وبفضلهم ظلت مزدهرة حتى قرر الإمبراطور الشرقى جيسستيان اغلاقها مع سائر المدارس الوثنية عام ٥٢٩ م^(٩) .

(٨) ولد افلوطين فى مدينة ليكوبوليس بصعيد مصر ٢٠٥/٢٠٤ م ومصدرنا الأول عن حياته هو

كتاب فورفوريوس عن حياة افلوطين Porphyrius, Vita Plotini, III, 6-24 .

(٩) راجع فؤاد حسن زكريا، التاسوعة الرابعة لافلوطين - الدار القومية، ١٩٧١، القاهرة، وكذلك:

- Armstrong Hilary, J.H.S., Vol XCIII, 1973, pp 15-22, Also,

Dodds J., J.R.S., 1960, pp. 1 - 7.

المسيحية وطوائفها:

باءت كل المحاولات الوثنية والفلسفية بالفشل وذلك فى محاولتها القضاء على المسيحية التى برزت كمنافس خطير للافلاطونية المحدثه، وقد انتشرت المسيحية فى الوقت المناسب فهزت الإمبراطورية الرومانية، ولهذا حاولت الوثنية وانصارها الارستقراطيين سحق هذه الحركة.

تتلخص المسيحية فى الإيمان بالأب الذى هو الله والأبن المسيح والروح القدس Spiritus Sanctus الذى عن طريقه انجب الله المسيح من مريم العذراء وان الهدف من قدوم المسيح إلى العالم هو خلاصه، وقد جاء لخاصته ولكن خاصته (بنى اسرائيل) لم تقبله، فصلبوه، ولكنه قام فى اليوم الثالث خرج من القبر وصعد إلى السماء عند ابيه حيث يجلس عن يمينه ولن يعود المسيح إلى الأرض إلا قبل قيام الساعة حيث يقود الفقراء والمظلومين إلى المملكة السماوية التى سوف يحققها لهم هذا من ناحية العقيدة، أما من ناحية الواقع فإن المسيحية تقوم على التراث اليهودى والشريعة الموسوية، ولم تكن الأفكار العالمية التى جاءت بها المسيحية وحدها هى التى ساعدتها على الانتشار وسط ربوع العالم المسكون، بل لأن المسيحية تشربت بالأفكار الاغريقية واستخدمت اللغة الاغريقية العامية Koine ولم تستخدم الآرامية اللغة التى وعظ بها السيد المسيح نفسه.

- لقد دفعت الكنيسة ثمن عقيدتها بالدم وقاومت الاضطهاد ومن أشهر الاضطهادات التى مرت بالمسيحية اضطهاد تراجانوس عام ٩٨ م ثم اضطهاد فاليريانوس عام ٢٥٤ م وكان اعنفها جميعاً اضطهاد دقلديانوس.

- كانت المذابح التى انزلها دقلديانوس بالمسيحيين خاصة فى مصر رهبة حتى ان الكنيسة القبطية المرقسية فى مصر جعلت بدء تقويمها عام

٢٨٤ م وهى السنه التى تولى فيها دقلديانوس حكم الإمبراطورية ويسمى هذا التقويم بتقويم الشهداء^(١٠).

غير أن وصول الكنيسة إلى شاطئ الأمان كان بداية الانفجار بين طوائف المسيحية المختلفة وطلعت على السطح المتناقضات العنصرية والاجتماعية والفكرية التى اختفت فى القاع وقتها.

وكانت الكنيسة تتعرض لخطر الاضطهاد وتفكك عرى الكنيسة المسكونية الواحدة إلى طوائف وفرق متصارعة فظهرت الدوناتية والآريوسيه والمونوفتسيه والبلاجيوسيه والمانيخيه «اتباع مانى».

- وكانت دعوة «مانى» توفيقاً بين المسيحية والميثرائيه ومحورها هو الصراع الأبدى بين الرب الذى هو النور والمعرفة وبين الشيطان الذى هو الظلم والظلام^(١١) وقد وصف العهد القديم بأنه من صنع رب الظلام Ahriman بينما العهد الجديد من صنع رب الشمس والنور Ahura - Mazda، ولقد لقيت المانية هوى فى نفوس شعوب مصر والشرق الأوسط حيث ترك الظلم والاستغلال الرومانى بصماته.

- وكانت الدوناتيه من المذاهب التى دعت إلى الثورة والتى قادها «دوناتوس»، ودعت إلى وجوب تحرير العبيد واجبار الأسياد على القيام بدور العبيد كشرط للقبول فى الكنيسة، وبالرغم من إدانة الكنيسة الرومانية للدوناتيه إلا أنها بقيت مؤثره فى شمال افريقيا منذ عهد قنسطنطين حتى الفتح الوندالى

(١٠) مراد كامل، مرجع سابق، ص ٣١، ٣٢.

(11) Eusebius, The History of the Church from Christ to Constantine, Trans. by. williamson, Middlesex, 1965, pp. 319-320. .

لشمال أفريقيا عام ٤٢٩م، وقد استقبل الدوناتيون الغزاه الونداليون بالترحاب واعتبروهم محررين لهم من بطش الرومان وكنيستهم^(١٢).

- على ان الآريوسيه كانت اشد الطوائف المسيحية خطراً على الكنيسة فى روما لتجاوب منطقها مع المنطق العقلانى للشعوب الجرمانية التى اغارت على روما بل ان الإمبراطور قنسطنطينوس نفسه آمن بها وقد خرجت الآريوسيه من الاسكندرية.

- أما النسطوريه وهى نسبة إلى نسطور Nestor كبير اساقفه القسطنطينيه عام ٤٢٨م فقد قادته دراساته اللاهوتية إلى ان الطبيعة البشرية هى التى تطغى على المسيح حيث ان مريم العذراء ام المسيح من البشر.

- أما الطائفة البيلاجيوسية والتى أرجدها الراهب البريطانى المولد بيلاجيوس Pelagius فقد ذهب إلى ان الانسان مخير وليس مسير وبالتالى شك فى قدرة الإنسان ان يحرر نفسه من الشر والخطيئه بمشيئته الذاتيه وبناء على ذلك انكر فكره توارث الخطيئه منذ أيام آدم أبى البشر^(١٣).

ثانياً: تفسيرات المؤرخين القدماء والمحدثين لسقوط الإمبراطورية:

منذ أن سقطت الإمبراطورية الرومانية ومازال البحث جارياً من قبل المؤرخون وراء اسباب سقوطها وقد اختلفت الآراء بينهم حسب رؤية كل منهم وحسب المناخ الفكرى والسياسى الذى سيطر على العصر الذى عاش فيه. وربما كان أوزوالد شبنجلر الفيلسوف والمؤرخ الألمانى صاحب أحد أهم

(12) Neil S., A History of Christian Missions, 1964, London, p.

(١٣) سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٤٩٧.

هذه الآراء والتي ضمنها مؤلفه Decline of the West أو تدهور الغرب وهو من أشهر ما صدر في أوائل القرن العشرين ونهاية عام ١٩١٨ وهو كتاب لا يمكن ان نسبغ عليه صفة البحث العلمى المنظم وذلك نظراً لاتساعه الهائل إذ يتحدث فيه عهن جوته وبرنارد شو وانيشتاين، كما يتحدث عن الفن الصينى والنحت الاغريقى والموسيقى وتحدث ايضاً عن علمى الاحياء والرياضيات^(١٤).

- يعتمد شبنجلر فى كتابه على مقارنة الحضارات بعضها ببعض، ويجزم شبنجلر ان حضارة العصر الحديث فى طريقها إلى التدهور كما تدهورت حضارات سابقه، فالحضارة هى نشاط انسانى خلاف مرتبط بالإنسان الذى يولد ثم ينضج ثم يموت، وبالتالي فلا بد من ان تمر الحضارة بنفس المراحل، وهو يقسم التاريخ إلى حضارات هى حضارة ابولو وحضارة السحر وحضارة فاوست التى يقع ضمنها حضارة عصرنا الحديث.

- واتفق ارنولد توينبى فى كتابه A Study of History «أو بحث فى التاريخ» مع شبنجلر فى كراهيته للمؤرخين الذين يكتبون وكأنهم يقفون خارج التاريخ.

• أما فكرة ارنولد توينبى فهى تتلخص فى مبدأ «التحدى ورد الفعل» Challenge and Reaction فهو لا يعتقد ان البشر يزدهرون فى اسهل الظروف بل على العكس يزدهرون فى الظروف الصعبة التى تتحداهم وكلما ازداد التحدى صار البشر الذين يواجهونه اشد عظمه، كما رأى توينبى أيضاً ان تدهور الحضارات انما يرجع إلى الكلمة اليونانية Hybris التى تعنى الزهو أو الغرور والكبر والانانية. إذ رأى أنه بعد التحول من النظام الجمهورى إلى

(١٤) حسين الشيخ، الرومان، مرجع سابق، ص ١٥١.

الإمبراطورى بدأت الإمبراطورية الرومانية فى النمو بسرعة حتى وصلت إلى قمة نضوجها وقوتها وهنا بدأت لا تستجيب تماماً للتحديات الداخلية أو الخارجية بعد ان كانت فى مرحلة تكوينها قد استجابت لكل التحديات بنجاح كبير، فى حين فشلت الإمبراطورية فى مواجهة تحدى البروليتاريا الداخليه وهى الجماهير العادية كما فشلت فى مواجهة تحدى البروليتاريا الخارجية مثل الفرس والجرمان والعرب وقد أدى عجز الحكومة الرومانية عن الاستجابة للتحديات الداخلية والخارجية إلى انهيار الإمبراطورية^(١٥).

وقد رأى أيضاً ان تلك الإمبراطورية سقطت لأنها عجزت عن منافسة الكنيسة لأن الكنيسة تولت الزعامة وكسبت ولاء الناس لها، بينما فشلت الإمبراطورية فى الفوز بهذا أو ذاك^(١٦).

أما المؤرخ إدوارد جيبون Edward Gibbon فقد رأى فى كتابه الشهير «اضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية، أن تدهور روما واضمحلالها كان نتيجة طبيعية وحتمية، فالرفاهية التى عاشها الرومان اثمرت مبدأ الاضمحلال. ولقد تضاعفت عوامل الدمار بامتداد الغزو وتوسع الإمبراطورية، ويرى جيبون متفقاً فى ذلك مع توينبى ان الديانة المسيحية كانت من أهم أسباب سقوط الإمبراطورية الرومانية لأنها قضت على العبادات القديمة التى كانت الدعامة الخلقية للرومان، كما انها ناصبت الثقافة القديمة العداء، فحاربت العلم والفلسفه والأدب والفن واتت بالتصوف الشرقى الواهن بدلاً من الفلسفه الرواقية التى كانت متغلغله بواقعيتها فى الحياة الرومانية، وحولت أفكار

(15) Toynbee A., A Study of History, A, Bridged Edition, Oxford, 1962, pp. 402 - 412

(١٦) ارنولد توينبى، مختصر دراسة التاريخ، ترجمة محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غريال، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١٨ - ٢٥.

الرومان عن واجباتهم واغرتهم بالجري وراء النجاة الفردية عن طريق الزهد والصلاة، وشجعت اتباعها على الامتناع عن أداء الخدمة العسكرية ويعد هذا كله انتصاراً للمسيحية.

والواقع ان ذلك الرأى قد وصمه الكثير من المؤرخين بالضعف ومنهم «بينز» الذى قال ان ذلك الاتهام الموجه للديانة المسيحية انما يعود لأيام القديس أوغسطين ٣٥٤-٤٣٠ م بعد سقوط روما فى أيدى الليرك ملك القوط الغربيين ٤١٠ م (١٧).

ولا يقل رد المؤرخ «كولتون» إقناعاً عن رد باينز إذ ذكر ان المسيحية كانت كسباً حقيقياً للإمبراطورية الرومانية فالمجتمع الرومانى كان قد وصل إلى مرحلة تنفّس فيها الانحلال والمساوى فى الوقت الذى تدهورت فيه الأصالة فى الآداب والعلوم والفنون وعهد بأمر الدفاع عن الإمبراطورية إلى الجرمان والمقبريرين (١٨).

- وهناك المؤرخ ج ليبيج J. Liebig واتباعه الذين أرجعوا تدهور الإمبراطورية إلى أسباب اقتصادية ففى رأيهم ان الأرض الزراعية أصابها الضعف والانهاك يوماً بعد يوم واستنفذت قدرتها على الإنتاج، ولم يعد الفلاح يستطيع أن يعتمد عليها فى كسب عيشه وقد رفض روستوفتزف ذلك الرأى على أساس أنه إن كان هذا الرأى قد يصدق على بعض اجزاء اليونان وايطاليا

(17) Baynes Norman H., Decay of The Western Power and its Causes. in Universal History Without of the World ed. by Hammerton J.A., Vol, 4, London, without date, p. 2233.

(١٨) كولتون ج.ج، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية، ١٩٦٧، ص ص ٤٦ - ٤٧.

فلا يمكن ان نعممه كظاهرة وأرجع انهاك القريه إلى قطع الغابات واهمال
صرف المياه في ايطاليا^(١٩).

وقد رأى المؤرخ الروسى ميخائيل روستوفتزف فى كتابه تاريخ
الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، أن لانحلال الإمبراطورية
الرومانية وسقوطها وجهين:

أولهما سياسى واجتماعى واقتصادى، وثانيهما ثقافى، فمن الناحية
السياسية اصطبغت تلك الإمبراطورية فى الداخل بصبغة همجية خاصة فى
الشاطر الغربى منها وقد وصل الجرمان فى القرنين الثالث والرابع إلى مناصب
عالية فى كل من الحكومة والجيش إما عن طريق التغفل السلى أو عن طريق
الغزو.

ومن وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية رأى روستوفتزف أن العالم
القديم قد عاد تدريجياً إلى أشكال بدائية من الحياة الاقتصادية، فالمدن التى
كانت مزدهرة انحطت تدريجياً واختفى أغلبها اختفاءً يكاد يكون تاماً، أما
النظام الاجتماعى فقد سار فى نفس الطريق المؤدية للانحلال.

ومن وجهة النظر الثقافية فقد لوحظ انحلال حضارة المدن فى العالم
اليونانى والرومانى، فالمدن اليونانية التى شهدت إنتصارات عظيمة فى
مجالات العلم والأدب والفن بدأ الانحلال يسرى فى أوصالها منذ القرن الثانى
قبل الميلاد.

(19) Rostovizeff M., Social and Economic History of the Roman
Empire, Vol I, pp. 374 - 377.

والترجمة العربية، ميخائيل رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى
والاقتصادى الجزء الأول، ترجمة ومراجعة زكى على، محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٧،
ص ص ٤٤٤-٤٤٥.

ويخرج رستوفزف من مجمل عرضه إلى أن الطابع البارز في إنهيار الحضارة الرومانية هو احتواء الطبقات السفى للطبقات العليا فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والدينية فى القرن الثالث الميلادى، وفى النهاية طغى طوفان من العناصر البربرية الآتية من الخارج عن طريق التغلغل السلمى أو الغزو فأغرق تلك الحضارة.

أما المؤرخ نورمان باينز Norma H. Baynes فقد درس مختلف النظريات التى قالت بها شتى المدارس التاريخية حول إنهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوروبى تحديداً. فى مقاله «اضمحلال النفوذ الغربى وأسبابه Decay of the Western Power and its Causes».

ويعد أن قام بالرد عليها يخلص لنا برأيه الذى تمثل فى أن سبب سقوط الإمبراطورية هو كثرة اعتماد الأباطرة الرومان على الجرمان مما أرق خزلنة الدولة لدرجة أنها لم تصبح قادرة على الوفاء بطلبات الجيش والأسطول وبالتالي خرجت بريطانيا من تحت سيطرة الإمبراطورية كما وقعت أغنى أراضي بلاد الغال فريسة فى أيدي القوط وتسلم الوندال أفريقية ففقدت روما بذلك هيمنتها على البحر المتوسط، كما حمل نورمان باينز الطبقة الأرستقراطية الرومانية وزر سقوط الإمبراطورية إذ رأى أنها لم تساند الإمبراطورية فى عثرتها الاقتصادية رغم كل ما تمتعت به من ثراء⁽²⁰⁾.

ورأى المؤرخ الفرنسى فرديناند لوت Ferdinand Lot فى كتابه «نهاية العالم القديم وبداية العصور الوسطى»، أن الجرمان لم يحطموا الإمبراطورية الرومانية فى الغرب وإنما يعود سقوط الإمبراطورية إلى ما كانت تعانيه من

(20) Baynes Norman H., Decay of the Western Power and its Causes, op.cit., pp. 2233 - 2234.

أمراض داخلية والتي فشلت في علاجها بسبب ما تبنته من سياسة جامدة وبالتالي لم تستطيع أن تهرب من مصيرها المحتوم^(٢١).

أما المؤرخ كاتز Katz فقد رأى في كتابه «أقول روما ونشأة أوربا العصور الوسطى، أن إنهيار الإمبراطورية أتى تدريجياً وأنه من المستحيل أن نعطي أولوية لعامل بعينه ليكون سبباً في تفسير سقوط الإمبراطورية وإنما رأى أن كل العوامل مجتمعة متفاعلة كانت سبباً في سقوط الإمبراطورية. بل وهاجم Katz أصحاب التفسير العنصرى لسقوط الإمبراطورية وهو أن التدهور كان نتيجة لاستنزاف العنصر الروماني الراقى بسبب الحروب المتعاقبة وبسبب الانخفاض المتلاحق في معدل المواليد بين الرومان الخالصين، ويتساءل من قال أن الحروب المتلاحقة أهلك العنصر الروماني وحده ؟ خاصة إننا نعرف أن الرومان بدأوا يعزفون عن دخول الجيش الروماني منذ عصر أغسطس نفسه، كما أن الحضارة الرومانية والثراء الروماني لم يكن من خلق العنصر الروماني وحده بل لقد ثبت أن الأباطرة الذين انخرطوا من عناصر غير رومانية كانوا أصدق وأخلص بكثير من غيرهم الذين ينخرطون من عرق روماني خالص، كما أن الافتراض القائل بأن الرومان الخالصين كانوا يضربون عن الإنجاب أو عن الإكثار من الإنجاب هراء إذ ليس هناك من دليل على أنهم كانوا يريدون لعنصرهم أن يقرض^(٢٢).

وقد هاجم «بيوري» هذا الزعم مؤكداً أنه لا يوجد أي دليل على أن تعداد سكان إيطاليا في القرنين الثالث والرابع كان أقل تعداد إبان القرنين الأول

(21) Lot Ferdinand, The End of the Ancient World and the Beginings of the Middle Ages, London, 1931, p. 236.

(22) Katz, The Decline of Rome and the Rise of Medieval Europe, Corneil, 1963, p. 72 - 77.

والثانى الميلادى وردد ما رده كاتز فيما بعد بأن موجات الأوبلة التى عصفت بسكان الإمبراطورية لم تكن بالخطيرة لدرجة أن نعزى إليها تدهور واضمحلال الإمبراطورية الرومانية^(٢٣).

ومن الذين ذهبوا إلى أن دمار الاقتصاد فى الإمبراطورية أدى إلى تدهورها وسقوطها المؤرخ الفرنسى أندريه بيجانيول André Piganiol الذى لخص السبب فى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد وهم الطاقة الأساسية لأعمال الإنتاج الزراعى، ثم الحروب الأهلية وأعمال التمرد المتعددة التى قام بها القادة ومحاولتهم الانفصال والاكتفاء ذاتياً بمقاطعاتهم مما أدى إلى عودة النظام الاقتصادى البدائى ثم تدهور مركز روما التجارى الدولى بسبب فقدانها السيطرة على الطرق الدولية للتجارة نتيجة لظهور الفرس كقوة جديدة فى منطقة الخليج والشرق الأوسط، فقد أورد بيجانيول رعونة الدولة فى إدارة اقتصادها عندما حاولت التدخل فى المشروعات وقامت بدور الرأسمالى المستغل الذى يجند العمال إجبارياً ويفرض عليهم الضرائب الباهظة مما أدى إلى الهروب الجماعى أو تسليم الفلاحين لأراضيهم مثلاً إلى الإقطاعيين الذين كان معظمهم لا يدفعون الضرائب نظراً لمراكزهم الاجتماعية العالية^(٢٤).

وقد رأى أيضاً أن بعث الإمبراطورية الفارسية فى الشرق أغرق الإمبراطورية فى حروب باهظة ومكلفة فاضطرت إلى رفع الضرائب لتعويض نفقات الحرب فتدهور الاقتصاد بينما فشلت الإمبراطورية فى مقاومة الغزاة.

(23) Bury J. B., History of the Late Roman Empire 395 - 565 A.

D., vol. I, London, 1923, pp. 308 - 318.

(24) Piganiol André : L'Empire Chrétien, Paris, 1947, pp. 411 -

422.

وقد أكد «رولبانك» على مسئولية الإقطاع الذى كان مرجعه إلى نقص الأيدى العاملة خاصة العبيد، فضلاً عن الاعتماد على بدائية الوسائل المستعملة فى الإنتاج مما جعل العمل مرهقاً والمحصول ضئيلاً بينما الضرائب باهظة، فبدائية طرق الإنتاج هو الذى أدى إلى خراب اقتصاد الإمبراطورية ومن ثم إلى سقوطها^(٢٥).

ونجد «وسترمان» يعتبر أن قتل الاقتصاد الحر والقضاء على المشروعات التى يقوم بها الأفراد هو الذى قضى على الاقتصاد وذلك بعد تفويض الطاقة المنتجة^(٢٦).

وقد رأى بعض المؤرخين أن السبب هو أن التجارة الدولية لم تكن فى صالح الاقتصاد الرومانى ومنهم شتراير ج. ومينرود. وإينيس ميللر^(٢٧)، وقد رفض وسترمان هذه الفكرة مدلاً على أن التجارة مع الهند وبلاد العرب التى تحدث عنها بلينى فى كتابه «التاريخ الطبيعى» Historia Naturalis كانت فى صالح روما بقدر ما كانت فى صالح بلاد العرب والهند^(٢٨).

(25) Walbank F. W., The Awful Revolution. The Decline of the Roman Empire in the West. Liverpool Univ. Press, 1969, p. 2. ff.

(26) Westerman W., "The Decline of Ancient Cultures". The American Historical Review, 1919.

(27) Strayer J. and Munro D., The Middle Ages 395 - 1500, N. Y., 1942, p. 6 - 7. Cf. Millar Innes, The Spice Trade of the Roman Empire 29 B.C. to 641 A.D.; Oxford, The Clarendon Press, 1969, p. 227 - 241.

(28) Pliny, Historia Naturalis, vol. VI, 101 also Westerman W., Op. cit., p. 370.

أما جونز فقد رأى أن سبب سقوط الإمبراطورية هو هجمات الشعوب المعادية مثل الجرمان والهون والفرس والعرب ولا يرى أن الاقتصاد هو السبب الرئيسى أو حتى الأكثر أهمية فى سقوط الإمبراطورية، وقد شرح جونز نظريته بأن السبب المباشر لسقوط الإمبراطورية الغربية هو هزيمتها على يد القبائل البربرية الجرمانية، فضلاً على أن هؤلاء البرابرة قد فرضوا على الإمبراطورية حملاً ثقيلاً فى تكبد نفقات باهضة وقد دافع جونز عن نظريته القائلة بأن تدهور القوة العسكرية كان هو السبب الأساسى فى تدهور الإمبراطورية. كما ألقى اللوم على المسيحية لأنها ساعدت على تزايد الإحساس السلبي إما بإزجاج كل ما يحدث إلى إرادة الله التى يريد بها امتحان المؤمنين فى التحمل، أو إلى دعوتها لرجالها بالابتعاد عن تولى الوظائف الحكومية تفادياً للخطيئة وحتى لا يوقع الأذى بالآخرين، مما حرم الإدارة من عنصر نظيف فى وقت سادت فيه الرشوة كل قطاعات الإدارة وقد وجد بعض الباحثين تشابهاً بين رأى جونز ورأى إدوارد جيبون^(٢٩) الذى فسر به تدهور وسقوط الإمبراطورية والذى أتى فى الجزء الرابع من كتابه حيث يشير إلى أن الإنحلال الذى أخذ يدب فى الإمبراطورية بعد موت ماركوس أوريليوس عام ١٨٠م مرجعه تفاقم الخطر الناجم عن الهجمات البربرية وأن انتصاراتها زعزعت الإيمان بالإمبراطورية فى الداخل وكسرت هيبتها فى الخارج كما حمل جيبون المسيحية وزر كل ما حدث إذ اعتبرها عاملاً هداماً لكافة القيم الاقتصادية والعسكرية والسياسية^(٣٠).

(٢٩) سيد أحمد على الناصرى: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٥٠٤.

(30) Gibbon Edward, Decline and Fall of the Roman Empire, vol. IV, London, 1901, pp. 160 - 163.

هذا وقد انتقد المؤرخون الألمان آراء جيغون على أساس أن القبائل الجرمانية التي هاجمت الإمبراطورية دفعوا إلى ذلك دفعاً بسبب إجتياح قبائل الهون وإن هدف الجرمان كان هو الاحتماء داخل حدود الإمبراطورية وليس العدوان عليها. وقد عرفت الإمبراطورية الجرمان منذ وقت طويل وكان الجرمان يحظون باحترام الرومان وتقديرهم لدرجة أن تاكيتوس وقد أشاد بهم ووصفهم بالشجاعة وامتدح فضائل نسائهم وفضلهن على النساء الرومان⁽³¹⁾.

ويطلعنا المؤرخ لايسنر Laistner في كتابه «فكر وآداب الغرب الأوربي من ٥٠٠ إلى ٩٠٠، على رأيه موضحاً أن غزوات الجرمان لم تكن الطوفان المفاجئ الذي أجتاح الإمبراطورية الغربية وأودى بها، ذلك أن اضمحلال الإمبراطورية وسقوطها كانا عملية تدريجية بطيئة استمرت حوالى قرنين من الزمان وربما كان من الممكن أن تسير تلك العملية مسيرة أبطأ، لولا غزوات قبائل الهون المتبريرة التي أفزعت المجتمع الرومانى⁽³²⁾.

وقد صور هودجكين Thomas Hodgkin في كتابه «إيطاليا وغزواتها، سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب قائلاً «لقد سقطت الإمبراطورية الرومانية في الغرب الأوربي لأنها استنفذت الغرض التي قامت من أجله وحين الوقت الذي يجب فيه أن تزول بعد أن شاخت وهزمت، لقد كان قيام تلك الإمبراطورية وامتداد نفوذها إلى كل بلاد العالم المتحضر نعمة جليلة للبشرية، وعلى قدر تلك النعمة كان حكمها الطويل نقمة رغم سلسلة الأباطرة المصلحين الذين اعتلوا عرشها مثل تراجانوس ٩٨ - ١١٧م وماركوس أوريليوس ١٦١ - ١٨٠م؛ لقد منححت تلك الإمبراطورية جميع شعوب البحر

(31) Strayer J. and Munero D., Op. cit., pp. 25 - 8.

(32) Laistner, Loc. it., p. 24.

المتوسط السلام ومهدت لانتشار المسيحية ولكن بعد أن طال الأمد بها سلبت تلك الشعوب حريتها وعموماً فقد قام بناء الإمبراطورية وسقط في النهاية وهذه إرادة الله ولا راد لقضائه وحكمه، (٣٣).

وقد تناول سيدنى بينتر Sidney Painter فى كتابه «تاريخ العصور الوسطى، تدهور وسقوط الإمبراطورية الرومانية فى سطور قليلة قائلاً، إن ازدهار الإمبراطورية المادى والحضارى كان قد بدأ السير فى طريق الأفول قبل أن يقتحم الجرمان والمتبريدون حدود الإمبراطورية فى أعداد هائلة وكل ما فعله أولئك الجرمان أنهم عجلوا بأمر كان قد بدأ فعلاً.

ويذكر المؤرخ كلوف Clough وآخرون فى كتابهم «تاريخ العالم الغربى، أن الغزوات البربرية كان لها تأثير فعال على خيال المؤرخين المعاصرين لأحداثها لدرجة جعلتهم يقررون أن البرابرة كانوا سبب القضاء على الإمبراطورية الرومانية، ولكن الباحثين المحدثين رفضوا أى تفسير بذاته. ذلك أن أزمات الإمبراطورية الرومانية المتأخرة ترجع إلى عوامل متداخلة داخلية وخارجية (٣٤).

وقد خالف دى بورج De Bourgh مدارس المحللين فى تحليله السياسى لسقوط الإمبراطورية وذلك أنه اتبع المنهج المباشر الذى لا يبحث عن جذور التحلل العميقة بل يعتبر إصلاحات دقلديانوس هى نقطة التحول نحو الانحدار والسقوط وهى نقطة أخذ بها كثير من المؤرخين من غير أصحاب النظريات، وفحوى نظريته أن إصلاحات دقلديانوس جاءت بعكس المطلوب فهو مثلاً

(33) Hodgkin Thomas, Italy and her Invaders, Oxford, Vol. II, pp. 532 - 533.

(٣٤) محمد محمود الحويرى : مرجع سابق، ص ١٩٠.

فصل بين السلطتين العسكرية والمدنية، ولكن ذلك أدى إلى إرباك الوضع الداخلى وخلق ثغرة فى الجهاز.

كما أن تقسيم الإمبراطورية إلى أربعة أقاليم وتقسيم كل إقليم منها إلى عدد من الوحدات الإدارية خلق ارتباكاً فى الإدارة وعرقل المصالح الحكومية وساعد البيروقراطية على التضخم لتصبح آفة قاتلة متغلغلة فى إدارات الإمبراطورية وفى أعداد الموظفين التى ملكت الأجهزة الجديدة المعقدة .

وقد ألقى دى بورج على دقلديانوس مسئولية الإنهيار الاقتصادى لأنه جعل الصناعات والحرف التجارية تحت الإشراف الحكومى المباشر بل وجعل هذه المهن وراثية محولاً بذلك نقابات الحرفيين وجمعياتهم إلى أجهزة خدمات تابعة للدولة فقتل الإبداع، وتحولت طاقة الإمبراطورية إلى الجمود والتحجر، كما أنه لم يحاول تخفيف عبء الضرائب عن الطبقات الكادحة المنتجة مصدر السخط والثورة^(٣٥) .

كما أن هناك فريق من المؤرخين يعزون تدهور الإمبراطورية إلى تقلبات مناخية تولد عنها نكبات أصابت المحاصيل الزراعية بسبب الجفاف ويشير هنتجتون Huntigton إلى أن الإحصائيات تبين أن العالم تعرض فى الفترة ما بين ٢٠٠ - ٤٠٠م إلى فترة جفاف مريرة نتج عنها مجاعات وهذه المجاعات أدت إلى الثورات^(٣٦) .

(35) De Burgh W., the Legacy of the Ancient World Middle Sex, 1953, Vol. II, p. 390.

(36) Huntigton Ellsworth, "Climatic Change and Agricultural Exhaustion as Elements in the Fall of Rome", Quarterly Journal of Economics, 1916.

ويعزى سيمكوفيتش Simkhovitch سقوط الإمبراطورية إلى الإفلاس الزراعى الناتج من إنهاك التربة وإهمال الحكومة فى أى مشروعات لتحسين الزراعة والصرف والرى وقلة الإنتاج وزيادة التكاليف وبهاظة الضرائب مما شجع الناس على ترك المزارع فتحولت إلى مراعى، وقد لوحظ ذلك من قائمة الأسعار التى أصدرها دقلديانوس حيث لوحظ هبوط سعر اللحوم^(٣٧)، بينما ارتفعت أثمان المحاصيل الزراعية، ويضيف سيمكوفيتش إلى ذلك تفاقم خطر الأوبئة التى راح منحيتها الآلاف من سكان الريف مما نتج عنه النقص الشديد فى الأيدى العاملة خاصة فى مجال الزراعة.

وقد اعترض على هذا التفسير المؤرخ باينز مبيناً أن الدمار الزراعى لم يلحق بكل ولايات الإمبراطورية وإنما ببعضها فقط وضرب مثلاً ببلاد الغال حيث بقيت زراعتها مزدهرة حتى القرن الخامس الميلادى ولكنه يلقى اللوم على نظام إدارة الأراضى الزراعية. وذلك أن أصحاب الإقطاعيات الكبرى Latifundia تركوا زمام الإدارة إلى وكلائهم وبقوا هم فى المدن يعيشون من دخلها فنتج عن ذلك إهمال هؤلاء الوكلاء وعدم حرصهم على رفع الإنتاج أو المستوى الزراعى للأراضى الزراعية^(٣٨).

وفيما يخص آراء القدماء من المؤرخين فى سقوط الإمبراطورية، ففى ظل جو التوتر الدينى بين الوثنية والمسيحية تبادل مؤرخو كل من الفريقين التهم

(37) Simkhovitch G., "Rome's Fall, Re-Considered" Journal of Political Science, 1916.

(38) Baynes Norman, "The Decline of the Roman Empire in Western Europe", Journal of Roman Studies, 1943, Cf.

سيد أحمد على الناصرى، تاريخ الإمبراطورية السياسى والحضارى، مرجع سابق، ص ٥٠٠.

فقال زوسيموس Zosimus أحد كبار مؤرخي القرن الخامس ومؤلف «موسوعة التاريخ الجديد، أن المسيحية هي المسئولة عن تدهور الأحوال الاقتصادية في الإمبراطورية وأن سقوط روما على يد الليرك هو رد فعل لغضب الآلهة الوثنية التي وضعت روما وبنيت عظمتها ثم ألقى اللوم على الإمبراطور قسطنطين بأن المسئول الأول عن هذا السقوط لأنه دحر الوثنية وأحل المسيحية محلها.

وقد تلقف الأخلاقيون المسيحيون القضية فأعلن سالفيانوس في كتابه De Gubernatione Dei «عن حكومة الله، أن الله وحكومته ضد أي إعوجاج خاصة الأخلاق، وقد فسر سقوط الإمبراطورية بأنه عقاب من الله بسبب الخطايا والضلال والانحراف الذي يعيش فيه الرومان، أما القديس أوغسطين مؤلف كتاب «مدينة الله، فقد ذهب بأن سقوط روما - التي شبهها بسقوط بابل كما جاء في التوراة - هو نتيجة الإرادة الإلهية التي تدير الكون وتوجه مصائر البشر حتى تنتصر مملكة الله الأبدية وهذا مصير كل الدول والبشر»^(٣٩).

أما المؤرخ الوثني المتسامح أميانوس ماركيلينوس Ammianus Marcellinus المولود عام ٣٣٠م في أنطاكية فقد نسب المصائب التي حلت بالرومان إلى انعدام الوازع الأخلاقي عندهم^(٤٠).

وأخيراً يتناول يوحنا أسقف نيقية نفس الفكرة الأخلاقية في العصر البيزنطي ليشرح سبب انتصار العرب على الرومان بعد فتح عمرو بن العاص لمصر فإن ذلك تم عقاباً على ما اقترفه جستينيان وهرقل أباطرة بيزنطة من اضطهاد الأقباط الأرثوذكسيين في مصر.

(39) St. Augusttine, The City of God, Translated and Abridged by G. Walsh and Others, N. Y., 1958, pp. 16 - 31.

(40) Ammianus Marcellinus, Translated by J. Rolfe, Cambridge, 1935, XVI.

هذا وإن جاز لنا في هذا الخضم الهائل من الآراء أن ننحاز إلى رأى مما سبق. فأننا ننحاز إلى المدرسة الشمولية التى رأت أنه لا يجوز الأخذ أو المناداة بعامل واحد بعينه دون الآخر فكل العوامل كانت متداخلة وكلها تكاثفت وأدت إلى سقوط الإمبراطورية مع تسجيل تحفظنا على آراء المؤرخين الذين رأوا فى المسيحية عاملاً لعب دوراً أساسياً فى سقوط الإمبراطورية وذلك على أساس قناعتنا التامة بأن الأديان السماوية لم تكن فى يوم أبداً على مر العصور سبباً فى سقوط أو إنهيار وإنما هى دائماً مشجعة ودافعة نحو الأفضل ولكن يبدو أن الإمبراطورية الرومانية لم تستطيع تفهم المسيحية أو التشبع بمبادئها فقد حاولت إما التخلص منها أو توظيفها لخدمة أهداف الإمبراطورية السياسية.

والله المستعان....

ملاحق الدراسة

(*) أعتمدت بشكل أساسي في ملاحق وخرائط ورسوم هذه الدراسة على ما ورد لدى أ.د/ حسين الشيخ في مؤلفه، «الرومان»، مرجع سابق، نظراً لشموليّتها وتنوعها الذي يخدم موضوع الدراسة.

ملحق رقم (١) جدول تاريخي لأهم الأحداث في العالم الروماني

أول استقرار على تل البلاتين.	عام ٨٠٠ ق.م
تأسيس روما. وفي الفترة المتأخرة من القرن الثامن بدأت الحركة التوسعية اليونانية لاحتلال صقلية والتمركز في جنوبي إيطاليا	٧٥٣
تأسيس قرطاجة	٧٢٥ - ٧٠٠
سيطرة الاتروسك تمتد إلى إقليم لاتيوم وكامبانيا ووادي نهر البر	٦٠٠ - ٦٠٠
نهاية سيطرة الاتروسك في روما. نهاية الملكية. تعيين أول قنصل	٥٠٩
انشاء وظيفة الكسور	٤٣٥
انشاء وظيفة التربيون	٤٢٦ - ٤١٧
هجرة الكلتيين إلى وادي البر	٤٠٠
غزو الغال لروما	٣٩٠ أو ٣٨٧
انشاء وظيفة البرايطور	٣٦٦ أو ٣٦٢
الحرب السمنية الأولى	٣٤٣ - ٣٤١
حرب اللاتين	٣٣٨
الحرب السمنية الثانية	٣٢٦ - ٣٠٤
الحرب مع الاتروسك	٣٠٩ - ٣٠٨
تحالف روما مع قرطاجة	٣٧٩
الحرب البونية الأولى	٢٦٤ - ٢٤١
غزو روما لأفريقيا	٢٥٦ - ٢٥٥
هاميلكار في إسبانيا	٢٣٧
هازدروبال يخلف هاميلكار في إسبانيا	٢٢٩
هانيبال في إسبانيا	٢٢١
الحرب البونية الثانية	٢١٨ - ٢٠١
تحالف هانيبال مع فيليب الخامس المقدوني. الحرب المقدونية الأولى	٢١٥

سكيبيو يغزو أفريقيا	٢٠٤
موقعة زاما ونهاية قرطاجة	٢٠٢
الحرب المقدونية الثانية	١٩٦ - ٢٠٠
الحرب المقدونية الثالثة	١٦٧ - ١٦٩
الحرب البونية الثالثة	١٤٦ - ١٤٩
الحرب المقدونية الرابعة	١٤٨ - ١٤٩
مقدونيا تتحول إلى مقاطعة رومانية	١٤٨
تدمير قرطاجة وأفريقيا تصبح مقاطعة رومانية	١٤٦
جايوس جراكوس تريبونا	١٢٣ - ١٢٢
ديكتاتورية سلا	٨٢ - ٨١
بومبي قلدا في أسبانيا	٧٧ - ٧١
أول قنصلية لبومبي وكراسوس	٧٠
شيشرون قنصلا - مؤامرة كاتالينا	٦٣
قصر قنصلا	٥٩
موقعة فارسالوس. موت بومبي	٤٨
حرب الاسكندرية	٤٨ - ٤٧
اغتيال يوليوس قيصر	٤٤
أوكتافيان قنصلا	٤٣
موقعة اكتيوم	٣١
موت أنطونيوس وكليوباترا. مصر مقاطعة رومانية	٣٠
أوغسطس	٢٧ - ١٤ م
تييريوس	١٤ - ٣٧ م
جايوس كاليغولا	٣٧ - ٤١ م
كلوديوس	٤١ - ٥٤ م
نيرون	٥٤ - ٦٨ م

ملحق رقم (٢)

تعريف ببعض الأسماء والوظائف والإصطلاحات الواردة في الدراسة

Aedile

(الأيديل) موظف عمومى فى المدينة يشرف على المنشآت العامة والأسواق ونظم المرور وامتداد المدينة بالمياه، وتوجد هذه الوظيفة فى البلدان أيضا .

Ala

(آلاى) فصيلة من الفرسان يصل عددها بعد عصر أوغسطس إلى ٥٠٠ أو ١٠٠٠ جندى يتم تعبئتهم من الولايات.

Annona

(أنونا) ومعناها الحرفى «الحصاد» وهى هيئة امتداد روما بالحبوب أصبحت لها أهمية قصوى فى عصر جايوس جراكوس . وقام أوغسطس بتنظيمها على أنها مصلحة أميرية.

Censor

(الكنسور) وهو رجل يعين ليقوم بعمل تعداد للسكان كل خمس سنوات وتقدير قيمة المقاطعات حتى تفرض الضرائب (ذلك فى عام ٤٤٥ ق.م) ووضعت قائمة أعضاء مجلس الشيوخ تحت إشرافه، وبذلك أصبح له نفوذ قوى فى عام ٣١٢ ق.م. وفيما بعد أصبح فى دائرة اختصاصه سلطات واسعة لمراقبة الاخلاق والتصرفات.

Civitates, Civitas

(دويله) وكانت أثناء الحكم الامبراطورى عبارة عن وحدة محلية ذات حكومة ذاتية وفى الغالب ما تكون هذه الوحدة مدينة ولكن ليس هذا شرطاً أساسياً.

Cohortes, Cohors

كانت منذ زمن ماريوس عبارة عن وحدة من الفرقة للتحركات العسكرية وكانت كل عشر وحدات تكون فرقة من ٦٠٠ جندى، أما فى زمن الامبراطورية فقد أصبح هذا الاسم يطلق على وحدات المشاة من الولايات.

Colonnate

وهم الفلاحون المستأجرون فى عصر الامبراطورية وخاصة من يستأجر المقاطعات الأميرية.

Colonie, Colonia

(مستعمرة) وهى فى الأصل تعنى استقرار مواطنين رومان أو لاتين فى أرض ما عن طريق مشروع الغرض منه الزراعة أو الدفاع وفيما بعد أصبحت الدولة هى التى تنشئ المستعمرات لأغراض اقتصادية وغالباً ما تكون خارج إيطاليا - وفى عصر الامبراطورية كانت المستعمرات عادة من أجل أسكان المحاربين القدماء.

Conloni, Colonus

وهى تعنى (١) عضو فى مجتمع المستعمرة Colonia
(٢) فلاح مستأجر

Consistorium

وهو عبارة عن مجلس امبراطورى تكون منذ القرن الرابع الميلادى يعقده الامبراطور ويتكون من رؤساء المصالح الأميرية.

Consul

(القنصل) وهى أعلى وظيفة فى عصر الجمهورية وكان هناك قنصلان ينتخبهما الشعب ولفترة طولها عام واحد وكان القناصل يزاولون سلطات عسكرية نظراً لأنهم خلفوا الملوك فى سلطاتهم أما فى عصر الامبراطورية فقد أصبحت القنصلية وظيفة شرفية إلى حد كبير.

Consular

(وتعنى قنصل سابق)

Imperium

(سلطة الامبريوم) وهى أعلى سلطة إدارية يتمتع بها كبار موظفى الجمهورية فى منطقة (وهى الولاية) نفوذهم

Imperium Infinitum Aequum

(السلطة غير المحدودة والمساوية لسلطات الحكام) وهى سلطة ليست لها حدود جغرافية ومساوية لسلطة أى حاكم لولاية.

Iugerum

وهى مقياس رومانى لقياس الأراضى مساوية ($\frac{5}{8}$ الفدان)

Legatus

وهى تعنى (١) مبعوث.

- (٢) نائب عن حاكم لولاية
(٣) قائد الفرقة الرومانية وذلك في عصر الامبراطورية.
(٤) حاكم لولاية تابعة للامبراطور..

Magistrate

فى عهد الجمهورية كان هو الموظف التنفيذى فى الدولة ينتخبه الشعب ويزاول سلطاته لمدة عام عادة. وأهم هؤلاء الموظفين هم: القنصل الكنسور، البرايٲور، الكوايستور، والايديل.

Master of Horse

(قائد الفرسان) وهى وظيفة يقوم الدكتاتور بتعيين شخص فيها ليكون نائباً عنه .

Master of Soldiers

جاءت فى أواخر عصر الامبراطورية وهى تعنى القائد الأعلى لقوات المشاة والفرسان . وقد تولاها البرابرة فيما بعد .

(Modii) Modius

المقياس العام للمكيال الرومانى، وهو يعادل ١,١ من المكيال الانجليزى (وهو ٢ جالون) .

(Municipia) Municipium

وهى تعنى (١) مقاطعة ايطالية تتمتع بالحكم الذاتى .

(٢) مجتمع من مجتمعات الولايات يتمتع بالحكم الذاتى وهو أقل

مرتبة من (الدويلات Civitates) التى كانت فى بلاد الغال وبريطانيا .

Plebs

كتلة المواطنين الرومان عامة باعتبارها طبقة أخرى غير طبقة الارستقراطية (Patricii) .

Populares

اصطلاح يطلق بالذات على الحزب الذى يعتمد على تأييد الطبقات الفقيرة، وذلك منذ القرن الثانى قبل الميلاد. ولكن هذا الحزب كان فى الواقع يقف فى وجه الارستقراطية فيما يختص بمصالح الطبقة المتوسطة .

Praetor

وظيفة من وظائف الجمهورية العامة، مجال اختصاصها الأساسى هو الاشراف

على العدالة . وكان (Praetor Peregrinus) أو برايتور الأجانب يفصل في القضايا التي يكون الزوار والأجانب المقيمون في روما طرفا فيها .

Primipilaris

كلمة استخدمت في عصر الامبراطورية وهي تطلق على قائد المجموعة الأولى من الفرقة . وبعد تسريح هؤلاء القادة كانوا عادة يجندون للقيام بخدمات مدنية .

Princeps

كلمة اختارها أوغسطس ليصف بها مركزه في الامبراطورية باعتباره زعيما للدولة . وفيما بعد انتحل الاباطرة الرومان هذا اللقب لأنفسهم عند اعتلائهم العرش .

Proconsul

كان هذا اللقب في عصر الجمهورية المتأخر يطلق على حاكم الولاية . أما في عصر الامبراطورية فقد كان يطلق على حاكم ولاية تابعة لمجلس الشيوخ .

Procurator

ظهرت في عصر الامبراطورية وهي تطلق على ضابط مالي تابع للامبراطورية يشرف على الشئون المالية وشئون المناجم والعمل والمقاطعات في الولايات .

(Publicani) Publicanus

وهم الذين اختصوا بجمع الضرائب من الولايات، وكانوا يتمتعون بثراء فاحش في عصر الجمهورية، ولكن قل شأنهم في عصر الإمبراطورية .

Quaestor

وظيفة وجدت في عصر الجمهورية، اختصاص هذا الموظف الرئيسي هو الشئون المالية

Tribune

وهو التربيون العسكري، قائد جيش احتياطي، وقد كان هناك ستة ترابنة في كل فرقة أثناء العصور الأخيرة من الجمهورية .

(Tribuni plebis) Tribunes

وهم ترابنة العامة، ضباط ينتخبون ليصونوا مصالح الشعب من بطش الارستقراطية، وقد كانوا يتمتعون باستخدام حق الاعتراض (Veto) تمتعا فائقا .

ملحق رقم (٢)
 ثبت بأسماء الاباطرة الرومان وتواريخ
 توليهم عرش الامبراطورية الرومانية

اولا - من أوغسطس حتي سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية:

أوغسطس	٢٦ ق م - ١٤ م
تيبريوس	١٤ - ٣٧
كاليجولا	٣٧ - ٤١
كلوديوس	٤١ - ٥٤
نيرون	٥٤ - ٦٨
جالبا	٦٨ - ٦٩
أوتو	٦٩
فيتليوس	٦٩
فاسباسيان	٦٩ - ٧٩
تيتيوس	٧٩ - ٨١
دوميتيان	٨١ - ٩٦
نيرفا	٩٦ - ٩٨
تراجان	٩٨ - ١١٧
هادريان	١١٧ - ١٣٨
انطونيوس بيوس	١٣٨ - ١٦١
ماركوس أوريليوس	١٦١ - ١٨٠
كمودوس	١٨٠ - ١٩٢
بريتيناكس	١٩٣
سبتيموس سيفيروس	١٩٣ - ٢١١
كاراكلا	٢١١ - ٢١٧
مكريفوس	٢١٧ - ٢١٨

انطونيوس بيوس	٢٢٢ - ٢١٨
سفروس الاسكندر	٢٣٥ - ٢٢٢
مكسيمينوس التراقي	٢٣٨ - ٢٣٥
جورديان الأول	٢٣٨
جورديان الثالث	٢٤٤ - ٢٣٨
فيليب	٢٤٩ - ٢٤٤
دسبوس	٢٥١ - ٢٤٩
تريبيانوس جالوس	٢٥٣ - ٢٥١
فاليريان	٢٦٠ - ٢٥٣
جالبينوس	٢٦٨ - ٢٦٠
كلودبيوس الثاني	٢٧٠ - ٢٦٨
أوريليان	٢٧٥ - ٢٧٠
تاسيتوس	٢٧٦ - ٢٧٥
بروبيوس	٢٨٢ - ٢٧٦
كاروس	٢٨٣ - ٢٨٢
كارينوس	٢٨٤ - ٢٨٣
دقديانوس (اعتزل العرش في ٣٠٥)	٣٠٥ - ٢٨٤
مكسيميان (اعتزل العرش في ٣٠٥)	٣٠٥ - ٢٨٦
جاليريوس وآخرون	٣١١ - ٣٠٥
قسطنطين الأول ولبسينوس	٣٢٤ - ٣١١
قسطنطين الأول	٣٣٧ - ٣٢٤
قسطنطين الثاني	٣٤٠ - ٣٣١
قسطنطين الثاني وقنستانز	٣٥٠ - ٣٤٠
قسطنطين الثاني	٣٦١ - ٣٥٠
جوليان	٣٦٣ - ٣٦١
جوفيان	٣٦٤ - ٣٦٣

فالتينيان الأول	٣٦٤ - ٣٧٥
فالنس	٣٧٥ - ٣٧٨
ثيودوسيوس الأول وآخرون	٣٧٨ - ٣٩٥
تقسيم الامبراطورية الرومانية إلى غربية وشرقية، والاباطرة التالية اسماؤهم حكموا فى الجزء الغربى من الامبراطورية	٣٩٥
هونوريوس	٣٩٥ - ٤٢٣
فالتينيان الثالث	٤٢٥ - ٤٥٥
بثرونديوس كلسيموس	٤٥٥
ارفينوس	٤٥٥ - ٤٥٦
ماجوريان	٤٥٧ - ٤٦١
ليبيوس سقيروس	٤٦١ - ٤٦٥
انقيميوس	٤٦٧ - ٤٧٢
أولبريوس	٤٧٢
جليسريوس	٤٧٣ - ٤٧٤
يوليوس نيوس	٤٧٤ - ٤٧٥
رومولوس أوغستولوس، وهو آخر الاباطرة الرومان الغربيون وقد خلع عن العرش وبه تنتهى الامبراطورية الرومانية الغربية	٤٧٥ - ٤٧٦
ثانيا - اباطرة الرومان فى الشرق منذ تقسيم الامبراطورية وحتى سقوط القسطنطينية،	
تقسيم الامبراطورية الى شرقية وغربية	
أسرة ثيودوسيوس وضمت اسكاديوس ثيودوسيوس الثانى مارشيان	٣٩٥
أسرة ليو وضمت ليو الأول - ليو الثانى - زينو - انسطاسيوس	٣٩٥ - ٤٥٧
أسرة جستينيان وضمت جوستين الأول - جوستين الثانى - نيروس الثانى - موريس - فوكاس .	٤٥٧ - ٥١٨
أسرة هرقل وضمت هرقل - كوستانز الثانى - ثييريوس الثالث - بروانس - انسطاسيوس - قسطنطين الرابع - جستينيان الثانى - ليونتيوس الثانى - ثيودوسيوس الثالث	٦١٠ - ٧١٧

الاسرة الايزورية وضمت ليو الثالث - قسطنطين الخامس - ليو الرابع - قسطنطين السادس - ايرين - نقفور - استراواثيوس - ميخائيل الأول - ليو الخامس	٨٢٠ - ٧١٧
أسرة فريجيا وضمت ميخائيل الثاني - نيوفيلوس - ميخائيل الثالث	٨٦٧ - ٨٢٠
الأسرة المقدونية وضمت بازيليس الأول - ليو السادس - قسطنطين السابع - رومانوس الأول - رومانوس الثاني - نقفور الثاني - جون الأول - رومانوس الثالث - ميخائيل الرابع - ميخائيل الخامس - ثيودورا - قسطنطين التاسع - ميخائيل السادس	١٠٥٧ - ٨٦٧
أسرة كوفينوس وضمت ايزاك الأول - قسطنطين العاشر - رومانوس الرابع - ميخائيل السابع - نقفور الثالث - الكسيوس الأول - جون الثاني - اندرونيكوس الأول	١٠٨٥ - ١٠٥٧
اسرة الانجيليين وضمت ايزاك الثاني - الكسيوس الثالث - الكسيوس الرابع - الكسيوس الخامس	١١٨٥ - ١٢٠٤
استولت الحملة الصليبية الرابعة على القسطنطينية عاصمة الامبراطورية الرومانية الشرقية وأسست فيها حكم الاباطرة اللاتين. واستمر حكمهم حتى ١٢٦١ حين أعيد استرداد القسطنطينية.	١٢٠٤
اسرة باليولوجوس وضمت ميخائيل الثامن - اندرونيكوس الثاني - ميخائيل التاسع - اندرونيكوس الثالث - جون الخامس - جون السادس - اندرونيكوس الرابع - جون السابع - مانويل الثاني - جون الثامن - قسطنطين الحادي عشر وكان آخر أباطرة الامبراطورية الرومانية الشرقية وحكم حتى ١٤٥٣ حين استولى محمد الثاني على القسطنطينية لتنتهي بذلك الامبراطورية الرومانية الشرقية وتبدأ الامبراطورية التركية.	١٤٥٣ - ١٢٦١

ملحق رقم (٤)
أسماء بعض المدن والمناطق القديمة ومقابلها الحديث

الاسم اللاتيني		الاسم الحديث	
Agrigento	أجريجنتوم	Agrigentum	أجريجنتو
Alise-Ste-Reine	اليسيا	Alesia	اليس ستي رين
Arezzo	أريتيوم	Arretium	أريزرو
Arles	أريلاتي	Arelate	أرليس
Augsburg	أوجستا فيندليكوروم	Aujusta Vindelicorum	أوجسبرج
Bologna	بونونيا	Bononia	بولونا
Bone	هيبو	Hippo	بون
Bordeaux	بورديجالا	Bordigala	بورديو
Budapest	أكوينكوم	Aquincum	بودابست
Cadiy	جاديس	Gades	قادش
Cartagena	نوفاكارتاجو	Nova Carthago	قرطاجنة
Catana	كاتانيا	Catania	كاتانا
Chester	ديفا	Deva	تشستر
Cirencester	كورنيوم	Corinium	كيرنستر
Colchester	كامولدونوم	Camulodonum	كولشستر
Cologne	كولونيا أجريپينا	Colonia Agrippina	كولون
Constantinople	بيزنطيوم	Byzantium	القسطنطينية
Durazzo	دوراخيوم	Dyrrachium	دوراتزو
Geneva	جنيفا	Genevea	جنيف
Gloucester	جليفوم	Glevum	جلوسستر
Istanbul	بيزنطيوم	Byzantium	استنبول
Lambessa	لامباسيس	Lambaesis	لامبسا
Lincoln	ليندوم	Lindum	لينكولن
Lisbon	اوليسبو	Olisipo	لشبونة
London	لوندنيوم	Londinium	لندن
Lyons	لوجدونوم	Lugdunum	ليون
Mainz	مجوننتياكوم	Moguntiacum	مينز
Malaga	مالاكا	Malaca	مالاجا
Marsala	لوليبايوم	Lulybaeum	مارسالا
Marseilles	ماسيليا	Massilia	

الاسم الحديث	الاسم اللاتيني	الاسم الحديث	الاسم اللاتيني
Merida	مريدا	Emerita	أمريتا
Messina	مسينا	Massana	ممانا
Milan	ميلان	Mediolanum	ميدولانوم
Naples	نابولي	Neapolis	نيابوليس
Narbonne	ناريون	Narbo	ناريو
Nimes	نيمي	Nemausus	نيماسوس
Nish	نيس	Naisus	نايسوس
Padua	بادوا	Patavium	باتافيوم
Palermo	باليرمو	Panormus	بانورموس
Rimini	ريميني	Areminum	أريمينوم
Sagunto	ساجونثو	Saguntum	ساجونثوم
Saragossa	ساراجوسا	Caesaraugusta	كايسار اوجستا
Sausse	سوس	Hadrumetum	هادروميترم
Split	سبليت	Spalato	سبالاتو
Stasbourg	ستاسبورج	Argentoratum	ارجنتوراتوم
Tangier	طنجة	Tingis	تنجيس
Taormina	تاورومينا	Tauromenium	تاورومنيوم
Taranto	تارانثو	Tarentum	ترينتوم
Tarragona	تاراجونا	Tarraco	تاراكو
Treves	ترفي	Augusta Treverorum	أوجستا تريفرورم
Trieste	تريستي	Tergeste	ترجستي
Vienna	فيينا	Vindobona	فيندوبونا
Wroxeter	روكستر	Viroconium	فيروكونيوم
York	يورك	Eboracum	ابوراكوم

ملحق (٥)

ثبت بالأباطرة وأعضاء العائلات الإمبراطورية

- ٢٧ ق.م - ١٤ م ١- أغسطس (جايوس أوكتافوس ثورينوس)
ليثيا: زوجة أغسطس
أجربيا: صديق أغسطس
چوليا: ابنة أغسطس من سكريبونيا
جايوس قيصر: ابن أجربيا من چوليا
- ١٤ - ٣٧ م ٢- تيبيريوس (تيبيريوس كلاوديوس نيرو)
دروسوس: ابن تيبيريوس من فيسبانيا
نيرو كلاوديوس دروسوس: أخو تيبيريوس
أنتونيا: زوجة نيرو كلاوديوس دروسوس
جرمانيكوس: ابن نيرو كلاوديوس دروسوس
أجربيا الكبرى: ابنة أجربيا وچوليا
نيرو قيصر: ابن جرمانيكوس وأجربيا
دروسوس قيصر: ابن جرمانيكوس وأجربيا
- ٣٧ - ٤١ م ٣- كاليجولا (جايوس قيصر)
كايسونيا: الزوجة الرابعة لكاليجولا
- ٤١ - ٥٤ م ٤- كلاوديوس (تيبيريوس كلاوديوس دروسوس)
مسالينا: فاليريا مسالينا الزوجة الثالثة
لكلاوديوس
بريتانيكوس: تيبيريوس - كلاوديوس -
بريتانيكوس ابن كلاوديوس ومسالينا
أجربيا الصغرى: ابنة جرمانيكوس وأجربيا
الكبرى
- ٥٤ - ٦٨ م ٥- نيرو (نيرو كلاوديوس قيصر دروسوس

- جرمانيكوس)
أوكتاڤيا: الزوجة الأولى لنيرو
بوبايا: بوبايا سابينا: الزوجة الثانية لنيرو
كلاوديا: ابنه نيرو وبوبايا
٦- جاليا (سرفيوس سولبيكيوس جاليا) م ٦٨ - ٦٩ م
٧- أوتو (ماركوس سالفيوس أوتو) م ٦٩ م
٨- فيتليوس (أولوس فيتليوس) م ٦٩ م
لوكيوس فيتليوس: أو فيتليوس
٩- فسباسيان (تيتوس فلافيوس فسباسيانوس) م ٦٩ - ٧٩ م
فلاڤيا دوميتيلا: الزوجة الأولى لفسباسيان
دوميتيلا الصغرى: ابنة فسباسيان
١٠- تيتوس (تيتوس فلافيوس فسباسيانوس) م ٧٩ - ٨١ م
چوليا تيتي: ابنة تيتوس
١١- دوميتيان (تيتوس فلافيوس دوميتيانوس) م ٨١ - ٩٦ م
دوميتيا: زوجة دوميتيان
١٢- نيرفا (ماركوس كوكيوس نيرفا) م ٩٦ - ٩٨ م
١٣- تراجان (ماركوس أوليوس ترايانوس) م ٩٨ - ١١٧ م
بلوتينا: بومبيا بلوتينا زوجة تراجان
تراجان باتير: أبو تراجان
ماركيانا: أخت تراجان
ماتيديا: ابنة ماركيانا
١٤- هادريان (بوليوس أيلويس هادريانوس) م ١١٧ - ١٣٨ م
سابينا: زوجة هادريان
أنطينوس: خليل هادريان
أيلويس فيروس: لوكيوس - أيلويس - فيروس
متبنى هادريان.
١٥- أنطونينوس بيوس (تيتوس أوريليوس فولفس م ١٣٨ - ١٦١ م

- بويونيوس أريوس أنتونينوس)
 فاوستينا الكبرى: زوجة أنتونينوس بيوس
 جاليريوس أنتونينوس: ابن أنتونينوس بيوس
 ١٦- ماركوس أوريليوس (ماركوس أيلْيوس أوريليوس
 فيروس)
 فاوستينا الصغرى: أنيا جاليريا فاوستينا
 ابنة أنتونينوس بيوس وزوجة ماركوس
 أوريليوس
 لوكيوس فيروس (لوكيوس أوريليوس فيروس)
 امبراطور مشارك
 لوكيلا: زوجة لوكيوس فيروس
 ١٧- كومودوس (لوكيوس أوريليوس كومودوس)
 كريستينا: بروتيا كريستينا زوجة كومودوس.
 ١٨- برتيناكس (بوليوس هلفيوس برتيناكس)
 ١٩- ديدْيوس يوليَانوس (ماركوس ديدْيوس
 يوليَانوس)
 مانليا سكانتِلا: زوجة ديدْيوس يوليَانوس
 ديدْيا كلارا: ابنة ديدْيوس يوليَانوس
 بسكنْيوس نيجر (جايوس بسكنْيوس نيجر) حاكم
 سوريا ١٩٣ - ١٩٤ م
 كلوديوس ألبينوس (ديكْيِموس كلوديوس
 سبتمْيوس ألبينوس) حاكم بريطانيا
 ٢٠- سبتمْيوس سفيروس (لوكيوس سبتمْيوس
 سفيروس)
 جوليا دومنا: زوجة سبتمْيوس سفيروس
 ٢١- كاراكالا (ماركوس أوريليوس أنتونينوس
 كاراكالا)
 بلاوتِلا: زوجة كاراكالا

١٦١ - ١٨٠ م

١٦١ - ١٦٩ م

١٧٧ - ١٩٢ م

١٩٣ م

١٩٣ م

١٩٣ - ١٩٤ م

١٩٥ - ١٩٧ م

١٩٣ - ٢١١ م

١٩٨ - ٢١٧ م

- ٢٠٣ - ٢١٢ م جيتا (بوليوس سبتموس جيتا) إمبراطور
مشارك
- ٢١٧ - ٢١٨ م ٢٢- ماكريفوس (ماركوس أوليوس ماكريفوس)
ديادومنيان: ماركوس - أوليوس -
ديادومنيانوس ابن ماكريفوس
- ٢١٨ - ٢٢٢ م ٢٣- إلاجابالوس (ماركوس أوريليوس أنتونينوس)
چوليا بابولا: چوليا كورنيليا بابولا زوجة
إلاجابالوس
أكوليا سيفيرا: چوليا أكوليا سيفيرا زوجة
إلاجابالوس
أنيا فاوستينا زوجة إلاجابالوس الثالثة
چوليا سوايمياس: أم إلاجابالوس
چوليا مايسا: جدة إلاجابالوس
- ٢٢٢ - ٢٣٥ م ٢٤- سفيروس الاسكندر (ماركوس أوريليوس
سفيروس الإسكندر)
أوريانا: سالوتيا باريبا أوريانا زوجة سفيروس
الاسكندر
چوليا مامايا: أم سفيروس الاسكندر
- ٢٣٥ - ٢٣٨ م ٢٥- ماكسيمينوس الأول (جايوس - يوليوس -
فيروس - ماكسيمينوس)
باولينا: زوجة ماكسيمينوس
ماكسيموس: ابن ماكسيمينوس
- ٢٣٨ م ٢٦- جورديان الأول الإفريقي (ماركوس أنتونيوس
جورديانوس)
جورديان الثاني الإفريقي (ماركوس
أنتونيوس جورديانوس)
- ٢٣٨ م ٢٧- بالبينوس (ديكموس كاليبوس بالبينوس)

- ٢٣٨ م بوبينوس (ماركوس كلوديوس بوبينوس
ماكسيموس)
- ٢٣٨ - ٢٤٤ م ٢٨- جورديان الثالث (ماركوس أنتونيوس
جورديانوس)
ترانكويلينا: فوريا سابينيا ترانكويلينا زوجة
جورديان الثالث
- ٢٤٤ - ٢٤٩ م ٢٩- فيليب الأول (ماركوس يوليوس فيليبوس)
أوتاكيليا سيفيرا: ماركيا أوتاكيليا سيفيرا زوجة
فيليب.
- ٢٤٧ - ٢٤٩ م فيليب الثاني (ماركوس يوليوس فيليبوس)
باكتيان (تيبيريوس كلاوديوس ماريوس
باكاتيانوس)
موسيا العليا
- ٢٤٨ م جوتابيان (ماركوس فولفيوس روفوس)
٢٤٨ م يوتابيانوس) قائد القوات في سوريا
- ٢٤٩ - ٢٥١ م ٣٠- تراجان ديكوس (جايوس مسيوس كوينيوس
ترايانوس ديكوس)
هرنيا إتروسكيلا: زوجة تراجان ديكوس
- ٢٥١ م هرنوس إتروسكوس - هرنوس - إتروسكوس -
مسيوس ديكوس)
- ٢٥١ م هوستيليان (جايوس فالنس - هوستيليانوس -
مسيوس - كوينتوس)
- ٢٥١ - ٢٥٣ م ٣١- تريانيانوس جالوس (جايوس - فيبيوس -
تريونيانوس - جالوس)
- ٢٥١ - ٢٥٣ م فولوسيان - جايوس - فيبيوس - أفينيوس -
جالوس - فندومنيانوس فولوسيانوس)
- ٢٥٢ - ٢٥٣ م ٣٢- أيميليان (ماركوس أيميلوس أيميليانوس)
كورنيليا سويرا: زوجة أيميليان

٣٣- قاليريان الأول (بويليوس ليكيننيوس قاليريانوس)	٢٥٣ - ٢٦٠ م
مارينيانا: زوجة قاليريان الأول	
٣٤- جالينوس (بويليوس ليكيننيوس إجناتيوس جالينوس)	٢٥٣ - ٢٦٨ م
سالونينا: كورينثيا سالونينا زوجة جالينوس	
قاليريان الثاني (بويليوس - كورنيليوس - ليكيننيوس قاليريانوس) الإبن الأكبر لجالينوس	٢٥٣ - ٢٥٥ م
سالونينوس (بويليوس - ليكيننيوس - كورنيليوس - سالونينوس قاليريانوس) الإبن الأصغر لجالينوس	٢٥٩ م
ماكريانوس (فولفيوس يوليوس ماكريانوس)	٢٦٠ - ٢٦١ م
كويتوس (فولفيوس يوليوس كويتوس)	٢٦٠ - ٢٦١ م
رجاليانوس (بويليوس جايوس رجاليانوس)	٢٦٠ - ٢٦١ م
بوستوموس (ماركوس - كاسيانوس - لاثينيوس - بوستوموس) حاكم الغال وإسبانيا وإنجلترا	٢٥٩ - ٢٦٨ م
لايليانوس (أولبيوس كورنيليوس لايليانوس)	٢٦٨ م
ماريوس (ماركوس أوريليوس ماريوس)	٢٦٨ م
٣٥- كلاوديوس الثاني القوطي (ماركوس أوريليوس كلاوديوس)	٢٦٨ - ٢٧٠ م
فيكتورينوس (ماركوس بيافونيوس فيكتورينوس)	٢٦٨ - ٢٧٠ م
كوينتيلوس (ماركوس أوريليوس كلاوديوس كوينتيلوس)	٢٧٠ م
٣٦- أوريليان (لوكيوس دوميتيوس أوريليانوس)	٢٧٠ - ٢٧٥ م
سيفيرينا: زوجة أوريليان	
زنوبيا: سبتيميا زنوبيا	
قابالاتوس	٢٧١ - ٢٧٢ م
تتريكوس الأول (جايوس بيوس أسوفيوس تتريكوس)	٢٧٠ - ٢٧٣ م

تتريكوس الثانى (جاىوس بىوس إسوفىوس تتريكوس)	م ٢٧٠ - ٢٧٣
٣٧- تاكىتوس (ماركوس كلاودىوس تاكىتوس)	م ٢٧٥ - ٢٧٦
٣٨- فلوريانوس (ماركوس أنيوس فلوريانوس)	م ٢٧٦
٣٩- برويوس (ماركوس أوريليوس برويوس)	م ٢٧٦ - ٢٨٢
بونوسوس	م ٢٨٠
٤٠- كاروس (ماركوس أوريليوس كاروس)	م ٢٨٢ - ٢٨٣
نوميريان (ماركوس أوريليوس نوميريانوس)	م ٢٨٣ - ٢٨٤
٤١- كارينوس (ماركوس أوريليوس كارينوس)	م ٢٨٣ - ٢٨٥
ماجنيا أوريبكا: زوجة كارينوس	
نيجربنيان: ريمابن كارينوس	
چوليان (ماركوس أوريليوس يولييانوس)	م ٢٨٤ - ٢٨٥
٤٢- دقلديانوس	م ٢٨٤ - ٣٠٥
كاراوسىوس	م ٢٨٧ - ٢٩٣
أليكتوس	م ٢٩٣ - ٢٩٦
دوميتيوس دوميتيانوس	م ٢٩٦ - ٢٩٧
٤٣- ماكسيميانوس	٢٨٦ - ٣٠٥، ٣٠٦
	م ٣٠٨، ٣١٠
٤٤- كونستانتينوس كلوروس	م ٣٠٥ - ٣٠٦
٤٥- جاليريوس	م ٣٠٥ - ٣١١
جاليريا فاليريا: زوجة جاليريوس	
٤٦- سفيروس الثانى	م ٣٠٦ - ٣٠٧
٤٧- ماكسيموس الثانى	م ٣٠٩ - ٣١٣
٤٨- ماكسنتيوس	م ٣٠٦ - ٣١٢
رومولوس: ابن ماكسنتيوس	
٤٩- ليكينيوس الأول	م ٣٠٨ - ٣٢٤
ليكينيوس الثانى	م ٣١٧ - ٣٢٤
فالانس	م ٣١٤

مارتنيان	م ٣٢٤
٥٠- قسطنطين الأول	م ٣٠٧ - ٣٣٧ م
فاوستا: زوجة قسطنطين	
هيلينا: زوجة قسطنطين	
كريسبوس	م ٣١٧ - ٣٢٦ م
دالماتيوس	م ٣٣٥ - ٣٣٧ م
هانيباليانوس	م ٣٣٥ - ٣٣٧ م
٥١- قسطنطين الثاني (فلافيوس - كلاوديوس - كونستانتينوس)	م ٣٣٧ - ٣٤٠ م
٥٢- كونستانس (فلافيوس يوليوس كونستانس)	م ٣٣٧ - ٣٥٠ م
٥٣- كونستانتينوس الثاني (فلافيوس - يوليوس كونستانتينوس)	م ٣٣٧ - ٣٦١ م
ماجننتيوس (فلافيوس ماجنوس ماجننتيوس)	م ٣٥٠ - ٣٥٣ م
ديكنتيوس	م ٣٥١ - ٣٥٣ م
فتراتيو	م ٣٥٠
نيبوتيان	م ٣٥٠
كونستانتينوس جالوس (فلافيوس - كلاوديوس - كونستانتينوس)	م ٣٥١ - ٣٥٤ م
٥٤- جوليان الثاني (فلافيوس كلاوديوس يوليانوس)	م ٣٦٠ - ٣٦٣ م
٥٥- جوفيان (فلافيوس يوفيانوس)	م ٣٦٣ - ٣٦٤ م
٥٦- فالنتينيان الأول (فلافيوس فالنتينيانوس)	م ٣٦٤ - ٣٧٥ م
٥٧- فالنس (فلافيوس فالنس)	م ٣٦٤ - ٣٧٨ م
بروكوبيوس	م ٣٦٥ - ٣٦٦ م
٥٨- جراتيان (فلافيوس جراتيانوس)	م ٣٦٧ - ٣٨٣ م
٥٩- فالنتينيان الثاني (فلافيوس ثيودوسيوس)	م ٣٧٥ - ٣٩٢ م
٦٠- ثيودوسيوس الأول (فلافيوس ثيودوسيوس)	م ٣٧٩ - ٣٩٥ م
أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول	

ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس - كليمنس - ماكسيموس)	٣٨٣ - ٣٨٨ م
أيليا فلاكيلا: زوجة ثيودوسيوس الأول	٣٨٧ - ٣٨٨ م
ماجنوس ماكسيموس (ماجنوس - كليمنس - ماكسيموس)	٣٨٣ - ٣٨٨ م
فلافيوس فيكتور	٣٨٧ - ٣٨٨ م
يوچنيوس	٣٩٢ - ٣٩٤ م
٦١- أركاديوس (فلافيوس أركاديوس)	٣٨٣ - ٤٠٨ م
يودوكسيا: أيليا يودوكسيا زوجة أركاديوس	
٦٢- هونوريوس (فلافيوس هونوريوس)	٣٩٣ - ٤٢٣ م
قسطنطين الثالث	٤٠٧ - ٤١١ م
كونستانس	٤٠٨ - ٤١١ م
ماكسيموس	٤٠٩ - ٤١١ م
بريسكوس أتالوس	٤٠٩ - ٤١٠، ٤١٤ م
	٤١٥ م -
جوفينوس	٤١١ - ٤١٣ م
سباستيانوس	٤١٢ - ٤١٣ م
كونستانتينوس الثالث	٤٢١ م
جالا بلاكيديا	
يوهانس	٤٢٣ - ٤٢٥ م
٦٣- ثيودوسيوس الثاني	٤٠٢ - ٤٥٠ م
يودوكيا: أيليا يودوكيا زوجة ثيودوسيوس الثاني	
بولكيريا: أيليا بولكيريا ابنة أركاديوس	
٦٤- فالنتينيان الثالث (بلاكيديوس فالنتينيانوس)	٤٢٥ - ٤٥٥ م
ليكينيا يودوكسيا: زوجة فالنتينيان الثالث	
هونوريا: يوستاجراتا هونوريا ابنة كونستانتينوس الثالث	

٦٥- ماركيان	٤٥٠ - ٤٥٧ م
بترونيوس ماكسيموس	٤٥٥ م
أقيتوس	٤٥٥ - ٤٥٦ م
٦٦- ليو الأول	٤٥٧ - ٤٧٤ م
فريتا: أيليا فريتا زوجة ليو الأول	
٦٧- ليو الثاني	٤٧٣ - ٤٧٤ م
ماجوريان	٤٥٧ - ٤٦١ م
سفيروس الثالث	٤٦١ - ٤٦٥ م
أنتميوس	٤٦٧ - ٤٧٢ م
يوفيميا: أيليا ماركيان يوفيميا	
أولييريوس	٤٧٢ م
جليكريوس	٤٧٣ - ٤٧٤ م
٦٨- يوليوس نبوس	٤٧٤ - ٤٧٥ م
٦٩- رومولوس أغسطس	٤٧٥ - ٤٧٦ م
٧٠- زينو	٤٧٤ - ٤٩١ م
أريادنى: أيليا أريادنى زوجة زينو	
باسيليسكوس	٤٧٥ - ٤٧٦ م
زنونيس: أيليا زنونيس زوجة باسيليسكوس	٤٨٤ - ٤٨٨ م
ليوننتيوس	
٧١- أناستاسيوس الأول	٤٩١ - ٥١٨ م

ملحق (٦)

ثبت بالإختصارات والنقوش التي تظهر على العملة الرومانية

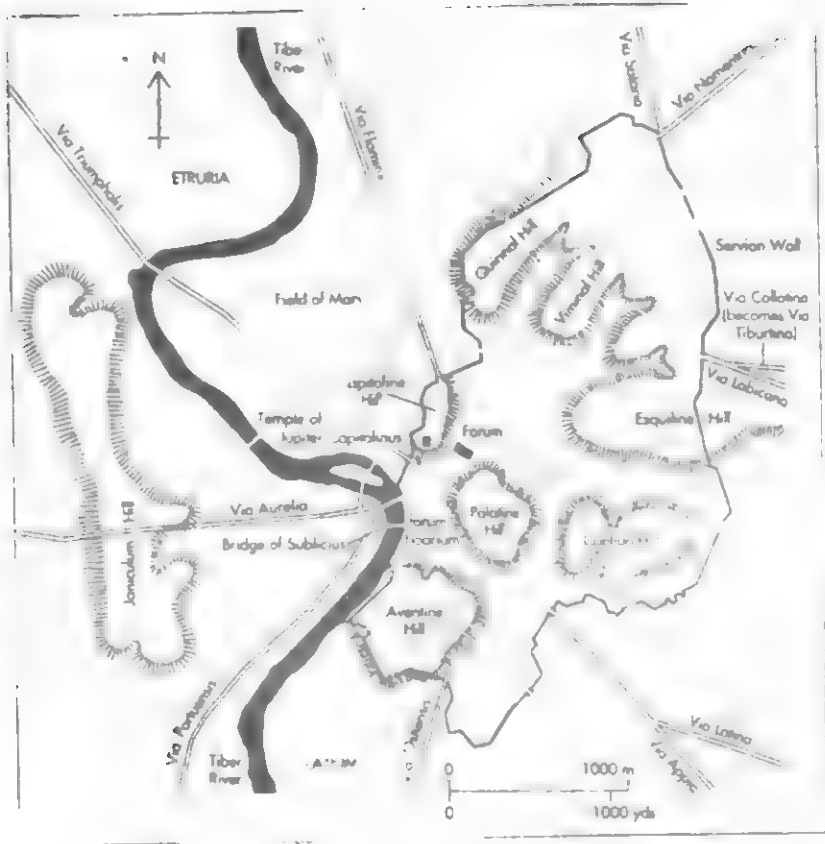
A	= Aulus, Annius
A ET.	= Aetarnitas
AFR,	= Africanus.
ARAB,	= Arabia adquisita.
ARM,	= Armeniacus.
AV,	= Aurelius, Augustus, Augusta.
AVG.F.	= Augusti filius (filia).
AVG.D.F.	= Augusti divi filius.
AVGG,	= Duorum Augustorum.
AVGGG.	= Trium Augustorum
BON, EVENT.	= Bonus Eventus.
BRT.	= Britannicus.
C.	= Caius, Caesar, Consul, Consulto.
CAE.	= Caelius.
COM., COMM.	= Commodus.
CONC.	= Concordia.
CONOB.	= Constantinopoli Obryziacum.
COS.	= Consul.
COSS.	= Consules.
D.	= Dacicus, Decimus, Divus, Designatus, Dominus,
DAC.	= Dacicus.
D.C.A.	= Divus Caesar Augustus.
DD.	= Duo Domini.
DDD	= Tres Domini.
DD.NN.	= Domini Nostri.
DEC.	= Desius, Decennalia.

DIVIF.	= Divi filius.
D. N.	= Dominus Noster, Domina Nostra.
ETRV.	= Etruscus (Herennius).
F.	= felix.
F.	= filius.
FE.	= felix.
G.	= Galerius (Maximianus).
GEN.	= Genius, Genio.
G.P.R.	= Genio populi Romani.
GER. GERM.	= Germania, Germanici, Geremanicus.
G.M.	= Germanicus maximus.
G.M.Q.	= Gnaeus Messius Quintus (Traianus Decius).
HILAR.	= Hilaritas.
I.	= Jovius.
IMP.	= Imperator.
INDVLG.	= Indulgentia.
INV., INVIC.	= Invictus.
I.O.M.	= Jovi Optimo Maximo.
IVL.	= Julia, Julius.
IVN.	= Junior.
L.	= Lucius Legio, Ludi.
LA. LAT, LATL.	= Latienus (Postumus).
LEG.	= Legio.
LIC, LICI, LICIN.	= Licinius.
M	= Marcus, mater, Martia (legio), maxima (victoria), maximo (Jovi optimo m.). maximus (pontifex m.). Messius, Minervia (legio), Moneta, multis (votis).
M. AN.	= Marcus Annius (Florianus).
MAR.	= Marcus, Mars, Marti.
MAT.	= mater.

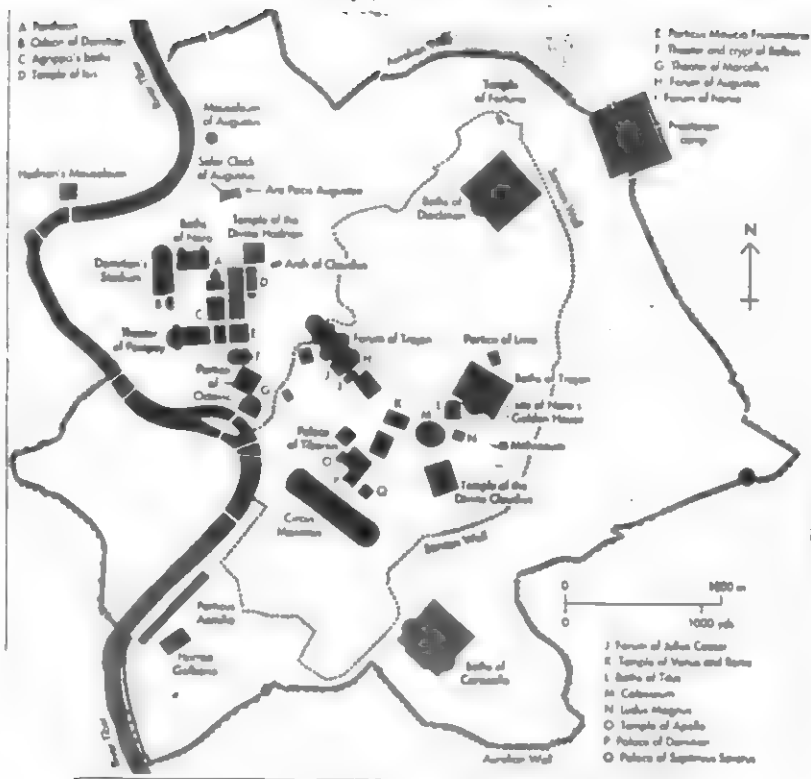
MAX.	maxima (victoria), maximus (pontifex), Maximus
MERC.	= Mercurio.
MESS.	= Messius.
MIN.	= Minerva.
N.C.	= Nero Caesar, Nobilissimus Caesar, Nostri Caesaris.
NE. CAES.	= Nerone Caesare.
NEPT.	= Neptunus.
OPT.	= Optimus.
OT, OTAC.	= Otacilia.
P.	= Pontifex (maximus).
P.R.	= Populus Romanus.
P.	= Potestas (Tribunicia potestate).
PAR.	= Parthicus.
PART.	= Parthicus.
P.,B.,G.MAX.	= Parthicus, Britannicus, Germanicus Maximus
PER, PERS.	= Persicus.
PER., PERT.	= Pertinax (Septimius Severus).
P.F.	= Pius Felix.
PL., PIAV.	= Piavonius (Victorinus).
PI.	= Pius.
PI. A.	= Pius Augustus.
PII F.	= Pii Filius.
P.L., P. LIC.	= Publius Licinius (Valerianus).
P. MAX.	= Parthicus Maximus.
POT.	= Potestate (tribunicia pot.).
P.Q.R.	= Populusque Romanus.
P.R.	= Populus Romanus.
PROCONS.	= Proconsul.
PROVID.	= Providentia.
P.R.VOT.	= Populi Romani Vota.
Q.	= Quintus.

R.P.	= Reipublicae.
S.M.	= Sacra Moneta.
SAEC. AVR.	= Saeculum Aureum.
S.C.	= Senatus Consulto.
SE.	= Severus (Alexander).
SENAT.	= Senatus.
SEN. ETP. R.	= Senatus et Populus Romanus.
SEP., SEPT.	= Septimius (Severus).
SER.	= Servius (Galba).
SEV.	= Severus, Severa.
S.P.Q.R.	= Senatus Populusque Romanus.
S.R.	= Senatus Romanus.
SVL., SVLP.	= Sulpicius (Galba).
T.	= Tiberius, Titus, Tribunicia (Potestate).
T.AEL.	= Titus Aelius (Antoninus Pius).
TL.	= Tiberius, Titus.
TR.P.	= Tribunicia Potestate.
TRBV.P.	= Tribunicia Potestate.
V.	= Valens (V. Hostilianus).
V.	= V. Valerius.
V.	= Vibius (Volusianus).
V.	= Vota.
VAL.	= Valens (Hostilianus), valerius.
VEND.	= Vendumnianus (Volusianus).
VER.	= Verus (Maximus Caesar).
VIB.	= Vibius (Volusianus).
VIC.	= Victori (Jovi), Victoria (Augusti).
VICTR.	= Victrici (Dianae, Veneri).
VIRT.	= Virtus.

الخرائط والرسوم والصور والأشكال التوضيحية



شكل (١)
روما في العصر المبكر (التلال السبعة)



شکل (۲)
روما فی العصر الإمبراطوری (المعالم الرئيسية)



شكل (٢)
العالم الروماني في ١٠٠ ق م



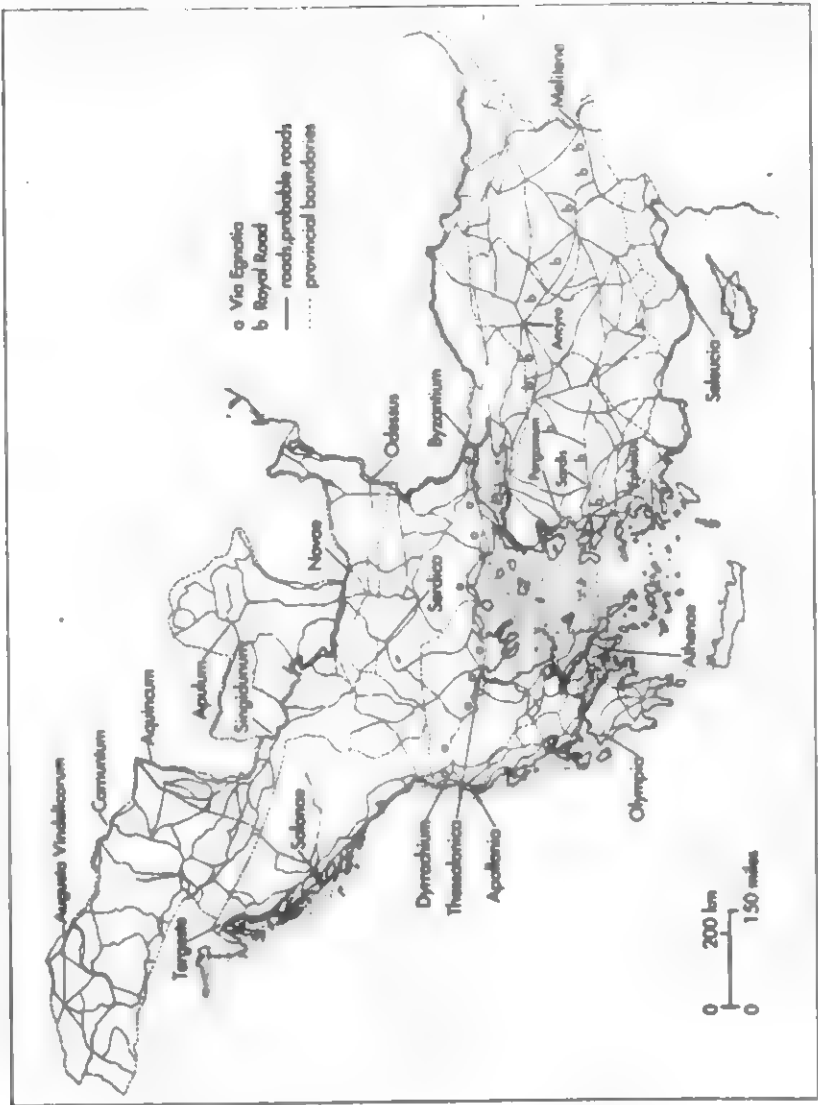
شكل (٤)
العالم الروماني في ٤٤ ق م



شكل (٦)
 الإمبراطورية الرومانية في ٢١١ م



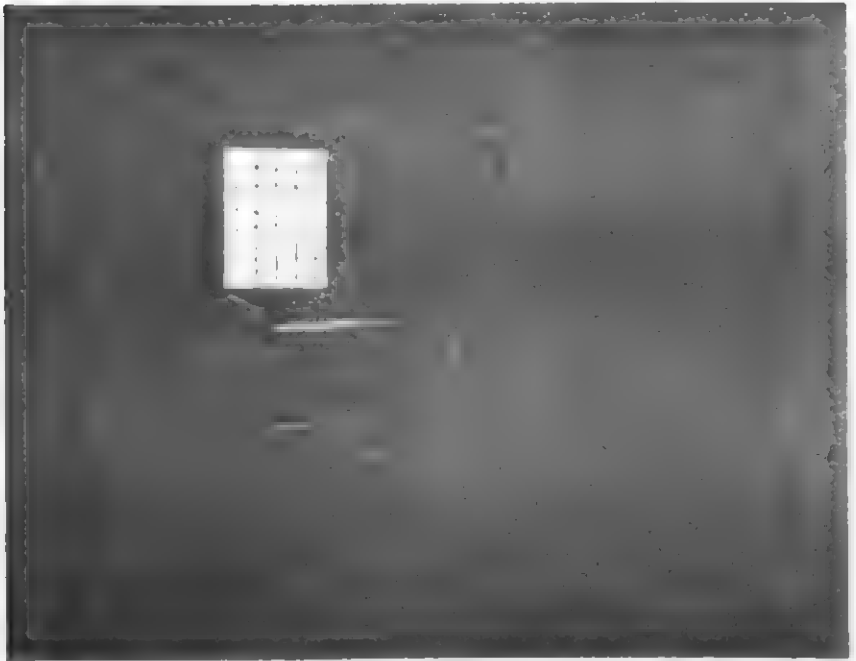
شكل (٧)
شبكة الطرق الرومانية في إيطاليا
وساردينيا وكورسيكا



شكل (٩)
شبكة الطرق الرومانية
في شرق أوروبا وآسيا الصغرى



شكل (١١)
الفوروم الروماني



شكل (١٢)
حجرة النوم في فيلا بوسكوريالي بالقرب
من بومبي . منتصف القرن الأول ق م



شكل (١٣)
بورتريه اوغسطس في هيئة كاهن



شكل (١٤)
معبد الإله مارس فوروم أوغسطس
روما



شكل (١٥)
مقبرة أوغسطس
روما



شكل (١٦)
مذبح السلام. اهدى إلى أوغسطس
في عام ٩ ق م روما



شكل (١٧)
أكوي دكتسي من ثلاثة طوابق - بونت دي جارد - فرنسا
منتصف القرن الأول الميلادي. الإرتفاع ٥٠ متر تقريبا.



شكل (١٨)
سوق تراچان . روما
حوالي ١٠٠ - ١١٢ م.



شكل (١٩)
مدينة تيمجاد . الجزائر



شکل (۲۰)
الإمبراطور هادريان



شكل (٢١)
الإمبراطور كارولا



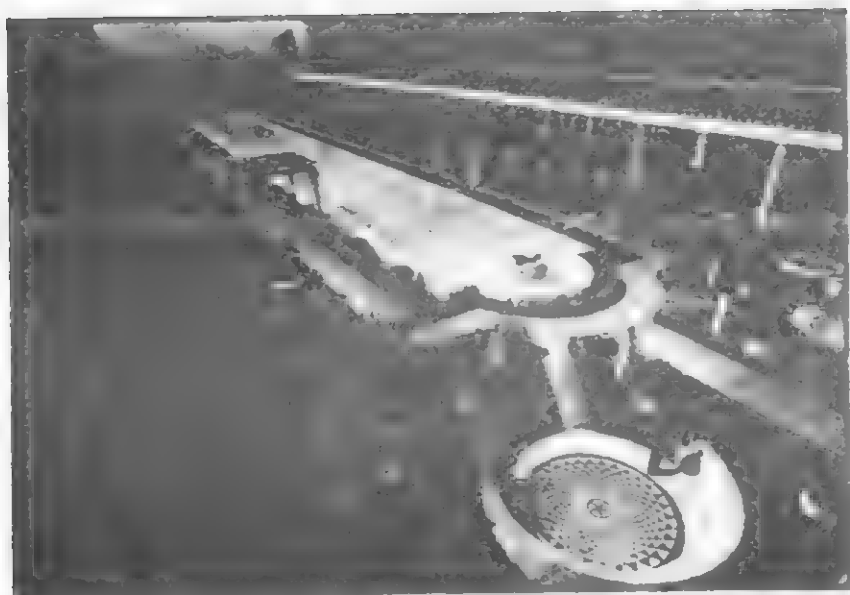
شكل (٢٢)
الكولسيوم - روما
منظر من الجو



شكل (٣٣)
البانثيون من الخارج
روما



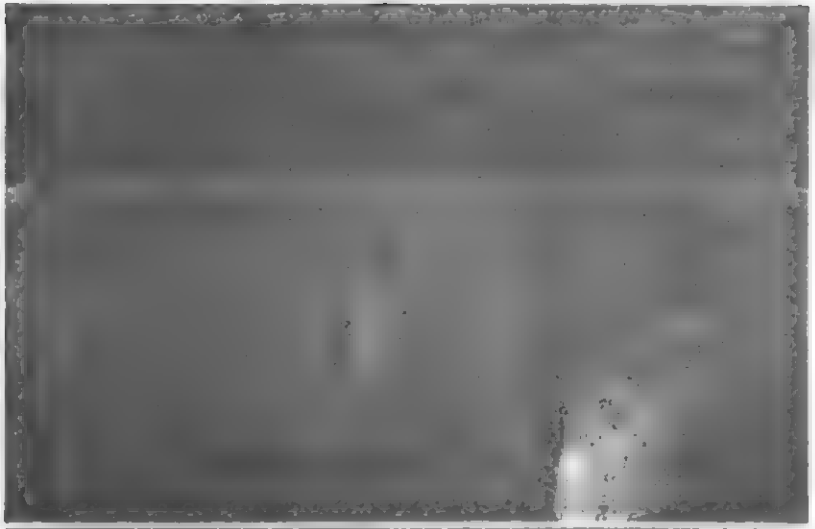
شكل (٢٤)
البانثيون من الداخل
روما



شكل (٢٤)
 فيلا رومانية . فيلا باييري . هيركولانيوم
 إعادة تصور بمتحف بول جيتي بماليفو . كاليفورنيا



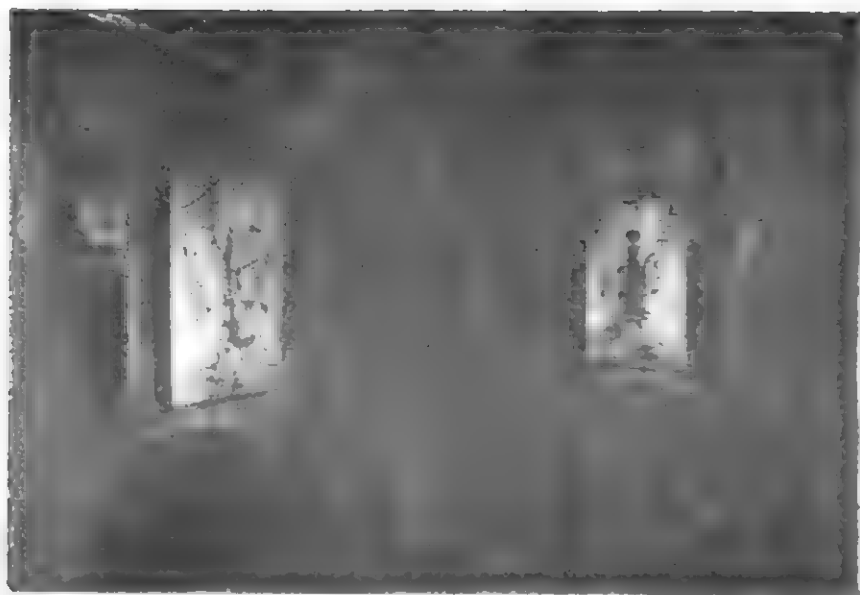
شكل (٣٦)
مقبرة اتروسكية القرن السابع إلى الرابع ق م



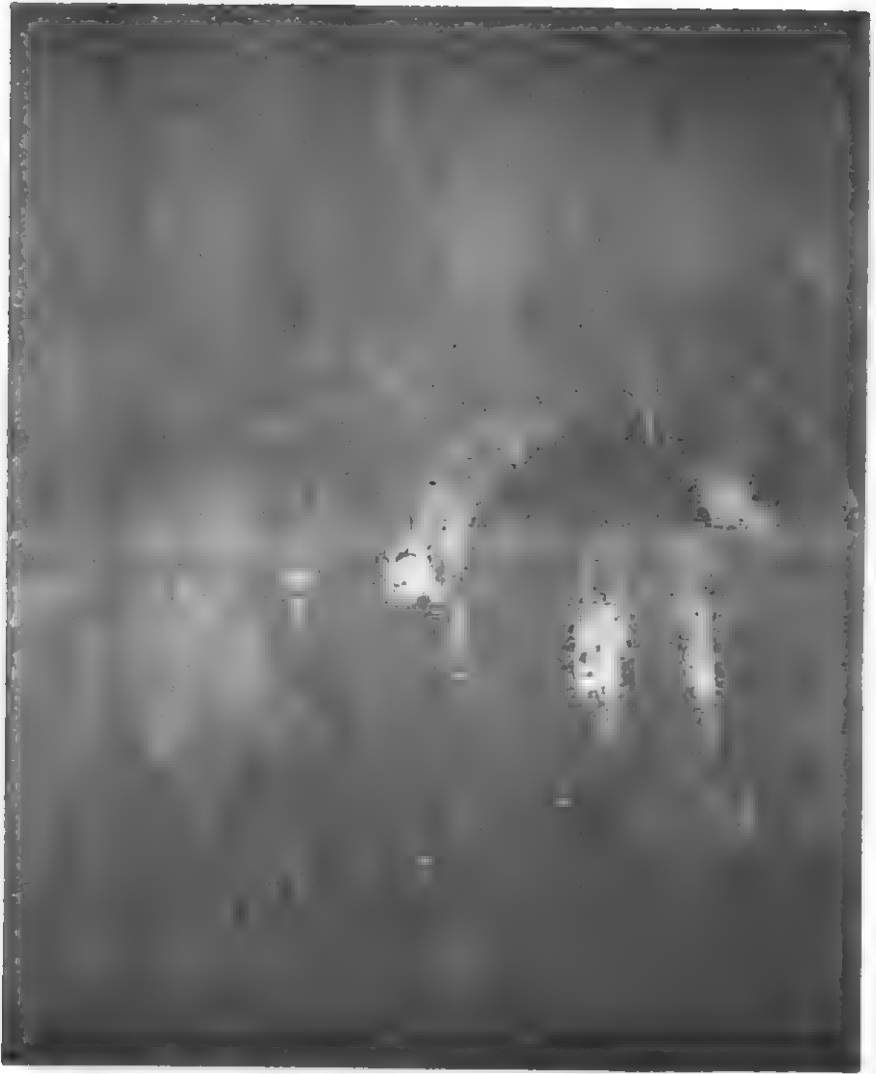
شكل (٢٧)
مقبرة اتروسكية من الداخل
تابوتين على الجانبين



شكل (٢٨)
معبد الإلهة فورتونا في روما - حوالي ١٠٠ ق م



١٠٠-
منزل اوغسطس على تل البالانين
منظر داخلي - حوالي ٢٥ ق م



شكل (٣٠)
هيكلا شوشون (٩) في مدينة فورميا على خليج جاينا
بمنازلت العصر الإمبراطوري

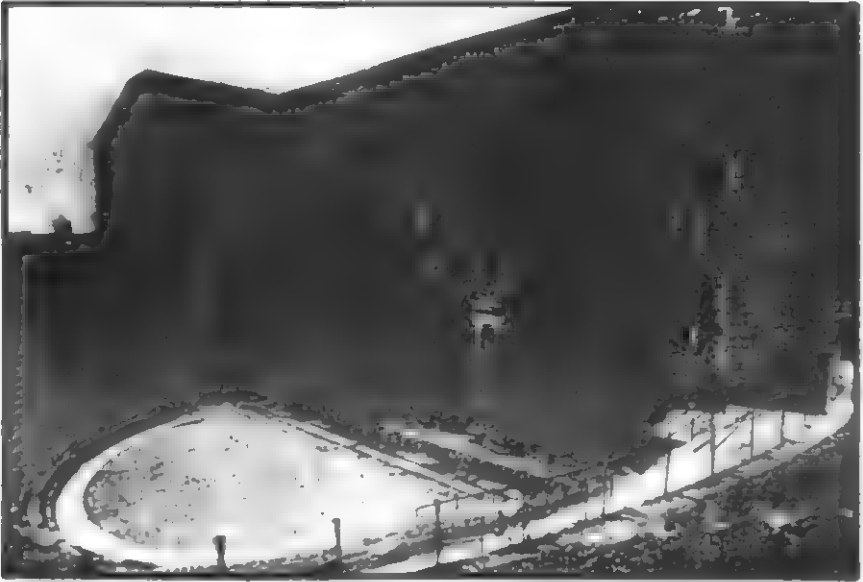


شکل (۳۱)

اکوي دکت نیمس - عبر نهر چاردون بطول ۲۰۰ متر
وارتفاع ۵۰ متر - عصر اچریبا (۱۹ ق.م)



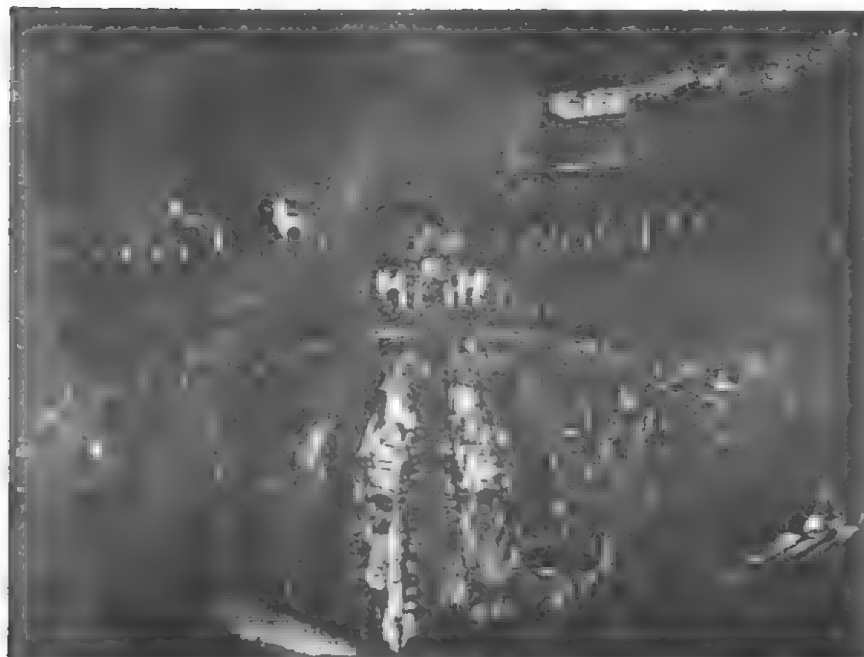
شكل (٣٢)
معبد مدينة فيينا - مهدى إلى أوغسطس وروما في ١٥ م



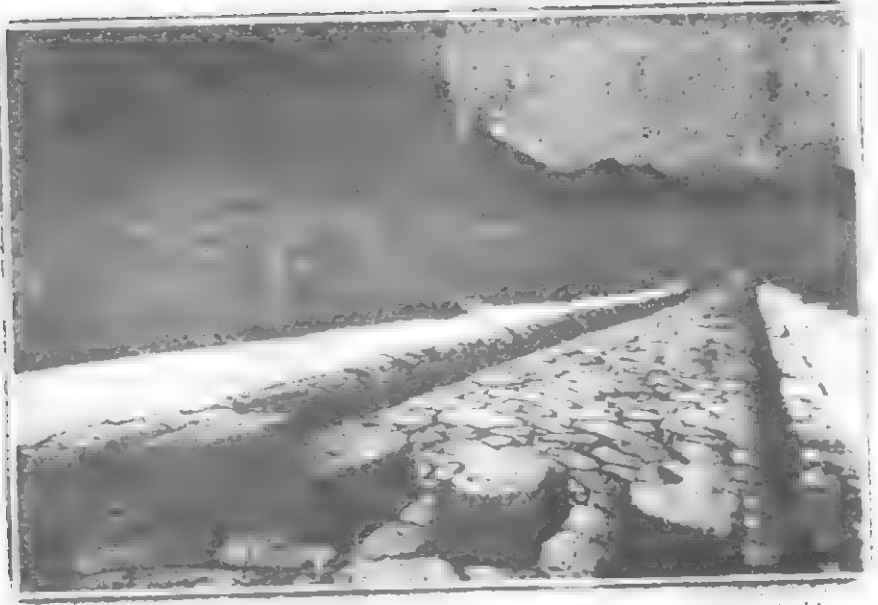
شكل (٣٢)
مسرح اورانج عصر تiberius وكلاوديوس
الخلفه بإرتفاع ٢٧ مترا.



شكل (٣٤)
الكولسيوم من الخارج



شكل (٣٥)
الكولسيوم من الداخل
السعة ٧٠٠٠٠ مترج. أغلب مقاعد المتفرجين غير موجودة.



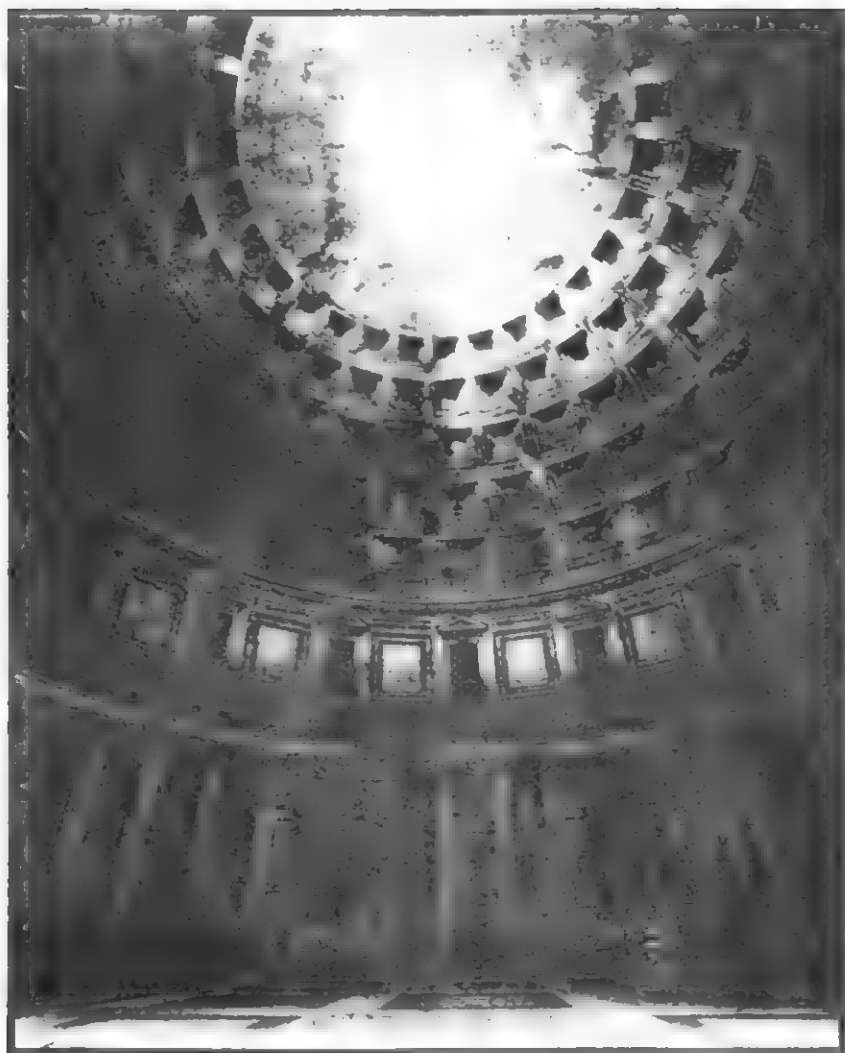
شكل (٣٦)
طريق ميركوري
الطريق إلى القوروم . مدينة بومبي .



شكل (٢٧)
سوق تراچان في روما - إعادة تصور



شكل (٣٨)
البانثيون من الخارج - روما
عصر الإمبراطور هادريان.



شكل (٣٩)
البانثيون من الداخل . روما



شكل (٤٠)
هتل اندريان في تيشولي إعادة تصور

مصادر البحث والمراجع

١- مصادر البحث:

Dio - Cassius, LCL

Eusebius, LCL

Pliny, Historia Naturalis, Epistulae. Lcl, Prophyrius, Vita Plotini.

Propertius, LCL.

Suetnius, LCL.

Tacitus, Annales, LCL.

Vergilius, Aen., LCL.

٢- المراجع العربية والمعرية:

١- ارنولد توينبى، مختصر دراسته التاريخ، ترجمة محمد شبل، مراجعة

محمد شفيق غربال، الجزء الأول، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٦٦

٢- أسد رستم، الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥.

٣- السيد الباز العرينى، مصر البيزنطية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦١.

٤- المسعودى، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، الجزء الأول، بيروت.

٥- أ. هـ. م جونز، آراء فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد ٢٣، الجزء الأول، مايو ١٩٦١.

٦- ابن الفقيه، مختصر البلدان.

٧- ابن رسته، الاعلاق النفيسة.

- ٨- إدوارد جيبون، «اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها، ترجمة محمد أبو دره، مراجعة نجيب هاشم، الجزء الأول.
- ٩- اسرائيل ولفنسون، «تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٢٧.
- ١٠- برايس ف. ن، «القسطنطينية في عصر جيستينيان، موسوعة تاريخ العالم، ترجمة لفيف من الأساتذة، المجلد الرابع.
- ١١- توفيق أحمد عبد الجواد، تاريخ العمارة -٢- العصور المتوسطة والأوروبية والإسلامية، القاهرة، ١٩٦٩.
- ١٢- حسين أحمد الشيخ، الرومان، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٢)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤ م.
- ١٣-، العصر الهلنستي، مصر، دراسات في تاريخ الحضارات القديمة (٣)، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٩٩ م.
- ١٤- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٧٥، الجزء الأول.
- ١٥- سهير إبراهيم نعينع، تاريخ مصر في العصر البيزنطي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤.
- ١٦- سيد أحمد على الناصري، تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضارى، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
- ١٧-، الروم والمشرق العربي، مركز النشر لجامعة القاهرة، جامعة القاهرة، ١٩٩٣.
- ١٨- عبد اللطيف أحمد على، التاريخ الرومانى، عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى اوكتافيانوس اغسطس، دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.

- ١٩- عثمان أمين، الفلسفة الرواقية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١.
- ٢٠- فؤاد حسن زكريا، الناسوعة الرابعة لأقلوطيين، الدار القومية، ١٩٧١، القاهرة.
- ٢١- فيليب اميل لجران، شعر الاسكندرية، ترجمة محمد صقر خفاجة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٢.
- ٢٢- كانتور، تاريخ العصور الوسطى، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، مراجعة د. على النحراوى، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٧٧.
- ٢٣- كريستوفر دوسن، تكوين أوروبا، ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة و د. سعيد عاشور، القاهرة، ١٩٦٧.
- ٢٤- كولتون ج. ج، عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف، الاسكندرية، ١٩٦٧.
- ٢٥- ليلى عبد الجواد، المؤرخ المصرى، العدد الرابع.
- ٢٦- مجدى السيد أحمد كيلانى، المدارس الفلسفية المتأخرة، المركز الاستشارى المصرى للتدريب ونشر البحوث العلمية، الاسكندرية، ٢٠٠٦.
- ٢٧- محمد السيد عبد الغنى، تاريخ الرومان حتى نهاية العصر الجمهورى، الجزء الأول، منذ نشأة روما حتى نهاية العصر الجمهورى المبكر ٢٦٥ ق.م، المكتب الجامعى الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٥.
- ٢٨- محمد إسماعيل النبوى، الهند وحضارتها ودياناتها، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠م.
- ٢٩- محمد حمدى ابراهيم، الأدب السكندرى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٥.

- ٣٠- محمد محمد مرسى الشيخ، تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية، ١٩٩٩م.
- ٣١- محمد محمود الحويرى، رؤية فى سقوط الإمبراطورية الرومانية، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٩٥.
- ٣٢- محمود سعيد عمران، مقالات فى تاريخ مصر فى العصر البيزنطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٤.
- ٣٣- مراد كامل، حضارة مصر فى العصر البيزنطى، تاريخ الحضارة المصرية، ٢٠٠٥.
- ٣٤- مصطفى عبد الحميد العبادى، الإمبراطورية الرومانية، النظام الإمبراطورى ومصر الرومانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٦.
- ٣٥- ميخائيل روستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادية، الجزء الأول، ترجمة ومراجعة ذكى على، محمد سليم سالم، القاهرة، ١٩٥٧م.
- ٣٦- وسام عبد العزيز فرج، «أضواء على مجتمع القسطنطينية - دراسة فى التاريخ الاجتماعى لمدينة قسطنطين حتى نهاية القرن الحادى عشر، دراسات فى التاريخ الاجتماعى والاقتصادى فى العصور الوسطى، الاسكندرية، ١٩٨٠.
- ٣٧- ول ديورانت، قصة الحضارة، الجزء الثانى من المجلد الثالث، قيصر والمسيح والحضارة الرومانية، الطبعة الثانية، ١٩٦٣.

- 1- Armstrong Hilary, J. H. s., Vol XCIII. 1973.
- 2- Bagnall Roger S. and Rathbone Dominic W., Egypt From Alexander to The Copts, An Archaeological and Historical Guide, The British Museum Comp. Ltd, 2004.
- 3- Balsdon J.P.V.D., "Sulla Felix" J.R.S., 41, 1951
- 4- Bang Martin, "Expansion of The Teutons to A D 378" in Cambridge Medieval History, vol 1. Cambridge. 1975.
- 5- Barrow R. H., The Romans. Great Britain. 1975.
- 6- Baynes Norman H Deac of the Western Power and its Causes, in Universal History of the World, ed. by J. A. Hammerton. Vol.4.
- 7- Bradley H., The Goths. 5th ed , London, 1887.
- 8- Birley, Marcus Aurelius. Eyre and Spottiswood. London. 1966.
- 9- Bury J. B., History of the Late Roman Empire 2. vols. London. 1923.
- A History of the Roman empire From its Foundation to The Death of Marcus Aurelius 27 B.C. - 180 A.D.. London. 1930.
- 10- Cameron Averil, the Later Roman Empire, 284 - 430 A.D., Fontana Press, London, 1993.

- 11- Cantor Norman E., *Medieval History, The life and Death of a civilization*, 2nd ed., U.S.A. 1969.
- 12- Cary M. and Scullard H.H., *A History of Rome*, 3rd ed, London, 1975,
- 13- Cary M. and Wilson John, *A Shorter History of Rome*, London. 1963.
- 14- Chadwick H., *the Early Church*, London, 1967.
- 15- Charles Worth M.P., *The Roman Empire*, Great Britain, 1961.
- 16- Chilver G.E.G., "*Historia*", 1950.
- 17- Collinet P., *Etudes Sur Le droit de Justinien*, T.I, 1912, "*Le Caractere de l'oeuvre de Justinien*".
- 18- Deanesly Margaret. *A History of Early Medieval Europe From 476 to 911*, London, 1960.
- 19- Church A.J. and Brodribbe J., *The Complete Works of Tacitus*, N.T., 1942.
- 20- De Burgh W., *The Legacy of The Ancient World*, Middlesex, 1953., 2 vols.
- 21- Dill S., *Roman society in The Last Century of Western Empire*, London. 1925.
- 22-, *Roman Society in Gaul in the Merovingian Age*, U.S.A.. 1966.

- 23- Gibbon Edward, Decline and Fall of The Roman Empire, 4 vols, 1901.
- 24- Grant M., The World of Rome, London, 1960.
- 25-, The Antonines, Rout ledge, London, 1996.
- 26- Gregory of Tours, The History of the Franks, Trans. by Dallon O.M., Oxford,, 1927.
- 27- Hands A.r., Charities and Social Aid in Greece and Rome, Thames and Hudson, London, 1968.
- 28- Hammond M., The Augustan Principate, London, 1933.
- 29- Henderson B.W., Five Emperors, London, 1927.
- 30- Hodgkin Thomas, Italy and Her Invaders, Oxford, 2 vols.
- 31- Huntigton Ellsworth, "Climate Change and Agriculture Exhaustion as elements in the Fall of Rome" Quarterly Journal of Economics, 1916.
- 32- Innes Millar, the Spice Trade of, the Roman Empire 29 B.C. To 641 A.D. Oxford The Clarendon Press, 1969.
- 33- Jaroslav Cerny, Ancient Egyptian Religion, 1952.
- 34- Jones A.H.M., The Decline of the Ancient World, London 1967.
- 35- Katz Solomon, The Decline of Rome and The Rise of the Medieval Europe, N.Y., 1955.

- 36- Kent J.P.C. and Painter K.S., *Wealth of the Roman World, Gold and Silver A.D. 300-700*, British Museum 1077.
- 37- Levick Barbara, *The Government of the Roman Tmpire*, Croom Helm. London, 1985.
- 38- Lindsay, T.M., "The Triumph of Christianity" In *Cambridge Medieval History*, Vol 1.
- 39- Lot F., *Les Invasions Germaniques*, Paris, 1935.
- 40-, *La Fin du monde Antique*, Paris, 1951.
- 41- Laistner, M.L.W., *Thought and Letters in Western Europe A.D. 500 to 900*, London, 1957.
- 42-, *The End of the Ancient World and The Beginings of the Middle Ages*, London, 1931.
- 43- Manitius M., "The Teutonic Migrations 378-421" in *Camb. Med. Hist.*, vol 1, Cambridge, 1975.
- 44- March F. B., *The Founding of the Roman Empire*, London, 1931.
- 45- Momigliano A., J.R.S., 1944.
- 46- Neil S., *A History of Christian Missions*, London, 1964.
- 47- Painter S., *A History of the Middle Ages 248-1500*, London, 1971.
- 48- Parker H.M.D., *A History of the Roman World*, London, 1971
- 49- Pirenne H., *A History of Europe From The Invasions to the XVI Century*, Trans . By Bernard Miall from French, London, 1961.

- 50- Robinson Cyril, A History of Europe: Ancient and Medieval, U.S.A., 1920.
- 51- Rostovetzeff. M., Economic and Social History of the Roman Empire 2vols, London, 1957.
- 52- Ruñciman Steven, Byzantine civilization, Methuen and Co. Ltd, London, 1975.
- 53- Salmon E. T., A History of the Roman World 30 Bc. To 138 a. D., Great Britain, 1974.
- 54- Simkhovitch G., "Rome's Fall reconsidered, Journal of Political Science, 1916.
- 55- Sinnign William g. and Boak E.R., A History of Rome to A. D. 565. 6th ed,m U.S.A. 1977.
- 56- Starr C. G., The Roman Imperial Navy, London, 2nd ed., 1960
- 57- Stien Peter, Roman Law in European History, Cambridge University Press, 1999.
- 58- Strayer J. and Munro D., The Middle Ages, 395-1500, N Y 1942.
- 59- Tacitus, A Treatise on The Situation, Manners and Inhabitants of Germany, U.S.A., 1977.
- 60- Talbot Rice Tamara, Byzantium, London, 1969.
- 61- Thompson J.W., History of the Middle Ages 300-1500, London, 1931 Bridged ed., Oxford, 1962.

- 62- Voget joseph, *The Decline of Rome*, English ed., London, Weidenfied and Nicolson.
- 63- Walbank F.W., *The Awful Revolution the Decline of The Roman Empire in The West*, Liverpool Univ. Press, 1969.
- 64- Wellesley Kenneth, *The Year of The Four Emperors*, Routledge, London, 2000.
- 65- Westerman W., "The Decline of Ancient Cultures", *The American Historical Review*, 1915.